



الجامعة الإسلامية بغزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

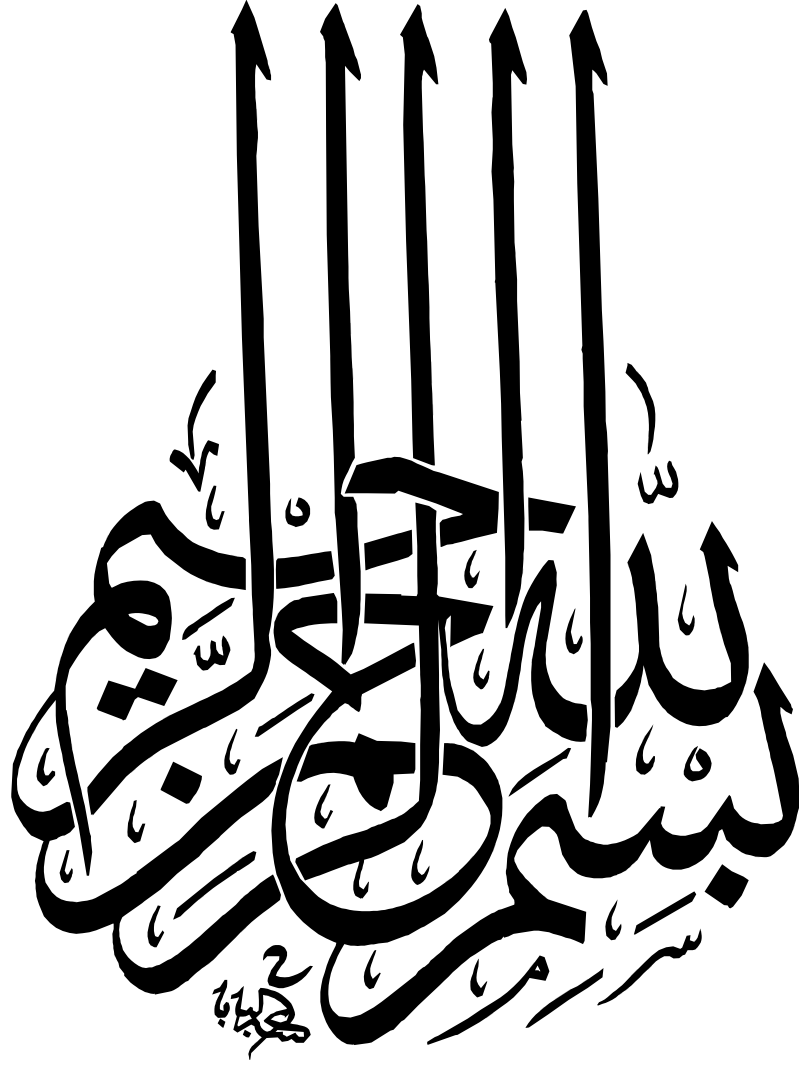
الإعراض ونظائره في القرآن الكريم

[دراسة موضوعية]

إعداد الطالبة
آلاء جهاد فوزي صالح
إشراف فضيلة الدكتور
عصام العبد زهد

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من
كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية - غزة.

٢٠١٠م - ١٤٣١هـ



الإهداء

حينما قالوا لي لمن سنُهدِينَ هذا العمل المتواضع؟
قلت: أهديه إلى من تآقت نفسي لشفاعته، واشتآقت روجي لرؤيته، خيرُ خلقِ الله،
محمد رسول الله ﷺ
ثمَّ إلى الذين كانا سببَ وجودي، ونشأتُ في كنفِهِما، وعشتُ تحتَ جناحِهِما، ولم
يُدخرا وسعاً في تأديبي وتوجيهي وتعليمي: **والديَّ الكريمين**.
ثمَّ إلى من كان عوناً وسنداً لي حتى النهاية، وشحذَ من همتي لإكمال هذه الرسالة:
زوجي العزيز محمد ثم إلي عمي الفاضل وزوجة عمي الفاضلة.
إلى من حُبهم يجري في عروقي، ويلهج بذكراهم فؤادي: أخواتي وإخواني.
إلى من تحلَّو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء، إلى ينابيع الصدق الصافي، إلى من
كانوا معي على طريق النجاح والخير: **صديقاتي**.
إلى من علموني وثقَّفوني وأرشدوني؛ الذين كانوا مشاعلَ هدىً ومناراتِ حقٍ تُضيءُ
دربَ السالكين: **أساتذتي وعلمائي**.
إلى الذين قدَّموا أرواحهم رخيصةً لكي يعيدوا أملاً يلوح في الأفق.
إلى كلِّ شجاعٍ، الله غايته وعزيمته من حديد، إلى من بدأ يُعيدُ للوطنِ مجده التليد.
إلى الأخوات في الإدارة العامة لدائرة العمل النسائي في وزارة الأوقاف.
وإلى روادِ مسجدِ السيد علي المغربي في حي الشجاعية.

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين ، الذي أتمَّ الشريعةَ وأكمل الدين، ختم الأنبياءَ عليهم السلام بشريعة محمد ﷺ ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله شرع من الدين ما يُصلحُ البلادَ والعباد، وأبى الجاهلون والمنافقون إلا أن يُشرِّعوا لأنفسهم ما لم يأذن به الله ، وأشهدُ أنَّ محمداً ﷺ عبدهُ ورسوله، ما ترك خيراً إلا و دلنا عليه، ولا شراً إلا وحدّثنا منه، ورضيَ اللهُ عن الصحابةِ الميامين، الذين اقتفوا بأثره وبشرعه كانوا مستمسكين، وعن التابعينَ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .. أما بعد:

فإنَّ الله ﷻ قد فضَّلَ القرآنَ الكريمَ على سائرِ الكتب، إذ جعله مُصدّقاً لما بين يديه من الكتابِ ومهيماً عليه، ومن وجوه تفضيله ومزاياه ما اختص به من إنزاله على وجوه القراءات، وتكفّل اللهُ بحفظه وترتيبه، وظلَّ محفوظاً من الزيادة والنقصان والتبديل على مرِّ الزمان، وتقلُّبِ الأحوال، قال ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: 9]، وما ذلك إلا دلالةً من دلائل إعجازه وبيدائع نظمه؛ فلذلك كان حقاً على المتخصصين من أبناء الأمة في كلِّ عصرٍ أن يعنوا بمحاسن هذا الدين من خلال كتابه المبين، وأن ينبِّروا لإظهار الحقِّ وإبرازه بلغةٍ تناسبُ عصورهم. فتفسيرُ القرآنِ الكريمِ لم يتوقف عندَ مرحلةٍ من مراحل التاريخ الإسلامي، ولن يتوقف كذلك ما دامَ هناك عقلٌ يتفكَّر، وقلبٌ يتذكَّر، ولهذا كلُّهُ تناولتُ موضوعَ الإعراضِ في رسالتي هذه ، والتي بعنوان:

”الإعراض ونظائره في القرآن الكريم”

حيثُ شملَ هذا الموضوعُ الحديثَ عن الإعراضِ عن آياتِ الله عزَّ وجل، وعن القرآنِ الكريمِ والذِّكرِ ، ناهيك عن الإعراضِ عن شكرِ نعمِ الله وعن دعوةِ الله، والإعراضِ عن الجاهلين والمنافقين والمشركين واليهودِ رمزَ الإجمامِ في زماننا، وعنصرَ الفسادِ في البلاد.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تبرز أهمية هذا الموضوع في كونه يبحث في موضوع من موضوعات القرآن الكريم، ولا يخفى على أحد أنّ شرف الموضوع ينبع من شرف مصدره، كما تبرز أهميته بارتباطه بالواقع المعاش، حيث ستُظهر هذه الدراسة مدى خسارة من أعرض عن كتاب الله.

وقد كان لاختيار هذا الموضوع أسباب كثيرة أذكر أهمّها:

- ١- الرغبة في خدمة كتاب الله ﷺ من خلال البحث في موضوع من موضوعاته.
- ٢- افتقار المكتبة الإسلامية إلى رسالة علمية محكمة تتناول هذا الموضوع من جوانبه المختلفة في إطار دراسة تفسيرية متخصصة.
- ٣- إبراز أهمية البحث في موضوع الإعراض ونظائره من خلال ربط الموضوع بالواقع المعاصر.
- ٤- استكمال جهود العلماء والباحثين السابقين من خلال تناول الموضوع كلون من ألوان التفسير الموضوعي.
- ٥- تشجيع أستاذي، فضيلة الدكتور عصام زهد -حفظه الله- على البحث في هذا الموضوع والخوض في غماره.
- ٦- اهتمامي بعلم التفسير عامة، والتفسير الموضوعي خاصة، شرح صدري وقوى من عزمي على المساهمة في إبراز هذا الموضوع في إطار تفسيري محكم.

ثانياً: أهداف البحث وغايته:

- ١- ابتغاء مرضاة الله ﷻ أهم هدف وأسمى غاية أرجوها من كتابة هذا البحث.
- ٢- الوقوف من خلال هذه الدراسة على لون من ألوان التفسير ألا وهو التفسير الموضوعي.
- ٣- ربط الموضوع بواقع المسلمين المعاصر، وإثرائه بكل جديد.
- ٤- إثراء المكتبة الإسلامية برسالة علمية محكمة تتناول الموضوع في إطار ولون جديدين.
- ٥- بيان خطورة الإعراض عن دين الله في هذا الزمان، بعد ختم الرسالات وكمال الدين وإقام الحجة على الجميع لأنّ الدين عند الله الإسلام.
- ٦- محاولة المساهمة بالنهوض في التفسير الموضوعي من خلال الإهتمام بموضوعات القرآن الكريم المختلفة.

ثالثاً: الجهود السابقة:

بعد الدراسة والتحري، تبين لي أنّ هذا الموضوع من المواضيع الحديثة، ولم يتطرق إليه الباحثون بمثل هذا التصنيف، وذلك حسب علمي وإطلاعي، كما لم أعتز على رسالة علمية تناولت هذا الموضوع كدراسة تفسيرية موضوعية متخصصة ومُحكّمة. فقد قمتُ بمراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فأفادوني بأنّ: "قاعدة معلومات الرسائل الجامعية المتاحة لدى المركز، تُبين عدم توافر معلومات عن هذا الموضوع"، إلا أنني وجدت فيما بعد بعض الرسائل الجزئية التي تناولت جزءاً من موضوعات هذه الرسالة وهي:

- ١- [آيات الإعراض في القرآن الكريم- دراسة موضوعية] رسالة ماجستير، لحسام الدين بن سلامة، جامعة أم القرى.
- ٢- [الصد عن سبيل الله- دراسة موضوعية] رسالة ماجستير، محمد أحمد محمود الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد.

رابعاً: منهج الباحثة:

- اعتمدتُ في دراستي هذه المنهج الإستقرائي، وذلك من خلال ما يلي:
١. جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الدراسة، وعزوها إلى سورها.
 ٢. الرجوع لكتب التفسير، وتفسير الآيات المتعلقة بالموضوع تفسيراً موضوعياً.
 ٣. الاستدلال بالأحاديث الشريفة، ومحاولة تخريجها ما استطعتُ لذلك سبيلاً.
 ٤. اعتماد منهج وخطوات التفسير الموضوعي المتعارف عليها في علم التفسير.
 ٥. تقديم تعريفات موجزة لمصطلحات وفروق مهمة في علم التفسير الموضوعي.
 ٦. عرض آراء وأقوال العلماء المتعلقة بموضوع البحث من مصادرها الأصلية.
 ٧. ترجمة الأعلام المغمورين.
 ٨. تذييل البحث بالفهارس الخاصة بموضوع الدراسة.
 ٩. العمل على إرجاع المعلومات إلى قائلها وتوثيقها وذلك من باب الأمانة العلمية.

خامساً: خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.
المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأهداف البحث، وأسباب اختياره، والجهود السابقة، ومنهج الباحثة.

الفصل التمهيدي

مفهوم الإعراض ونظائره بين المعنى اللغوي والمنظور القرآني

وفيه :

أولاً: الإعراض لغة واصطلاحاً.

ثانياً: نظائر الإعراض في السياق القرآني

الفصل الأول

المعرضون والمعرض عنهم في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المعرضون في ضوء القرآن الكريم.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: المعرضون عن دعوة الله.

المطلب الثاني: المعرضون عن ذكر الله.

المطلب الثالث: المعرضون عن شكر نعم الله.

المطلب الرابع: المعرضون عن آيات الله.

المطلب الخامس: المعرضون عن نذر الله.

المطلب السادس: المعرضون عن دفع الزكاة.

المطلب السابع: المعرضون عن اللغو.

المبحث الثاني: المعرض عنهم في ضوء القرآن الكريم.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: المشركون.

المطلب الثاني: المنافقون.

المطلب الثالث: الجاهلون.

المطلب الرابع: اليهود.

المطلب الخامس: الذين يخوضون في آياتِ الله.

المطلب السادس: الزوجةُ الناشز.

المطلب السابع: الفقراء من ذوي القربى.

الفصل الثاني

منهج أولي العزم من الرسل في دعوة المعرضين

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: منهج نوح عليه السلام في دعوة المعرضين.

المبحث الثاني: منهج إبراهيم عليه السلام في دعوة المعرضين.

المبحث الثالث: منهج موسى عليه السلام في دعوة المعرضين.

المبحث الرابع: منهج عيسى عليه السلام في دعوة المعرضين.

المبحث الخامس: منهج محمد عليه السلام في دعوة المعرضين.

الفصل الثالث

التولي في ضوء القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تولي الرسل.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تولي نبي الله صالح عليه السلام عن قومه.

المطلب الثاني: تولي نبي الله يعقوب عليه السلام عن أبنائه.

المطلب الثالث: تولي نبي الله موسى عليه السلام إلى الظل.

المطلب الرابع: تولي نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام عن بن أم مكتوم.

المبحث الثاني: تولي الأقطام والمفسدين عن رسلهم.

المطلب الأول: تولي الأقطام

أولاً: تولي قوم بني إسرائيل عن القتال مع أنبيائهم.

ثانياً: تولي فرعون عن موسى عليه السلام.

المطلب الثاني: تولي المفسدين.

أولاً: تولي أبي جهل.
ثانياً: تولي الوليد بن المغيرة.

الفصل الرابع

عقوبات المعرضين عن دعوة الله في الدنيا

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: العقوبات الدنيوية للمعرضين.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: عقوبة قوم نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: عقوبة قوم مدين.

المطلب الثالث: عقوبة قوم صالح عليه السلام.

المطلب الرابع: عقوبة قوم عاد.

المطلب الخامس: عقوبة قوم لوط عليه السلام.

المطلب السادس: عقوبة فرعون ومثله.

المبحث الثاني: عقوبة المعرضين في عصرنا الحالي.

الخاتمة: وتشتمل الخاتمة على مجموعة من النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشمل على فهرس الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وفهرس الأعلام وفهرس

المصادر والمراجع والموضوعات.

الشكر والتقدير

يقول الحق ﷻ: ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [سورة إبراهيم: ٧].

الحمدُ لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث، يا ربِّ لك الحمدُ حتى ترضى، ولك الحمدُ إذا رضيت، ولك الحمدُ بعدَ الرضى.

وعملاً بقوله ﷻ: [لا يشكر الله من لا يشكر الناس]^(١).

فأنني أتوجه أولاً بالحمد والثناء والخضوع والإذعان لله ﷻ أن هداني للإسلام العظيم، ثم أتوجه بخالص شكري وتقديري إلى مشرفي وشيخي وأستاذي فضيلة الدكتور/ **عصام العبد زهد**، الذي تفضل بقبول الإشراف على الرسالة، والذي أعطاني من علمه ونصائحه المفيدة ووقته الكثير ولم يبخل عليَّ في يوم من الأيام، الله أسأل أن يكون هذا العمل في ميزان حسناته وجزاه الله عني خير الجزاء، كما وأتقدم بالشكر والعرفان لأستاذي الكريمين:

فضيلة الدكتور/ جمال محمود الهوبي.

فضيلة الدكتور/ صبحي رشيد اليازجي.

الذان تكرماً بمناقشة رسالتي هذه.

كذلك لا أنسى أن أسجل شكري وتقديري إلى المحضن الأول للعلم والعلماء جامعتي الغراء - الجامعة الإسلامية بغزة - والعاملين فيها من أكاديميين وإداريين.

كما أرفع بقرقيات الشكر والثناء إلى أصحاب الفضيلة أساتذتي الكرام أعضاء الهيئة التدريسية بكلية أصول الدين ممثلة بعمادتها وطاقمها الأكاديمي والإداري.

كذلك أتقدم بالشكر والتقدير إلى دولة رئيس الوزراء الفلسطيني

الدكتور: إسماعيل عبد السلام هنية

والذي قدم لي المنحة الرئاسية لإكمال وإتمام دراستي في مرحلة الماجستير.

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب: الأدب، باب: (١٢) في شكر المعروف، (٤/٢٠٥٥)، صحيح سنن أبي داود: للألباني (٣/١٨٢).

الفصل التمهيدي

مفهوم الإعراض ونظائره بين المعنى اللغوي والمنظور القرآني

أولاً: الإعراض لغة واصطلاحاً.

ثانياً: نظائر الإعراض في السياق القرآني.

الفصل التمهيدي

مفهوم الإعراض ونظائره بين المعنى اللغوي والمنظور القرآني

أولاً: الإعراض لغة واصطلاحاً:

الإعراض لغةً:

جاء الإعراض في كتب اللغة في إطار الجذر "عَرَضَ"، وقد أورد أهل اللغة معاني لغوية عدة له.

أعرض الشيء: ظهر وبرز وأعرض يُعرض إِعراضاً: ظهر الشيء من بعيد أمام الناظر: ومنه أعرض الطيبي للصائد: ظهر أمامه وأعرض للرجل مطلوبه: صار المطلوب في متناول يده. وأعرض الرجل عن صاحبه: صد عنه وولاه ظهره. وتعرض له تصدى له. قال الراغب^(١) في مفرداته: أعرض: أظهر عرضه أي ناحيته فإذا قيل: أعرض لي كذا أي: بدأ عرضه فأمكن تناوله.

وإذا قيل: أعرض عني فمعناه ولى مبدياً عرضه قال رَبِّهِ: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [السجدة: ٢٢]، وقال رَبِّهِ: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظُّهُمْ﴾ [النساء: ٦٣]، وقال رَبِّهِ: ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال رَبِّهِ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِي﴾ [طه: ١٢٤]، وقال رَبِّهِ: ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ﴾^(٢) [الأنبياء: ٣٢].

(١) الراغب الأصفهاني: (٥٠٢ هـ - ١١٠٨ م) هو الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرب بالإمام الغزالي، من كتبه (محاضرات الأدباء - الذريعة إلى مكارم الشريعة - الأخلاق ويسمى (أخلاق الراغب - جامع التفاسير - المفردات في غريب - وغيرهم الكثير ...) ؛ الأعلام: للزركلي (٢٥٥/٢). البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (١٩/١)، انظر: موسوعة الأعلام: موقع وزارة الأوقاف المصرية (٢٢١/١).

(٢) المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني (ص ٣٣).

وقال ابن فارس^(١): ومن الباب أعرضت عن فلان وأعرضت عن هذا لأمر وأعرض بوجهه لأنه إذا كان كذا ولاه عرضه^(٢).

الإعراض في الاصطلاح:

"الإعراض هو الصد والتولي عن ذكر الله ﷻ ومعنى أعرض: أي أعرض وانصرف وتولى عن القرآن والدلائل التي أنزلها الله لعباده ولم ينظر فيها"^(٣).

وعرف الشعراوي الإعراض فقال: "الإعراض هو الانصراف وأن تعطيه عرض أكتافك"

من خلال المعنى اللغوي ممكن أن تعرف الباحثة الإعراض بالمصطلح التالي: هو الصد عن الشيء أو تجاهله أو التولي عنه، وإدارة الظهر وعدم الالتفات إليه والاهتمام به.

فمن انشغل عن ذكر الله وابتعد عن التعلق بالله أو وقف في سبيل انتشار الدين وحاربه وخاصمه فهو معرض عن الذكر صادقاً عنه وقد تولاه الشيطان واستشرفه، ومن تولى عن القرآن وأعرض عنه تلاوةً وتدبراً وعملاً فهو معرض عن كتاب الله ﷻ.

والذي يحتكم إلى القوانين الوضعية ويرغب عن أحكام الله الواضحة في القرآن والسنة فهو معرض عن كتاب الله وذكر الله.

ومن تبع الأهواء والآراء والأمزجة الناتجة عن العقول المخالفة لمنهج الله - فهو معرض عن

الذكر الحكيم.

(١) ابن فارس: (٣٢ - ٣٩٥ هـ - ٩٤١ - ١٠٠٤ م) هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه البديع الهمداني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته. من تصانيفه (مقاييس اللغة المجلد - الصاحب في علم العربية - جامع التأويل في تفسير القرآن - النيروزو غيرهم الكثير...); الأعلام: للزركلي (١/١٩٣)، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (١/١١٨)، انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد (٣/٣٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس (٤/٢٧١-٢٧٢).

(٣) أضواء البيان: للشنقيطي (٤/١٥٥).

(٤) تفسير الشعراوي: الشعراوي (١/٥٧٩٤).

صيغ الإعراض الواردة في القرآن

جاء ذكر الإعراض مصرحاً به في القرآن في واحد وثلاثين موضعاً عبر أربع وستين آية، ولقد تنوعت صيغ الإعراض التي جاءت للتعبير عنه وهذا بيانها^(١).

أولاً: - التعبير بصيغ الفعل:

جاء التعبير بصيغ الفعل في تسعة وأربعين موضعاً

١. التعبير بصيغة الفعل الماضي: انظر جدول رقم (١).

جاء التعبير في هذه الصيغة في خمسة وعشرين موضعاً وهي كالتالي:-

أ- التعبير بصيغة المفرد الغائب:

- عُرِضَ (في موضع واحد).

- أَعْرَضَ (في ثمانية مواضع).

- عَرَضَ (في خمسة مواضع).

- عَرَضَهُم (في موضع واحد).

ب- التعبير بصيغة الجمع الغائب:

- عُرِضُوا (في موضع واحد).

- أَعْرَضُوا (في أربعة مواضع).

ت- التعبير بصيغة الجمع المخاطب:

- عَرَضْتُمْ (في موضع واحد).

- أَعْرَضْتُمْ (في موضع واحد).

ث- التعبير بصيغة الجمع المتكلم:

- عَرَضْنَا (في موضعين).

جدول رقم (١)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	المفرد الغائب (المبني للمجهول)	عُرِضَ	١	سورة ص ٣١
		أَعْرَضَ	٨	الإسراء ٨٣ - الكهف ٥٧ - طه ١٤ ، ١٢٤ - السجدة ٢٢ - فصلت ٤ ، ٥١ - التحريم ٣
	المفرد الغائب في	اعْرَضَ	٥	الأعراف ١٦٩ ، ١٦٩ - الأنفال ٦٧ -

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: فؤاد عبد الباقي (٥٦١/٥٦٢).

النور ٣٣- النساء ٩٤			الماضي	
البقرة ٣١	١	عرضهم		
الكهف ٤٨	١	عَرَضُوا	الجمع الغائب	٢.
القصص ٥٥- سبأ ١٦- فصلت ١٣- الشورى ٤٨	٤	أَعْرَضُوا		
البقرة ٢٣٥	١	عَرَّضْتُمْ	الجمع المخاطب	٣.
الإسراء ٦٧	١	أَعْرَضْتُمْ		
الكهف ١٠٠- الأحزاب ٧٢	٢	عرضنا	الجمع المتكلم	٤.

٢. التعبير بصيغة الفعل المضارع: انظر جدول رقم (٢)

جاء التعبير بهذه الصيغة في اثني عشر موضعاً

أ- التعبير بصيغة المفرد الغائب:

▪ يُعْرَضُ (في موضعين).

▪ يُعْرَضُ (في موضع واحد).

ب- التعبير بصيغة المفرد المخاطب:

▪ تُعْرَضُ (في موضع واحد).

ت- التعبير بصيغة الجمع الغائب:

▪ يُعْرَضُوا (في موضع واحد).

▪ يُعْرَضُونَ (في ثلاثة مواضع).

ث- التعبير بصيغة الجمع المخاطب:

▪ تُعْرَضُونَ (في موضع واحد).

▪ تُعْرَضَنَّ (في موضع واحد).

- تُعْرَضُوا (في موضعين).

جدول رقم (٢)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	المفرد الغائب	يُعْرَضُ	٢	الأحقاف ٢٠-٣٤
		يُعْرَضُ	١	الجن ١٧
٢.	المفرد المخاطب	تُعْرَضُ	١	المائدة ٤٢

٣.	الجمع الغائب	يُعرضوا	١	القمر ٢
		يُعرضون	٣	هود ١٨ - غافر ٤٦ - الشورى ٤٥
٤.	الجمع المخاطب	تعرضون	١	الحاقة ١٨
		تعرضن	١	الإسراء ٢٨
		تعرضوا	١	النساء ١٣٥ - التوبة ٩٥

٣. التعبير بصيغة فعل الأمر: انظر جدول رقم (٣)

جاء التعبير بهذه الصيغة في ثلاثة عشر موضعاً

أ - التعبير بصيغة المفرد المخاطب:

- أعرض (في أحد عشر موضعاً).

ب - التعبير بصيغة الجمع المخاطب:

- فأعرضوا (في موضعين).

جدول رقم (٣)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	المفرد المخاطب	أعرض	١١	النساء ٦٣ - النساء ٨١ - المائدة ٤٢ - الأنعام ٦٨ - الأنعام ١٠٦ - الأعراف ١٩٩ - هود ٧٦ - يوسف ٢٩ - الحجر ٩٤ - السجدة ٣٠ - النجم ٢٩.
٢.	الجمع المخاطب	فأعرضوا	٢	النساء ١٦ - التوبة ٩٥.

ثانياً: التعبير بصيغ الاسم: انظر جدول رقم (٤)

جاء التعبير بصيغ الاسم في اثنتي عشرة صيغة في ثلاثين موضعاً.

١. التعبير بالمصدر من الفعل الثلاثي بصيغة المفرد "عَرَضَ" وذلك في مواضع:

- عرضاً (١).
- عرضها (٢١).

٢. التعبير عن الإعراض بالمصدر من الفعل الرباعي بصيغة المفرد:

(إعراضاً) وذلك في موضع واحد.

٣. التعبير عن الإعراض بالمصدر من الفعل الرباعي بصيغة الجمع:

(إعراضهم) وذلك في موضع واحد.

٤. التعبير باسم الفاعل بصيغة الجمع:

- معرضون (١٤). - معرضين (٥).

٥. التعبير باسم الفاعل بصيغة المفرد

- (عارض - عارضاً) وذلك في موضعين

٦. هناك مصادر على وزن فعيل

- (عريض) وجاءت في موضع واحد.

٧. وأخرى على وزن فعلة

- (عُرْضة) وجاءت في موضع واحد.

جدول رقم (٤)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	مصدر الفعل الثلاثي (عَرَض)	عَرَض	١	الحديد ٢١
		عارضاً	١	الكهف ١٠٠
		عَرَضُهَا	٢	آل عمران ١٣٣ - الحديد ٢١
٢.	مصدر الفعل الرباعي (أعرض)	إِعْرَاضاً	١	النساء ١٢٨
٣.	مصدر الفعل الرباعي بصيغة الجمع	إِعْرَاضَهُمْ	١	الأنعام ٣٥
٤.	اسم الفاعل بصيغة الجمع	معرضون	١٤	البقرة ٨٣ - آل عمران ٢٣ - الأنفال ٢٣ - التوبة ٧٦ - يوسف ١٠٥ - الأنبياء ١، ٢٤، ٣٢، ٤٢ - المؤمنون ٣، ٧١ - النور ٤٨ - ص ٦٨ - الأحقاف ٣.
			٥	الأنعام ٤ - الحجر ٨١ - الشعراء ٥ - يس ٤٦ - المدثر ٤٩.
٥.	اسم الفاعل بصيغة المفرد	عارض	١	الأحقاف ٢٤
		عارضاً	١	الأحقاف ٢٤
٦.	مصادر على وزن فعيل	عريض	١	فصلت ٥١
٧.	مصادر على وزن فعلة	عُرْضة	١	البقرة ٢٢٤
		عارضاً	١	التوبة ٤٢

ثانياً: نظائر الإعراض الواردة في السياق القرآني

قد وردت ألفاظ تحمل معنى الإعراض والتي يطلق عليها بعض العلماء النظائر، ومن نظائر الإعراض في القرآن الكريم ما يلي:

١. التولي:

▪ التولي لغةً:

- التولي: مصدر تولَّى، وأصله الثلاثي وتلَّى، والتولَّى يأتي في اللغة بمعاني كثيرة، منها:
- النصر: ويقال: توليت فلاناً أي اتخذته ولياً. والإتباع والرضا، يقال: توليته: أطعته. والولى هو النصير الحليف والمحب^(١).
 - تقليد زمام الأمور^(٢): ومنه قوله ﷺ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢].

قال أبو العالية^(٣): توليتكم الحكم فجعلتم حكاماً أن تفسدوا في الأرض بأخذ الرشا وفعل المرء الشيء بنفسه قال ﷺ: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]، أي ولى وزر الإفك وإشاعته^(٤).

وتأتي بمعنى الرجوع والإدبار والإعراض والإقبال حيث يقال: تولى إليه أي أقبل، ومنه قوله ﷺ: ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ [القصص: ٢٤]^(٥)، وتولى الشيء وتولَّى: أدبَر، وتولى عنه: أعرض عنه أو تَأَى^(٦).

ويظهر بما تقدم أن التولي يأتي بعده معاني على حسب موقع الكلمة في سياق الجملة

١) القاموس المحيط: للفيروزآبادي (٤/٤٠٤)، ولسان العرب: ابن منظور (٣/٩٨٦)، والكلبيات: أبو البقاء الكفوي (٢/٩٧).

٢) القاموس المحيط: للفيروزآبادي (٤/٤٠٤)؛ لسان العرب: ابن منظور (٣/٩٨٧).

٣) أبو العالية: هو رفيع بن مهران الرياحي البصري: مولى امرأة من بني رباح من تميم. أدرك الجاهلية وأسلم بعد موت النبي ﷺ بسنتين ودخل على أبي بكر وصلى خلف عمر. توفي سنة ست ومائة وقيل سنة ثلاث وتسعين وذكر الحسن لأبي العالية فقال: رجل مسلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأدركنا الخير وتعلمنا قبل أن يولد الحسن. وقال مغيرة: كانوا يقولون: أشبه رجل بالبصرة علماً بإبراهيم أبو العالية. انظر: طبقات الفقهاء: أبو إسحاق الشيرازي (١/٨٨)، انظر: تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني (٣/٢٤٦).

٤) لسان العرب: ابن منظور (٣/٩٨٨).

٥) الكلبيات: أبو البقاء الكفوي (٢/٩٧).

٦) التحرير والتنوير: بن عاشور (١٩/٢٢٨).

■ التولي اصطلاحاً:

هو الإدبار والرجوع والإعراض والتولي قد يكون بالجسم وقد يكون بترك الإصغاء والانتظار
قال ﷺ: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

وتولى إذا عدي بعن لفظاً أو تقديراً اقتضى معنى الإعراض ومنه قوله ﷺ: ﴿قَالَ قَوْلَ عَنَّهُمْ﴾ [الصفات: ١٧٤] وقوله ﷺ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٢]^(١).

إذن تفسير تولى على ستة أوجه: (انصرف- أبى- أعرض- انهزم- الإلتباع-الولاية).

١. تولى: يعنى انصرف، فذلك في قوله ﷺ ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ [القصص: ٢٤] يعنى: انصرف:

وقوله ﷺ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُمْ﴾ [النمل: ٢٨] يعنى: انصرف عنهم وقال ﴿قُلْتُ لَأَجِدَنَّكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَتْهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَرْبًا﴾ [التوبة: ٩٢] يقول انصرفوا عنك وأعينهم تفيض من الدمع.

٢. تولوا يعنى: أبوا فذلك قوله ﷺ ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَولِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يعنى: أبوا الهجرة ﴿فَخَذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٩] وقال ﴿وَاحْذَرُوا أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٨] يعنى: فإن أبوا ولا يرضوا بحكمك.

٣. تولوا يعنى: أعرضوا فذلك قوله ﷺ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يعنى: فإن أعرضوا عن طاعتهم، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤] وقوله ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [يونس: ٧٢]، يعنى: فإن أعرضتم عن الإيمان فما سألتكم من أجر وقال ﷺ أيضاً ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ﴾ [الذاريات: ٥٤] تولى: فأعرض عنهم وابتعد.

٤. تولّى: يعنى: الهزيمة: كقوله ﴿فَلَا تَتَوَلَّوْا الْاَدْبَارَ﴾ يعنى الهزيمة، يعنى: لا تتهزموا، ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦] يعنى: يوم بدر منهزماً.

وقال ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُوا الْاَدْبَارَ﴾ [الأحزاب: ١٥] منهزمين وقال ﴿وَصَاقَتْكُمْ عَلَىٰكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ثُمَّ لِيْتَمَّ مَدْيَنَ﴾ [التوبة: ٢٥] يعنى: منهزمين.

٥. التولي: بمعنى الإلتباع فذلك قوله ﷺ: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾

[محمد: ٣٨].

(١) انظر الموسوعة الفقهية (١٤/٢٣٤) حقوق الطبع محفوظة لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت.

٦. التولي: بمعنى الولاية فذلك قوله ﷺ: ﴿فَلتَوَلَّيْنَاك قِبلةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤] (١).

صيغ التولي في القرآن الكريم

أولاً: التعبير بصيغ الفعل:

جاء التعبير بصيغ الفعل في مئة وعشر مواضع.

١. التعبير بصيغة الفعل الماضي: انظر جدول رقم (٥) ٢

جاء التعبير بهذه الصيغة في إحدى وسبعين موضعاً وهي كالتالي:

أ- التعبير بصيغة المفرد الغائب:

- تولى (عشرون موضعاً).
- تولاه (موضع).
- تول (خمسة مواضع).
- ولى (ثلاثة مواضع).
- ولاهم (موضع).

ب- التعبير بصيغة المفرد المخاطب:

- توليت (موضع).

ت- التعبير بصيغة الجمع الغائب:

- تولوا (خمسة مواضع).
- تولوا (عشرون موضعاً).
- ولوا (ستة مواضع).

ث- التعبير بصيغة الجمع المخاطب:

- توليتم (ثمانية مواضع).
- وليتم (موضع).

(١) انظر: الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (٢٨/١)، (٣٠٩/١)، انظر: الجامع

لأحكام القرآن: القرطبي (١٨/٢)، انظر: تفسير الشعراوي (٥٣٤/١).

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي (٨٥٥/٨٥٤).

جدول رقم (٥)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	المفرد الغائب	تولى	٢٠	البقرة ٢٥ - آل عمران
				٨٢ - النساء ٨ - النساء ١١٥ - الأعراف ٧٩ - الأعراف ٩٣ - يوسف ٨٤ - طه ٤٨ - طه ٦٠ - النور ١١ - القصص ٢٤ - الذاريات ٣٩ - النجم ٢٩ - النجم ٣٣ - المعارج ١٧ - القيامة ٣٢ - عبس ١ - الغاشية ٢٣ - الليل ١٦ - العلق ١٣
		تولاه	١	الحج ٤
		تول	٥	النمل ٢٨ - الصافات ١٧٤ - الصافات ١٧٨ - الذاريات ٥٤ - القمر ٦
		ولى	٣	النمل ١٠ - القصص ٣١ - لقمان ٧
		ولاهم	١	البقرة ١٤٢
٢.	المفرد المخاطب	لوليت	١	الكهف ١٨٠
٣.	الجمع الغائب	تولوا	٥	آل عمران ٣٢ - الأنفال ٢٠ - هود ٣ - هود ٥٧ - النور ٥٤
		تولوا	٢٠	البقرة ١٣٧ - البقرة ٢٤١ - آل عمران ٢٠ - آل عمران ٣٢ - آل عمران ٦٣ - آل عمران ٦٤ - آل عمران ١٥٥ - النساء ٨٩ - المائدة ٤٩ - الأنفال ٢٣ - الأنفال ٤٠ - التوبة ٧٦ - التوبة ٩٢ - التوبة ١٢٩ - النحل ٨٢ - الأنبياء ١٠٩ - الصافات ٩٠ - الدخان ١٤ - المجادلة ١٤ - التغابن ٦
		ولوا	٦	التوبة ٥٧ - الإسراء ٤٦ - النمل ٨٠ - الروم ٥٢ - الأحقاف ٢٩ - الفتح ٢٢
٤.	الجمع المخاطب	توليتم	٨	البقرة ٦٤ - البقرة ٨٣ - المائدة ٩٢ - التوبة ٣ - يونس ٧٢ - محمد ٢٢ - الفتح ١٦ - التغابن ١٢
		وليتم	١	التوبة ٢٥

١. التعبير بصيغة الفعل المضارع: انظر جدول رقم (٦)

جاء التعبير بصيغة الفعل المضارع في ثلاثة وثلاثين موضعاً.

أ- التعبير بصيغة المفرد الغائب:

- يتولى (ثلاثة مواضع).
- يتولوا (أربعة مواضع).
- يتولهم (ثلاثة مواضع).
- يتولهم (موضع).

ب- التعبير بصيغة الجمع الغائب:

- يتولون (موضعان).
- يتولون (موضع).
- يتولون (موضع).
- يتولون (موضع).
- يتولون (موضع).
- يتولون (موضع).

ت- التعبير بصيغة الجمع المخاطب:

- تتولوا (أربعة مواضع).
- وليتم (موضع).
- تولوا (ثلاثة مواضع).
- تولون (موضع).
- تولوهم (موضع).

ث- التعبير بصيغة الجمع المتكلم:

- نوله (موضع).
- فلنولينك (موضع).
- نولي (موضع).

جدول رقم (٦)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضوع
١.	المفرد الغائب	يتول	٤	المائدة ٥٦ - الفتح ١٧ - الحديد ٢٤ - الممتحنة ٦
		يتولى	٣	آل عمران ٢٣ - الأعراف ١٦٩ - النور ٤٧
		يتولهم	٣	المائدة ٥١ - التوبة ٢٣ - الممتحنة ٩
		يولهم	١	الأنفال ١٦
٢.	الجمع الغائب	يتولوا	٢	التوبة ٥٠ - التوبة ٧٤
		يولونكم	١	
		ليولن	١	الحشر ١٢
		يتولون	٢	المائدة ٤٣ - المائدة ٨٠
		يولوكم	١	آل عمران ١١١
		يولون	٢	الأحزاب ١٥ - القمر ٤٥
		يتولونه	١	النحل ١٠٠
			٤	
٣.	الجمع المخاطب	تتولوا	٤	
		تولوهم	١	الأنفال ١١٥
		وليتم	١	التوبة ٢٥
		ثولوا	٣	البقرة ١١٥ - البقرة ١٧٧ - الأنبياء ٥٧
		تولون	١	غافر ٣٣
		تولوهم	١	الأنفال ١١٥
			١	النساء ١١٥
٤.	الجمع المتكلم	نوله	١	النساء ١١٥
		نولي	١	الأنعام ١٣٩
		فلنولينك	١	البقرة ١٤٤

١. التعبير بصيغة الأمر: انظر جدول رقم (٧)

جاء التعبير بصيغة فعل الأمر في خمسة مواضع كالتالي:

أ- التعبير بصيغة المفرد للمخاطب:

- فول (ثلاثة مواضع).

- ب- التعبير بصيغة الجمع للمخاطب:
- فولوا (في موضعين).

جدول رقم (٧)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	المفرد المخاطب	فول	٣	البقرة ١٤٤ - البقرة ١٤٩ - البقرة ١٥٠
٢.	الجمع المخاطب	فولوا	٢	البقرة ١٤٤ - البقرة ١٥٠

٢. الهجر:

▪ الهجر في اللغة:

الهجر يأتي بمعنى الترك والبعد عن الشيء، ويأتي بمعان أخرى على حسب مجيء الكلمة في سياق الكلام، وعندما نتبصر في موارد (هجر) في لسان العرب نجدها على سبعة أوجه وهي: (ضد الوصل، ما لا ينبغي من القول، مجانية الشيء - ومنه: الهجرة، هذيان المريض. انتصاف النهار، الشاب الحسن، الحبل الذي يُشدُّ في البعير).

ونظرنا في هذه الموارد، فألفيناها تدور على حرف واحد، وهو: البعد عن الشيء.

وجاءت مادة (هجر) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه^(١)، هي:

أولاً: السب.

ومنه قوله ﷺ: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧]، تَهْجُرُونَ: أي تَتَكَلَّمُونَ هُجْرًا أي طَعْنًا بِالْقُرْآنِ أَوْ بِمُحَمَّدٍ (٢).

وقوله ﷺ: ﴿إِنْ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، ﴿مَهْجُورًا﴾ أي: شيئاً متروكاً لا يلفت إليه^(٣).

ثانياً: تحويل الوجه في الفراش عن الزوجة.

ومنه قوله ﷺ: ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ [النساء: ٣٤]، أي: اعتزلوا إلى فراش آخر إن أظهرن النشوز^(٤).

(١) ذكرها الفقيه الدامغاني في "إصلاح الوجوه والنظائر" (ص ٤٧١ - ٤٧٢).

(٢) أيسر التفاسير: لأسعد حومد (١/ ٢٦٢٠).

(٣) أيسر التفاسير: للجزائري (٣/ ٨٥).

(٤) تفسير الجلالين: للسيوطي (٢/ ٢٦).

ثالثاً: الإنفراد والعزلة.

ومنه قوله ﷺ: ﴿واهجروهم هجراً جميلاً﴾ [المزمل: ١٠]، أي: اعتزلهم. وقيل: أي أعرض عنهم جهازاً دافعاً للهرج مهما أمكن^(١).

ومنه قوله ﷺ: ﴿واهجروني ملياً﴾ [مريم: ٤٦]، أي: اعتزلني ما دمت حياً صحيحاً، ولا تكلمني.

فالأصل في الهجر: الترك فعلاً كان أو قولاً، وهو المعنى المشترك بين الآيات جميعاً.

صيغ الهجر في القرآن الكريم

▪ (الهجر):

أولاً: التعبير بصيغ الفعل:

جاء التعبير بصيغ الفعل في واحد وعشرين موضعاً.

١. التعبير بصيغة الفعل الماضي: انظر جدول رقم (٨)

جاء التعبير بهذه الصيغة في أحد عشر موضعاً وهي كالتالي:

أ- التعبير بصيغة المفرد الغائب:

- هاجر (موضع).

ب- التعبير بصيغة الجمع الغائب:

- هاجروا (تسعة مواضع).

- هاجرن (موضع).

جدول رقم (٨)^٢

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	المفرد الغائب	هاجر	١	الحشر ٩
٢.	الجمع الغائب للمذكر	هاجروا	٩	البقرة ٢١٨ - آل عمران ١٩٥ - الأنفال ٧٢، ٧٤، ٧٥ - التوبة ٢٠٠ - النحل ٤١، ١١٠ - الحج ٥٨.
٣.	الجمع الغائب للمؤنث	هاجرن	١	الأحزاب ٥٠

(١) نظم الدرر: للبقاعي (٢٢٧/٩).

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي (٨٢٢).

٢. التعبير بصيغة الفعل المضارع: انظر جدول رقم (٩)

جاء التعبير بهذه الصيغة في ستة مواضع وهي كالتالي:

- أ- التعبير بصيغة المفرد الغائب:
 - يهاجر (موضع).
 ب- التعبير بصيغة الجمع الغائب:
 - يهاجروا (ثلاثة مواضع).
 - تهجرون (موضع).
 - تهاجروا (موضع).

جدول رقم (٩)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	المفرد المخاطب	يهاجر	١	النساء ١٠٠
٢.	الجمع الغائب	يهاجروا	٣	النساء ٨٩ - الأنفال ٧٢ - الأنفال ٧٢
		تهجرون	١	المؤمنون ٦٧
		تهاجروا	١	النساء ٩٧

٣. التعبير بصيغة فعل الأمر: انظر جدول رقم (١٠)

جاء التعبير بهذه الصيغة في أربعة مواضع وهي كالتالي:

- أ- التعبير بصيغة المفرد المخاطب:
 - فاهجر (موضع).
 - واهجرني (موضع).
 - واهجرهم (موضع).
 ب- التعبير بصيغة الجمع المخاطب:
 - واهجروهن (موضع).

جدول رقم (١٠)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	المفرد المخاطب	فاهجر	١	المدثر ٥
		واهجرني	١	مريم ٤٦
		واهجرهم	١	المزمل ١٠
٢.	الجمع المخاطب	واهجروهن	١	النساء ٣٤

ثانياً: التعبير بصيغ الاسم: انظر جدول رقم (١١)

جاء التعبير بصيغ الاسم في عشر مواضع.

- أ- التعبير بصيغة المصدر للفعل الثلاثي:
- هجراً (موضع).
- ب- التعبير باسم الفاعل بصيغة المفرد:
- مهاجراً (موضع).
- مهاجر (موضع).
- ت- التعبير باسم الفاعل بصيغة الجمع:
- مهاجرات (موضع).
- مهاجرين (خمسة مواضع).
- ث- التعبير باسم المفعول بصيغة المفرد:
- مهجوراً (موضع).

جدول رقم (١١)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	المصدر للفعل الثلاثي	هَجْرًا	١	المزمل ١٠
٢.	التعبير باسم الفاعل بصيغة المفرد	مهاجراً	١	النساء ١٠٠
		مهاجر	١	العنكبوت ٤٦
٣.	التعبير باسم الفاعل بصيغة الجمع	مهاجرات	١	المتحنة ١٠
		مهاجرين	٥	التوبة ١٠٠ ، ١١٧ - النور ٢٢ - الأحزاب ٦ - الحشر ٨.
٤.	التعبير باسم المفعول بصيغة المفرد	مهجوراً	١	الفرقان ٣٠

٣- الصد:

لقد ورد لفظ الصد في القرآن الكريم بمشتقاته في ثلاثة وأربعين مرة - في اثنتان وأربعون آية، تسعة عشر آية مكية وثلاثة وعشرون آية مدنية.

▪ الصد لغة:

يقول ابن منظور: " الصد: الإعراض والصدوف. صد عنه يصد و يصد صدًا وصدودًا: أعرض، قال الله ﷻ: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل:٤٣]؛ أي: صدّها كونها من قوم كافرين عن الإيمان"^(١).

قال ابن فارس: " صدّ: (الصاد والذال) معظّم بابه يؤول إلى إعراضٍ وعُدولٍ،.. فالصدّ: الإعراض، يقال صدّ يصدّ، وهو مِيلٌ إلى أحد الجانبين..."^(٢).

إذن تفسير الصد على أربعة أوجه: (الإعراض_المنع_الضجيج_تصدى أي: تقبل بوجهك إليه):

الوجه الأول: يصدون أي يعرضون قوله ﷻ: ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [سورة النساء: ٦١].
الوجه الثاني: الصد : المنع قوله ﷻ: ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ [الأعراف:٤٥]، أي: يمنعون الناس عن الإيمان والدخول في دين الله.

الوجه الثالث: يصدون أي: يضحون، قوله ﷻ: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُمْ يصدون﴾ [الزخرف: ٥٧] أي: يضحون عن سماعهم للحق المتمثل في القرآن ودعوة رسول الله ﷺ.
الوجه الرابع: تصدى: أقبل بوجهه عليه قوله ﷻ: ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ [عبس:٦]، أي تقبل بوجهك عليه.

▪ الصد اصطلاحاً:

جاء في تعريف الصد اصطلاحاً بأنه: "الامتناع والانصراف عن الصراط القويم بنية الإعراض عنه وعدم قبول الحق"^(٣).

(١) لسان العرب: لابن منظور (٣/٢٤٠٩).

(٢) معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكريا (٣/٢٨٢).

(٣) مجلة الجامعة الإسلامية: سلسلة الدراسات الشرعية، المجلد ١٢، العدد الثاني (ص ٣٦).

صيغ الصد في القرآن الكريم

أولاً: التعبير بصيغ الفعل:

جاء التعبير بصيغ الفعل في تسعة وثلاثين موضعاً.

١. التعبير بصيغة الفعل الماضي: انظر جدول رقم (١٢)

جاء التعبير في هذه الصيغة في تسعة عشر موضعاً وهي كالتالي:

أ- التعبير بصيغة المفرد الغائب:

- صدَّ (موضع).
- صدَّ (موضع).
- صدها (موضع).
- صدَّ (موضع).
- صدَّ (موضع).
- صدَّ (موضع).

ب- التعبير بصيغة الجمع الغائب:

- صدوا (ثمانية مواضع).
- صدوا (ثمانية مواضع).
- صدوا (موضع).
- صدوا (موضع).
- صدوا (موضع).
- صدوا (موضع).

ت- التعبير بصيغة الجمع المخاطب:

- صدتكم (موضع).

ث- التعبير بصيغة الجمع المتكلم:

- صددناكم (موضع)

جدول رقم (١٢)^(١)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	المفرد الغائب	صدَّ	١	النساء ٥٥
		صدَّ	١	غافر ٣٧
		صدها	١	النحل ٤٣
		صدهم	٢	النمل ٢٤ - العنكبوت ٣٨
٢.	الجمع الغائب	صدوا	٨	النساء ١٦٧ - التوبة ٩ - النمل ٨٨ - محمد ١، ٣٢، ٣٤ - المجادلة ١٦ - المنافقون ٢.
		صدوكم	٢	المائدة ٥ - الفتح ٢٥.
		صدُّوا	١	الرعد ٣٣
		بصدِّهم	١	النساء ١٦٠

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي (٤٩٥/٤٩٦).

٣.	الجمع المخاطب	صددتم	١	النحل ٩٤
٤.	الجمع المتكلم	صددناكم	١	سبأ ٣٢

٢. التعبير بصيغة الفعل المضارع: انظر جدول رقم (١٣)

جاء التعبير في هذه الصيغة في عشرين موضعاً وهي كالتالي:

أ- التعبير بصيغة المفرد الغائب:

- يَصُدُّكُمْ (في موضعين).

- يَصُدُّنَاكُمْ (موضع).

- يَصُدُّنَاكُمْ (موضع).

- يَصُدُّنَاكُمْ (موضع).

ب- التعبير بصيغة الجمع الغائب:

- يَصِدُّونَ (موضع).

- يَصِدُّونَهُمْ (موضع).

- لِيَصِدُّوا (موضع).

- يَصِدُّونَ (تسعة مواضع).

ت- التعبير بصيغة الجمع المخاطب:

- تَصِدُّونَ (في موضعين).

- تَصِدُّونَا (موضع).

جدول رقم (١٣)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	المفرد الغائب	يَصُدُّكُمْ	٢	المائدة ٩١ - سبأ ٤٣
		يَصُدُّنَاكُمْ	١	طه ١٦
		يَصُدُّنَاكُمْ	١	القصص ٨٧
		يَصِدُّنَاكُمْ	١	الزخرف ٦٢
٢.	الجمع الغائب	يَصِدُّونَ	١	الزخرف ٥٧
		يَصِدُّونَهُمْ	١	الزخرف ٣٧
		لِيَصِدُّوا	١	الأنفال ٣٦
		يَصِدُّونَ	٩	النساء ٦١ - الأعراف ٤٥ - الأنفال ٤٣ - الأنفال ٤٧ - التوبة ٣٤ - هود ١٩ - إبراهيم ٣ - الحج ٢٥ - المنافقون ٥
٣.	الجمع المخاطب	تَصِدُّونَ	٢	آل عمران ٩٩ - الأعراف ٨٦
		تَصِدُّونَا	١	إبراهيم ١٠

٣. التعبير بصيغة الاسم: انظر جدول رقم (١٤)

- جاء التعبير بهذه الصيغة في موضعين وهي كالتالي:

جدول رقم (١٤)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	مصدر الفعل الثلاثي (صدّ)	صدُّ	٢	البقرة ٢١٧
		صدودا	١	النساء ٦١

٣. الترك:

- **الترك لغةً:** قال الليث^(١): التَّرْكُ: ودعك شيئاً تتركه تركاً. وقال غيره: التَّرْكُ الإبقاء في قول الله جل وعز: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٨]، أي: أبقينا عليه ذكراً حسناً.
 - التَّرْكُ يُقَالُ: عَفَّ عَنِ الشَّيْءِ إِذَا كَفَّ عَنْهُ وَتَعَفَّفَ إِذَا تَكَفَّفَ فِي الْإِمْسَاكِ^(٢).
 - الترك رفض الشيء قصداً واختياراً نحو واترك البحر رهواً أو قهراً واضطراراً نحو: كم تركوا من جنات، ومنه "تركة الميت لما يخلفه بعد موته"، أي: متروك بعده وهي عرفاً ماله الصافي عن تعلق حق الغير بعينه^(٣).
- الترك هو إما مفارقة ما يكون الإنسان فيه أو تركه الشيء رغبة عنه من غير دخول فيه ومتى علق بمفعول واحد يكون بمعنى الطرح أو التخلية والدعة وإذا علق بمفعولين كان متضمناً معنى التصيير فيجري مجرى أفعال القلوب ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٨]، أي أبقينا

(١) الليث بن سعد: (٩٤ - ١٧٥ هـ = ٧١٣ - ٧٩١ م) هو: الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي بالولاء إمام أهل مصر في عصره. حديثاً وفقها كانت له مكانة عظيمة قال ابن تغري بردي: "كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره، بحيث أن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته". أصله من خراسان، ومولده في قلفشندة، ووفاته في القاهرة. وكان من الكرماء الأجواد.

وقال الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به. أخباره كثيرة، وله تصانيف. ولابن حجر العسقلاني، كتاب "الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية) انظر: الأعلام: للزركلي (٢٤٨/٥)؛ موسوعة الأعلام: موقع وزارة الأوقاف المصرية <http://www.islamic-council.com>، انظر: تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(١٦٤/١).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي (٣٣٨/١).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي الناشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ (١٧٣/١).

وترك الشيء رفضه قصداً واختياراً أو قهراً واضطراباً فمن الأول ﴿ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ مَرْهُوًّا ﴾ [الدخان: ٢٤]، ومن الثاني ﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاتٍ وَعَيْبُونَ ﴾ [الدخان: ٢٥]، والترك عدم فعل المقدور سواء كان هناك قصد من التارك أو لا كما في حالة النوم والغفلة وسواء تعرض لضده أو لم يتعرض وأما عدم فعل^(١)، الترك بمعنى الهجر يقال هجرت الشيء هجراً إذا تركته وأغفلته^(٢).

الترك اصطلاحاً: ترى الباحثة من خلال المعنى اللغوي تعريفاً للترك وهو: هجر الشيء أو العفو عنه أو الطرح له أو رفضه وعدم الاهتمام به.

صيغ الترك في القرآن الكريم

أولاً: التعبير بصيغ الفعل:

جاء التعبير بصيغ الفعل في ثمانية وثلاثين موضعاً.

١. التعبير بصيغة الفعل الماضي: انظر جدول رقم (١٥)

- جاء التعبير بهذه الصيغة في ستة وعشرين موضعاً وهي كالتالي:

أ- التعبير بصيغة المفرد الغائب:

▪ ترك (اثني عشر موضعاً).

ب- التعبير بصيغة الجمع الغائب:

▪ تركن (موضع).

ت- التعبير بصيغة الجمع المخاطب:

- تركتم (ثلاثة مواضع).

- تركتموها (موضع).

ث- التعبير بصيغة المفرد للمتكلم:

▪ تركت (في موضعين).

ج- التعبير بصيغة الجمع المتكلم:

- تركناها (موضع).

- تركنا (ثمانية مواضع).

(١) الكليات: لأبي البقاء الكفومي (١/٤٥٨).

(٢) لسان العرب: ابن منظور (٦/٤٦١٧).

جدول رقم (١٥) (١)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	المفرد الغائب	ترك	١٢	البقرة ١٨٠، ٢٤٨ - النساء ٧ - النساء ٧ - النساء ١١ - النساء ١١ - النساء ١٢ - النساء ٣٣ - النساء ١٧٦ - النساء ١٧٦ - النحل ٦١ - فاطر ٤٥.
٢.	الجمع الغائب	تركن	١	النساء ١٢
٣.	الجمع المخاطب	تركتن	٣	النساء ١٢ - النساء ١٢ - الأنعام ٩٤ -
		تركتموها	١	الحشر ٥
٤.	المفرد المتكلم	تركت	٢	يوسف ٣٧ - المومنون ١٠٠ -
٥.	الجمع المتكلم	تركناها	١	القمر ١٥
		تركنا	٨	يوسف ١٧ - الكهف ٩٩ - العنكبوت ٣٥ - الصافات ٧٨ - الصافات ١٨ - الصافات ١١٩ - الصافات ١٢٩ - الذاريات ٣٧.

٢. التعبير بصيغة الفعل المضارع: انظر جدول رقم (١٦)

- جاء التعبير بهذه الصيغة في إحدى عشر موضعاً وهي كالتالي:

أ- التعبير بصيغة المفرد الغائب:

- فتركه (موضع).

- يُترك (موضع).

ب- التعبير بصيغة الجمع الغائب:

- تركوا (في موضعين).

- يُتركوا (موضع).

ت- التعبير بصيغة المفرد المخاطب:

▪ تتركه (موضع).

ث- التعبير بصيغة الجمع المخاطب:

▪ تتركوا (موضع).

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي (١٨٨/١٨٩).

ج- التعبير بصيغة الجمع المتكلم:

▪ نترك (موضع).

جدول رقم (١٦)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	المفرد الغائب	فتركه	١	البقرة ٢٦٤
		تركهم	١	البقرة ١٧
		يترك	١	القيامة ٣٦
٢.	الجمع الغائب	تركوا	٢	النساء ٩- الدخان ٢٥
		تركوك	١	الجمعة ١١
		يتركوا	١	العنكبوت ٢
٣.	الجمع المخاطب	تتركوا	١	التوبة ١٦
٤.	المفرد المخاطب	تتركه	١	الأعراف ١٧٦
٥.	الجمع المتكلم	نترك	١	هود ٨٧

٣. التعبير بصيغة الفعل الأمر: انظر جدول رقم (١٧)

جاء التعبير بصيغة فعل الأمر في موضع واحد وهو كالتالي:

أ- التعبير بصيغة المفرد المخاطب:

▪ واترك (موضع).

جدول رقم (١٧)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	المفرد المخاطب	واترك	١	الدخان ٢٤

ثانياً: التعبير بصيغ الاسم: انظر جدول رقم (١٨)

جاء التعبير بصيغ الاسم في ثلاثة مواضع وهي كالتالي:

أ- التعبير بصيغة اسم الفاعل المفرد:

▪ تارك (موضع).

ب- التعبير بصيغة اسم الفاعل الجمع:

▪ لتاركوا (موضع).

- بتاركي (موضع).

جدول رقم (١٨)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
١.	التعبير بصيغة اسم الفاعل المفرد	تارك	١	هود ١٢
٢.	التعبير بصيغة اسم الفاعل للجمع	لتاركوا	١	الصفات ٣٦
		بتاركي	١	هود ٥٣

■ خلاصة القول:-

١. أن الإعراض هو الصد عن الشيء أو تجاهله أو التولي عنه والإدبار وعدم الالتفاف إليه والاهتمام به.
٢. نظائر الإعراض (التولي - الهجر - الصد - الترك) كلها تأخذ نفس معنى الإعراض.
٣. وتأتي كلمة الإعراض ومرادفاتها بعدة معانٍ حسب موقع الكلمة في سياق الكلام الذي ذكرت فيه.

الفصل الأول

المعرضون والمعرض عنهم في القرآن الكريم

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: المعرضون في ضوء القرآن الكريم

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: المعرضون عن دعوة الله.

المطلب الثاني: المعرضون عن ذكر الله.

المطلب الثالث: المعرضون عن شكر نعم الله.

المطلب الرابع: المعرضون عن آيات الله.

المطلب الخامس: المعرضون عن نذر الله.

المطلب السادس: المعرضون عن دفع الزكاة.

المطلب السابع: المعرضون عن اللغو.

المبحث الثاني: المعرض عنهم في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الأول

المعرضون في ضوء القرآن

المطلب الأول

المعرضون عن دعوة الله

أولاً: تعريف الدعوة:

- **الدعوة لغة:** الطلب، يقال: دعا بالشيء طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء: حث على قصده، ودعوت زيدا: ناديته وطلبته إقباله، ودعا فلانا: صاح به وناداه، ودعاه إلى الأمير: ساقه إليه، ويقال: دعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى القتال، ودعاه إلى المذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه، وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا^(١).
وقيل: اسم من الفعل (دعا) ومعناها: مطلق الطلب لأي شيء حسي كالطعام، أو معنوي كالفكرة^(٢) وعند ابن فارس: هي فن الإمالة للجمهور نحو شيء معين بأي وسيلة متاحة^(٣).

• الدعوة اصطلاحاً:

لقد وردت عدة تعريفات للدعوة منها:

١. " الدعوة إلى الله عز وجل هي: الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه"^(٤).
٢. " العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى: من عقيدة، وشريعة، وأخلاق"^(٥).

(١) لسان العرب: لابن منظور، (١٣ / ٢٥٨) مادة [دعا]، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي (ص

١٦٥٤)، مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني (ص ٣١٤).

(٢) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية مادة (دعا) (١/٢٨٦).

(٣) مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون (٢ / ٢٧٩).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥ / ١٥٧).

(٥) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها: أحمد علوش (ص ١٠) انظر: خصائص الدعوة الإسلامية: محمد

أمين بني عامر (ص ١٧).

٣. وقد عرفها آخرون في قولهم هي: "إنقاذ الناس من ضلالة أو شر واقع، وتحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه"^(١).

٤. أو هي: "تبليغ الإسلام للناس وتعليمهم إياه وتطبيقه في مواقع الحياة"^(٢) أو "هي برنامج كامل يعم جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم وليستكشفوا معالم الطريقة التي تجمعهم راشدين"^(٣).

فالدعوة إذن هي دعوة للمسلمين وغيرهم، للمسلمين: بأخذ الإسلام كمنهج حياة في واقعهم العملي، والبعد عن البدع والخرافات التي أخرجت المسلمين.

ولغير المسلمين: بالدخول في دين الإسلام، والعمل بمقتضى الإيمان حتى يذوقوا حلاوة الإيمان والأمن والسلام.

▪ أهمية الدعوة إلى الله:

لما كان نبينا محمد ﷺ هو خاتم النبيين والمرسلين، فلا نبي بعده، كما أخبر بذلك ﷺ، ولما كانت رسالته للناس كافة، وإلى أن تقوم الساعة، فإن أمته قد حملت أمانة الدعوة إلى الله من بعده، حيث أمرها الله تعالى بذلك في قوله ﷺ: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [أل عمران: ١٠٤].

كما أمرها الرسول ﷺ بذلك، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ »^(٤).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَا كَانَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ حَوَارِيُّونَ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ وَيَسْتَنْوُونَ بِسُنَّتِهِ »^(٥).

وعن أبي الوليد عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى آثره علينا، وعلى أن لا ننزع الأمر أهله إلا

(١) كتاب ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن: د. مصلح سيد بيومي (ص١٢).

(٢) المدخل إلى علم الدعوة: محمد أبا الفتح البيانوني: طبعة أولى مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩١م (ص١٦-١٧).

(٣) مع الله: محمد الغزالي: ط ٣ مطبعة مخيمر ١٩٦٥م (ص١٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، (١/٥٠) رقم (١٨٦).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (١/٥١) رقم (١٨٩).

أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»^(١).

وقد نالت هذه الأمة الإسلامية، بهذا التكليف من رب العالمين، ومن رسوله الأمين، تشريفاً على سائر الأمم، حيث وصفها الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فجعل سبحانه الخيرية لها على سائر الأمم بسبب ما تقوم به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما وظيفة الأنبياء والمرسلين الذين فضلوا على سائر البشر بسبب ما حملهم الله تعالى من الرسالة، وما أمرهم به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إليه سبحانه.

فلما كان الأنبياء والرسل عليهم السلام بسبب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خير البشر، كانت أمته ﷺ كذلك بسبب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خير الأمم .

وكما أن القيام بواجب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجعل القائمين به في أعلى المنازل ، فإن التهاون به، أو تركه ، يجعل المفرطين المتهاونين في أدنى المنازل، ويعرضهم إلى أسوأ العواقب، فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل، فيقول: يا هذا اتق الله، ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿لَعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ فَاسْتَفْتُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٨١].

ثم قال: « كلا والله ، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم»^(٢) و قال رسول الله ﷺ: « لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم، فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم ، وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، فجلس رسول الله ﷺ ، وكان متكئاً، فقال: « لا والذي نفسي بيده، حتى تأطروهم على الحق أطراً »، وعن أبي بكر

(١) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الفتن، باب: من كره الخروج في الفتنة وتعود منها، (٥٧/١٥) رقم (٤٠).

(٢) أخرجه أبي داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (٢١٣ /٤) رقم (٤٣٣٨)، قال الترمذي: حديث حسن.

الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس، إنكم لتقرعون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه» (١).

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» (٢). ولقد وصف الله ﷻ المؤمنين والمؤمنات في كتابه العزيز، فجعل من أول صفاتهم أنهم يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر، إضافة إلى ما يقومون به من العبادة والطاعة لله ولرسوله، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَمَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَمَرْضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧١-٧٢]، ولما وصف سبحانه المنافقين والمنافقات - قبل ذلك - كان من أول صفاتهم أنهم يأمرن بالمنكر وينهون عن المعروف، وقد لعنهم الله لذلك وتوعدهم أشد العقاب، فقال ﷻ: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٧-٦٨].

ثانياً: فضائل الدعوة إلى الله:

قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥] .

فالدعوة إلى الله ﷻ هي أحسن ما يتكلم به متكلم، والداعي إلى الله هو أحسن الناس عند الله قولاً، ولاشك أن منزلته بذلك تكون أحسن المنازل وأفضلها عند ربه جل وعلا.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الطهارة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في مسح الرأس أنه يبدأ بمقدم الرأس إلي مؤخره (٨٣/١)، رقم (٣٣) قال الألباني: حسن، ورواه أبي داود في سننه، كتاب: الملاحم، باب: الأمر والنهي، (٤/ ٢١٤)، رقم (٤٣٤٠)، قال الألباني صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، باب: حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ، (٣٨٨/٥)، رقم (٢٣٣٤٩).

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البديري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من دل على خيرٍ فله مثل أجر فاعله »^(١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً »^(٢).

وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: « لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله »، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ؛ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: (أين علي بن أبي طالب؟) فقيل: يا رسول الله، هو يشتكي عينيه، قال: (فأرسلوا إليه)، فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: « أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم »^(٣).

ثالثاً: مقاصد الدعوة إلى الله وغايتها:

إن من يدعو إلى الله ﷻ، ينبغي له أن يعرف أولاً لماذا هو يدعو؟ أي: ما الغاية التي ينشدها من دعوته؟ وذلك لأن معرفة المقصد والغاية سبب في معرفة الطريق التي يسلكها الداعية، والوسيلة التي يستخدمها لبلوغ هذه الغاية المنشودة.

وقد بين الله ﷻ في كتابه العزيز مقاصد الدعوة إليه، كما أن السنة المطهرة أظهرتها، وهي

ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة طاعةً لله وطلباً لرضوانه:

قال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ مَرْسَلَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال ﷻ: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [الشورى: ٤٨].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله، (٤١/٦)، رقم (٥٠٠٧) ورواه أحمد في مسنده، كتاب: مسند الشاميين، باب: بقية حديث أبي مسعود البديري الأنصاري رضي الله عنه، (٤/ ١٢٠)، رقم (١٧١٢٥)، علق شعيب الأرنؤوط قال: إسناده صحيح علي شرط الشيخين.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى، (٨/ ٦٢)، رقم (٦٩٨٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الحج، باب: الإدلاج من المحصب، (٤/ ٦٠)، رقم (٣٠٠٩).

وقال ﷺ: ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥] ، وقال ﷺ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] .

وقال ﷺ واصفاً رسله: ﴿الَّذِينَ يَلْعَنُونَ مَرَسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشُونَهُ وَلَا يَحْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩] . فالمقصود الأول للداعي إلى الله ﷺ هو أداء الأمانة التي تحملها، وإبلاغ الرسالة التي أمر الله الرسول ﷺ بإبلاغها، فيصدق بالحق، وينذر الناس، ويدعو إلى الخير، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويعلم الجاهل، ويقوم بالنصيحة، فلا يدع شيئاً مما يجهله الناس من أمر دينهم وهو يعلمه إلاّ بينه لهم أتمّ البيان، وبلغه إليهم أكمل البلاغ، أداءً للأمانة، ونصحاء لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وإن كان المدعون ممن يعرضون عن دين الله ويصدّون عن سبيله ، فإنّ إبلاغه الرسالة ، وأدائه الأمانة ، يكون إظهاراً لحجة الله عليهم: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

المقصد الثاني: السعي إلى هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور:

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، وقال ﷺ: ﴿الرَّكِّابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَرْشِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] .

وقال ﷺ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ مِرْضَاوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦] .

وقال ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض إلاّ إلى الله تصير الأمور] [الشورى: ٥٢-٥٣] .

وقال ﷺ: ﴿وَمَنْ حَقَمْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١] .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لعلي بن أبي طالب وقد أعطاه الراية: « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله ﷻ فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» (١).

المقصد الثالث: إظهار الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (١٢١/٧)، رقم (٦٣٧٦).

قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَكُورِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٣٣] .

وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] .

وقال ﷻ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] .

وقال ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ اتَّهَمُوا فَإِنِ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩] .

وعن المقداد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام، بجز عزيز، وذل ذليل، إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم فيدينون لها، قلت: فيكون الدين كله لله »^(١).

• أهداف الدعوة إلى الله ﷻ:

- يمكن إبراز أهداف الدعوة إلى الله عز وجل في الأمور التالية:
١. بيان الحق والبلاغ المبين.
 ٢. الاستجابة للدعوة وامتثالها قولاً وعملاً.
 ٣. نشر الأخلاق الفاضلة بين الناس، من خلال إصلاح النفوس وتركيتها.
 ٤. تقويم الفكر المنحرف ودحض العقائد الزائفة من خلال نشر الوعي الإسلامي في صفوف المسلمين ومحاربة الجهل بينهم.
 ٥. الحصول على الأجر العظيم المترتب على القيام بالدعوة إلى الله ﷻ.
 ٦. المحافظة على هوية الأمة وأجيالها القادمة.
 ٧. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
 ٨. العمل على تحكيم الشريعة الإسلامية.
 ٩. نصره دين الإسلام وانتشاره بين الناس.

(١) أخرجه أحمد في مسنده، كتاب: باقي مسند الأنصار، باب: حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه، (٤/٦) رقم (٢٣٨٦٥)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

١٠. تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس من خلال رد الحقوق والمظالم إلى أصحابها^(١).

• عاقبة الإعراض عن الدعوة إلى الله:

عن أبي سعد بن المعلى رضي الله عنه، قال: « كنت أصلي فمر بي النبي ﷺ، فدعاني، فلم آته حتى صليت، ثم أتيته، فقال: ما منعك أن تأتيني؟ ألم يقل الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤] »^(٢)، فإذا كانت إجابة أمر الرسول ﷺ واجبة في حياته، فإن الاستجابة لسنته المطلقة بعد وفاته واجبة، وتحرم مخالفتها، وتقديم شيء عليها، وقد رتب الله الوعيد الشديد، والانتقام الأكيد على المخالفين لها بقوله: ﴿ فليُخَذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

قال الإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية: "أي: فليحذر وليخش من مخالفة شريعة الرسول باطناً وظاهراً، (أن تصيبهم فتنة) أي: في قلوبهم من كفر، أو نفاق، أو بدعة، (أو يصيبهم عذاب أليم) في الدنيا بقتل، أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك^(٣)."

والفرق ما بين المؤمنين والمنافقين، سرعة الاستجابة لله ورسوله، والمبادرة إلى امتثال أوامر الله ورسوله، والسمع والطاعة، والانقياد للحق إذا ظهر، يقول تعالى مبيناً صفات الفريقين في ذلك: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ امْرَبُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٤٧-٥٢].

فإذا كان تأخر الصحابي الجليل أبي سعد بن المعلى لحظات عن أمر الرسول ﷺ حين دعاه، وهو يصلي؛ سبب إنكار الرسول ﷺ، لعدم مبادرته واستجابته لأمره، فكيف بحال كثير من الناس اليوم - ولا حول ولا قوة إلا بالله - وقد آل الأمر بهم إلى نبذ أوامر الله وسنة رسوله ﷺ وراء ظهره والعياذ بالله! ومن تأمل ما يعيشه فئات من البشر، وجد أن أقوالهم وأعمالهم وتصرفاتهم واعتقاداتهم تنرجم ذلك وتفصح عنه جيداً.

(١) فقه الدعوة: د. بسام العموش (ص ١٠) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب: الإدلاج من المحصب، (٦١/٦)، رقم (٤٦٤٧).

(٣) تفسير ابن كثير: لابن كثير (٣/٤٥٤).

المطلب الثاني

المعرضون عن ذكر الله ﷻ

• في بيان معنى الذكر:

قال في القاموس المحيط: "الذكر بالكسر: الحفاظ للشيء كالنكاح والشيء يجري علي اللسان والصيت كالذكرة بالضم، والثناء والشرف والصلاة لله تعالى والدعاء والذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارا باستحضاره وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول... ولذلك قيل الذكر ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان، ولكل واحد منهما ضربان ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ، وكل قول يقال له ذكر، فمن الذكر باللسان قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

وقوله ﷻ: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقوله ﷻ: ﴿أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَلْبِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

وقوله ﷻ: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص: ٨]،
وقوله ﷻ: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١].

ومن الذكر بالقول واللسان قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

والذكر يقع علي القرآن وعلي سائر كتب الله تعالي ويحتمل إن يراد به الأدلة، وقال ابن القيم: قوله (عن ذكري) أي عن الذكر الذي أنزلته^(١).

وقد ذكر الله ﷻ الذكر في القرآن علي عشرين وجها:

الأول: ذكر اللسان ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

(١) القاموس المحيط: الفيروز آبادي (١٣٦/٢) مادة (ذكر).

الثاني: ذكر بالقلب ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران : ١٣٥].

الثالث: بمعنى الوعظ ﴿وَذَكَرْنَا فِيكَ الذِّكْرَ شَفَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات : ٥٥].

الرابع: بمعنى التوراة ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء : ٧].

الخامس: بمعنى القران ﴿هَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُتَكَبِّرُونَ﴾ [الأنبياء : ٥٠].

السادس: بمعنى اللوح المحفوظ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء : ١٠٥].

السابع: بمعنى رسالة الرسول ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف : ٦٩].

الثامن: بمعنى العبرة ﴿أَفَنْضِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ [الزخرف : ٥].

التاسع: بمعنى الخبر ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٤].

العاشر: بمعنى الرسول ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [مرسولا يتلوه] [الطلاق : ١٠-١١].

الحادي عشر: بمعنى الشرف ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف : ٤٤].

الثاني عشر: بمعنى التوبة ﴿ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

الثالث عشر: بمعنى الصلوات الخمس ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢٣٩].

الرابع عشر: بمعنى صلاة العصر خاصة ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ [ص : ٣٢].

الخامس عشر: بمعنى صلاة الجمعة ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة : ٩].

السادس عشر: بمعنى العذر من التقصير ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٠٣].

السابع عشر: بمعنى الشفاعة ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢].

الثامن عشر: بمعنى التوحيد ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ [طه: ١٢٤]، ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِي﴾ [الجن: ١٧].

التاسع عشر: بمعنى المنة ﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ [المائدة: ١١٠]، ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي

أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

العشرون: بمعنى الطاعة والخدمة ﴿فَازْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٢]^(١).

- الفرق بين الإعراض عن الذكر ومعارضة الذكر:

• **المعرض عن الذكر:** هو الذي لا يعمل بما أنزل الله من تعاليم ربانية. والإعراض عن ذكر الله يجلب لصاحبه نتائج سيئة وعواقب وخيمة ناتجة عن الابتعاد عن دين الله وتعاليمه فمن نتائج الإعراض السيئة أن صاحبه من أعظم الناس ظلما كما قال سبحانه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧].

ومن نتائج السيئة جعل الأكنة علي القلوب حتى لا تفقه الحق وعدم الاهتداء أبدا كما قال سبحانه وتعالى مبينا بعض ما ينشأ عنه من العواقب السيئة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

ومنها انتقام الله عز وجل من المعرض عن التذكرة كما قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ

رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني (ص ١٧٩)، انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروز أبادي (ص ٣-٩).

ومنها كون المعرض كالحمار كما قال ﷺ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ [المدثر: ٤٩-٥٠].

ومنها المعيشة الضنك والعمى كما قال ﷺ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَيَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

ومنها سلكه العذاب الصعد كما قال ﷺ: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّي سَلْكُهُ عَذَابًا صَعْدًا﴾ [الجن: ١٧].

ومنها تقيض القراء من الشياطين كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تَقْبِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، إلى غير ذلك من النتائج السيئة والعواقب الوخيمة الناشئة عن الإعراض عن التذكير بآيات الله جل وعلا (١).

• **أما المعارض للذكر:** المحارب له والصاد عنه بكافة الوسائل الداعي إلي الإعراض عن منهج الله.

ووصف الله المنافقين بالصدود عن دين الله صدود بأنفسهم، وصد لغيرهم قال ﷺ: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢]، فالمنافقون ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فالمنافقون من صفاتهم الصد عن دين الله أي الإعراض بأنفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل: صدوا وصرفوا ومنعوا من الدخول في دين الإسلام واتباع رسول الله ﷺ (٢).

ومن أساليب صد المنافقين عن دين الله، التثبيط عن الجهاد حيث أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨]. وقوله: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ [التوبة: ٨١]، أيضاً نشر الإشاعة وبث الأراجيف وذلك بالقول والإعلام سواء المكتوب أو المقروء (٣).

(١) انظر: أضواء البيان: للشنقيطي (٤/١٥٥-١٦٦).

(٢) انظر: التفسير الكبير: للفخر الرازي (٣٠/١٣).

(٣) انظر: أضواء البيان: للشنقيطي (٨/٣٢٣).

• أسباب الإعراض عن ذكر الله:

هناك أسباب تؤدي بالمرء إلى الإعراض عن ذكر الله وتدعوه إلى الانصراف عن التعلق بخالقه جل وعلا وتهوى به بعيداً عن سبيل النجاة وطريق الفلاح بل ربما أدت به إلى محاربة الله باستبدال ذكر الشيطان بذكر الله . وهو القرآن والسنة وما تفرع عنهما من علوم وأحكام . حتى يصير بهذه الصفة نهياً للأهواء والشبهات واستحواذ الشياطين من كل جانب فتؤدي به إلى الضياع والدمار والهلاك ومن أبرز أسباب الإعراض عن ذكر الله ﷻ ما يلي:

أولاً: ضعف التصور الإيماني المتحرك الفاعل مع سلامة العقيدة المستقرة في القلب فتضعف بضغفه مشاعر العبادة وقد ينعدم التصور الإيماني هذا أو يغشى عليه بأفكار ومفاهيم أخرى تسيطر على ساحة التصور فتتعدم مشاعر العبادة وتتوجه حينئذ شطر غير الله هائمة تائهة فتدخل بذلك رياح الشرك إلى القلب والنفوس ... ﴿ أَمْ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣ - ٤٤].^١

ثانياً: الكبر والخيلاء، فالكبر يدفع إلى جحود الحق والكفر بالنعمة وقد يدفع إلى كراهية المنعم المتفضل بدل حبه وإلى ذمه بدل حمده والثناء عليه وذكره وإلى الإساءة إليه بدل شكره على نعمه وإحسانه . وقد أشار القرآن إلى هذا الجحود في خلق الإنسان فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٦-٨].

ثالثاً: الأمن من عذاب الله وعدم الخوف من عقابه بسبب طول الأمد في النعمة والرخاء مما قد يولد قسوة في القلوب قال الله ﷻ: ﴿ الْمَرِيضِينَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَع قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

وتواتر النعم على الإنسان ربما ينسيه ربه وذكره وشكره فإذا حلت به المصائب عاد إلى ربه داعياً بدعاء عريض: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ [فصلت: ٥١].

رابعاً: إتباع الشهوات والمطامع الدنيوية العاجلة ونسيان الآخرة وما أعد الله للمؤمنين فيها من النعيم المقيم والذي لا يخالطه كدر وما توعد به الكافرين من العذاب الأليم كل ذلك يدفع المرء إلى

(١) انظر: العبادة في الإسلام: عبد الرحمن حبنكة (ص ٧٨).

الإعراض عن ذكر الله ﷻ وعن الاشتغال به قال ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢﴾﴾ [القيامة: ٢٠-٢١]. (١)

خامساً: موت القلب، فالقلب الحي حياته ذكر الله واطمئنانه بترديد الأذكار والأدعية ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

والقلب الحي يتحرك ويوجل ويخاف عند سماعه لذكر خالقه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

فالوجل والخوف عند سماع ذكر الله من علامات القلب الحي فهذا الوجل والخوف يبعث على الاطمئنان لأن المرء يحس حينئذ إنه في رعاية الله خالق الكون ومصرف الأمور ومدبرها الذي بيده مقاليد كل شيء وهو المأمول في السراء والضراء، وهذا هو مبعث الاطمئنان لهذا القلب الحي. أما إذا مات القلب وعلاه الران فإنه لا يدل صاحبه على الخير ولا يوجهه إلى ذكر الله بل إنه يكون من أقوى العوامل التي تصد المرء عن ذكر الله وعن الآخرة وهذا هو الخسران المبين.

سادساً: الذنوب والمعاصي: فهي من أبرز الأمور التي تجعل المرء يعرض عن ذكر ربه بل إنها زادت الران علي القلب وحجبه عن ربه جل وعلا " وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً: كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى يجمعوا سواداً فأججوا ناراً وأنضجوا ما قذفوا فيها» (٢).

" فالمعاصي سبب الرعب والخوف والجبن والهلع... فالطاعة حصن الله الأعظم بها يسمو الإنسان إلى مراتب الاطمئنان فالقلوب لا تهدأ إلا في كنف الله وحمى شرعه ولا تعمى بصيرتها وينطمس نورها وتحجب عن العلم الحق والهداية الأبدية إلا في كنف الشيطان ومهاوي وساوسه وضلالاته وشتان بين قلب يتقرب إلى الله حتى يكون معه في كل جارحة وبين قلب يستنذله الشيطان بمعاصيه وذنوبه" (٣).

(١) انظر: العبادة في الإسلام أسسها وفلسفتها ومفهوماتها وحكمها وذكر الله: للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني، (ص ٧٨).

(٢) أخرجه احمد في مسنده (٤٠٥/١) - (٣٣١/٥)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين والأحاديث الصحيحة للألباني (رقم ٣٨٩).

(٣) القلب ووظائفه في الكتاب والسنة: لسليمان بن زيد بن سليمان اليماني (ص ٢٦٢).

سابعاً: الرفقة السيئة وجلساء السوء: لا شك أن الإنسان يتأثر بمن يجالس بل إن الجليس يؤثر صاحبه أكثر من غيره وذلك لما يكون بينهما في الغالب من الألفة والمودة مما يسقط الكلفة بينهما وقد قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * * * * فكل قرين بالمقارن يقتدي (1)

وإذا كان المرء يجالس أهل الصلاح والخير والبر فإنه قطعاً سيتأثر بهم وبما يقولون وبما يدور في مجالسهم ومنتدياتهم ولقاءاتهم وهؤلاء يغلب ذكر الله وطاعته على أقوالهم وأفعالهم ومجالسهم وسيتأثر المرء بهم لا محالة.

أما إذا كانت المجالس مجالس لهو وباطل ولغو وإعراض عن ذكر الله ﷻ بل اشتغال بمعاصي الله وجرأة وإقدام على حرمان الله فلا شك أن المرء سيبتعد عن الذكر والطاعة والعبادة بل إن قلبه سيصاب بالران الذي يغلفه ويطغى عليه يحجبه عن الحق ويحبب إليه المعاصي - عياداً بالله من ذلك-.

فالرفقة لها دور كبير في تجنب المرء لذكر الله وطاعته وملازمته لهذا الشيء... وأيضاً لها آثارها الواضحة في ابتعاده عن هذا المنهج والطريق وصدق المصطفى ﷺ عندما مثل الجليس الصالح والجليس السوء بمثل واقعي حيّ ملموس في الحديث الذي رواه أبو موسى عن النبي ﷺ قال: « إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن يتباع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة » (2).

وقد أخبر الحق جل وعلا في كتابه الكريم عن الكافر أنه يدعو بالويل والثبور إذا رأى العذاب وعابن شدة الحساب ويتمنى لو أنه سلم من مصاحبة من أغواه وأضله عن ذكر الله أبعدته وصدده فقال سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ ﴿ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا حَلِيلًا ﴾ ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

إنه لدليل أكيد وحجة دامغة على ما للصاحب والجليس من أثر واضح في الصد عن ذكر الله وحجب الصديق لصديقه عن الخير فالجليس أثره واضح وتأثيره قوي فلا بد من اصطفائه وحسن اختياره ليكون عوناً للإنسان على البر والفلاح والهدى والصلاح .

• الآثار الناجمة عن الإعراض عن ذكر الله تعالى:

لا شك أن الإعراض أو الابتعاد عن ذكر الله يجعل المرء يعيش في دوامة من الحيرة والخوف والوجل... ولا غرابة في ذلك، فمشاغل الحياة وإيقاعها السريع وصخبها القوي وما فيها من

(1) ديوان الصبابة: ابن أبي حجلة (1/ 19).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء (4/ 2026).

القدر والنوائب تجعل هذا الكائن البشري الضعيف لا يصمد أمام ذلك... وهو عرضة لتلقي جملة من المتاعب والمصائب والنكبات لأن هذه حال الحياة.

وإذا تكالبت الخطوب والنكبات وتوالت الظروف والمداهمات فلا مخرج - بإذن الله - منها إلا باللجوء إلى خالق هذا الكون ومن فيه ومدبر أحواله ومن بيده مفاتيح الأمور خيرا وشرا حلوها ومرها... وإذا خالف المرء هذا الناموس وتكذب هذا الطريق وحاد عن هذه السنة تلقفته المشاكل والمصائب ووقع فريسة الأهواء والأمراض النفسية التي تعصف به وتكبله وتحول مساره جذريا بل ربما أقدم - للخروج من دوامة هذه المشاكل - على أمور تكون فيها نهايته ونهاية غيره كاللجوء إلى المسكرات والمخدرات هروبا من واقعه وابتعادا عن مصائبه ومشاكله ولكن لا يدري أنه يسير إلى الهاوية برجليه ويتقدم إلى النهاية باختياره فيفسد نفسه وأسرته ويدمر حياته وإذا سلم من ذلك وقع فريسة لأمراض روحية وعقد نفسية كالقلق، والاكتئاب، وموت القلب، ومعيشة الضنك، وفقدان السعادة، والحزن، وضغوط الحياة، فكأن الدنيا جميعها على رأسه والمشاكل له وحده دون غيره... وما علم أن المرء أهون مما يتصور وأن المخرج - بإذن الله - هين وسهل وصدق الله جل وعلا: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

وقال ﷺ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَيَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ قال ربِّ لمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَىكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ وكذلك نبخزي من أسرف وكم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴿ [طه: ١٢٤ - ١٢٧]. (١)

قال السعدي في تفسيره لقوله ﷺ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ أي: كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له، والكفر به ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ أي: فإن جزاءه، أن نجعل معيشته ضيقة مشقة، ولا يكون ذلك إلا عذابا.

وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، ﴿ وَيَحْشُرُهُ ﴾ أي: هذا المعرض عن ذكر ربه ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ البصر على الصحيح (٢).

(١) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب: لابن القيم (ص ٦٢)

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (١/٥١٥)

▪ فوائد ذكر الله:

ذكر الله جل وعلا له فوائد عظيمة وآثار واضحة، قال ابن القيم -رحمه الله- في كتابه المذكور: ^(١) "وفي الذكر أكثر من مائة فائدة كل واحدة منهن بمفردها كافية لحفز النفوس وتحريك الهمم للاشتغال بالذكر كيف وقد اجتمعت تلك الفوائد والعوائد والأمر فوق ما يصفه الواصفون ويعدّه العادون فأليك جملة مما ذكره رحمه الله: فمن فوائد الذكر:

١. أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.
٢. أنه يرضى الرحمن عز وجل.
٣. أنه يزيل الهم والغم عن القلب.
٤. أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.
٥. أنه يقوي القلب والبدن.
٦. أنه ينور الوجه والقلب.
٧. أنه يجلب الرزق.
٨. أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.
٩. أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحي الدين ومدار السعادة والنجاة وقد جعل الله لكل شئ سبباً وجعل سبب المحبة دوام الذكر فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره.
١٠. أنه يورث مراقبة الله.
١١. أنه يورث القرب من الله.
١٢. أنه يورث الإنابة والرجوع إلى الله.
١٣. أنه يفتح للذاكر باباً عظيماً من أبواب المعرفة.
١٤. أنه يورث الذاكر الهيبة لربه عز وجل وإجلاله سبحانه.
١٥. أنه يورث الذاكر ذكر الله تعالى قال ﷺ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول عز وجل أنا عند ظن عبدي وأنا معه إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم..» ^(٢).
١٦. أنه يورث حياة القلب.

(١) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب: لابن القيم (ص ٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد (١٧١/٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٤/٤).

١٧. أنه قوت القلب والروح.
١٨. أنه يورث جلاء القلب من أصدائه.
١٩. أنه يحط الخطايا ويذهبها.
٢٠. أنه يزيل الوحشة بين العبد وربّه.
٢١. أن العبد إذا تعرف على الله في الرخاء تعرف عليه في الشدة.
٢٢. أنه منجاة من عذاب الله.
٢٣. أنه سبب نزول السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة.
٢٤. أنه يشغل اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل لأن العبد لا بد له من الكلام فإن لم يتكلم بذكر الله تكلم بالمحرمات.
٢٥. أن مجالس الذكر مجالس الملائكة وجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين.
٢٦. أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة.
٢٧. أنه أيسر العبادات وهو من أجلها وأفضلها.
٢٨. أنه غراس الجنة.
٢٩. أنه نور للذاكر في الدنيا وفي القبر ويوم المعاد قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].
٣٠. أنه ينبه القلب ويوقظه من سباته.
٣١. أن الذكر رأس الشكر فما شكر الله تعالى من لم يذكره.
٣٢. أن في القلب قسوة لا يلينها إلا ذكر الله عز وجل فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى.
٣٣. أن الذكر شفاء القلب ودواؤه والغفلة مرضه فالقلوب مريضة وشفأؤها ودواؤها في ذكر الله.
٣٤. أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر فإنها رياض الجنة.
٣٥. أن الله يباهي بالذاكرين ملائكته.
٣٦. أن كثرة ذكر الله أمان آمن النفاق فإن المنافقين قليلوا الذكر لله عز وجل، قال ﷺ: ﴿وَكَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].
٣٧. إن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثير لشهود العبد يوم القيامة قال ﷺ: ﴿إِذَا نَزَلَتْ الْأَرْضُ نَزَلَتْ لَهَا ◉ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ◉ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ◉ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ◉ بَانَ رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٥].
- نسأل الله ﷻ: أن تكون من الذاكرين الشاكرين وأن يلهمنا الرشيد والصواب.

المطلب الثالث

المعرضون عن شكر نعم الله

وصف الإنسان في القرآن بأنه جحود كنود كفور:

استناداً إلى واقع حال الإنسان الذي جاء بيانه في النصوص القرآنية كان وصف الإنسان بأنه جحود وكنود أمراً طبيعياً.

ولذلك نجد أن الله تبارك وتعالى قد وصف الإنسان في القرآن في عدة نصوص منها بأنه ظلوم كفار، وبأنه كفور، وبأنه كفور مبین، وبأنه كنود، أي كفور جحود للنعمة. ولا يسلم من انطباق هذا الوصف عليهم من الناس إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ونسبة هؤلاء في الناس هي النسبة الأقل.

والمقصود الأول من وصفه بأنه كفور أنه جحود لنعمة الله عليه، مع أن نعم الله عليه أكثر من أن يستطيع إحصاءها. ويلزم من كفر النعمة إنكار المنعم، وإنكار ما جاء من عنده، والتمرد عن طاعته، وهذا هو الكفر في الدين، وهو أثر من آثار كفر نعمة الله، ولو أن الإنسان لم يكفر نعمة الله عليه لما كفر به، ولما كفر بحقه عليه، ولقام بواجب الشكر نحوه، فأمن به، وعبده حق عبادته، وأطاع أوامره ونواهيه^(١).

١. ففي كون الإنسان ظلوماً كفاراً لنعم الله عليه، يقول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُؤْسِ لَهُمْ فِيهَا حِسَابٌ كَثِيرٌ ﴿٢٨﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ إِندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٢٩﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَتَّقُوا مَا مَرَرْتُمْ بِهَا سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا يَنْبَغُ فِيهِ وَكَأَنَّ خَلْقَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴿٣٠﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣١﴾ وَأَنَّا كُنَّا مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨-٣٤].

فهذا النص يدور حول بيان طائفة من نعم الله الكبرى على الناس، وحول بيان كون الإنسان كفوراً لها ظلوماً لنفسه، فالذين كفروا من الناس قد بدلوا نعمة الله كفراً، أي قابلوا نعمة الله بالكفر والجحود.

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن حنيفة الميداني (ص ٤٠٨).

ثم عدد الله أنواعاً من النعم الكبرى التي أنعم الله بها على عباده، فذكر إنزال المطر وإخراج الثمرات، وذكر تسخير الفلك في البحر وتسخير الأنهار، وذكر نعمة استجابته دعاء من دعاه من عباده، ثم عمم فقال: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ .

٢. ووصف الله الإنسان بأنه كفور، فقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ تَرَى اللَّهَ سَخِرَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَالْفُلكِ تَجْرِي فِيهِ بِأَمْرِ رَبِّهِ وَيُؤْمِنُ بِالسَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وهو الذي أحياكم ثم يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿ [الحج: ٦٥-٦٦].

فالملاحظ أن الله تبارك وتعالى عدد من نعمه أنه سخر للناس ما في الأرض، وهذا يشمل كل ما يمكن أن ينتفع به الإنسان فيها، وأنه سخر الفلك تجري في البحر بأمره، وهذه نعمة يعرفها الذين يركبون البحر، أو ينتفعون من جري الفلك فيه، وأنه سبحانه يمسخ السماء أن تقع على الأرض، فلا تصطدم نجوم السماء وكواكبها بالأرض، إذ تسير كل كرة في مدارها بتقدير العزيز الحكيم، وكل هذه النعم من رافة الله بالناس ورحمته لهم.

ثم أشار سبحانه إلى الحكمة من الخلق، وهي ابتلاء الناس في ظروف هذه الحياة الدنيا، والمطلوب من هذا الابتلاء أن يشكر الإنسان نعمة الله عليه، وذلك بعبادته وطاعته، إلا أن الإنسان كفور، يحب نعمة الله ويسعى للحصول عليها، ولكنه لا يشكرها بل يكفرها، ولذلك ختم الله النص بقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ .

٣. ووصف الإنسان بأنه كفور مبين، أي واضح كفرانه مكشوف غير مستور، فقال ﷻ: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ الذي جعل لكم الأرض مهدياً وجعل لكم فيها سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَنْزُلَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿ [الزخرف: ٩-١٥]، معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾: أي: وما كنا له مطيقين، من أقرنت الشيء إذا أطلقتته وقدرت عليه.

ففي هذه الآيات يعدد الله أيضاً طائفة من نعمه على الناس، فيذكر منها أنه جعل لهم الأرض مهدياً صالحة لسكنى الناس عليها، ليست ذات أغوار سحيقة لا تدرك، وليست ذات رؤوس عالية حادة كظهر القنفذ لا تسكن السالكون لبلوغ ما يقصدون من جهاتها. ويذكر من هذه النعم نعمة إنزال الماء

من السماء وإحياء الأرض الميتة به، حتى تزدان بنباتها وأشجارها وثمارها. ويذكر من هذه النعم أنه خلق للناس أصناف الأشياء كلها، وأنه جعل للناس من الفلك والأنعام ما يركبون.

ولكن من الناس من كفروا بنعمة الله، فجعلوا لله من عباده جزءاً، فقالوا: ولد الله، سبحانه وتعالى عما يصفون، ثم اختتم الله النص بقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ .

٤. ووصف الله الإنسان بأنه كنود، أي جحود لنعمة الله عليه، وبأنه شهيد على ذلك، أي يعرف من نفسه هذه الصفة، فهو جحود للنعمة مع وعى تام لما يصدر عنه من جحود، لا عن جهل ونسيان. والعجيب في أمره أنه يظل يحب توارد النعم عليه من المنعم، فهو يأخذها ويطلبها ويحبها، ويكفر من أنعم عليه بها، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ وَأَنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لِشَهِيدٌ ﴿ وَأَنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات ٦-٨].

٥. وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَجَحَّ بِهَا وَإِن تَصِبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِن الْإِنْسَانُ كُفُورٌ﴾ [الشورى: ٤٨].

ففي حالة النعمة يبطر ويفجر ويكفر، وفي حالة المصيبة يتضجر ويتذمر ويكفر، فهو كفور جحود للنعمة.

وفي التعجب من كثرة كفر الإنسان يقول الله ﷻ: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ﴿١﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ ﴿٢﴾ مِنْ نُّظْفَةٍ خَلَقَتْهُ قَدْرَهُ ﴿٣﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ﴿٤﴾ ثُمَّ أَمَّاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٥﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٦﴾ كَلَّا لَمَّا يُقْضَىٰ مَا أَمَرَهُ ﴿٧﴾﴾ [عبس: ١٧-٢٣].

تعالج الآيات جحود الإنسان وكفره الفاحش لربه، وهو يذكره بمصدر وجوده، وأصل نشأته، وتيسير حياته، وتولي ربه له في موته ونشره؛ ثم تقصيره بعد ذلك في أمره^(١).

والمثال من القرآن الكريم على ذلك ما حدث مع قوم سبأ الذين قال الله عنهم: ﴿الْمَيْرِ وَأَكْمَأَهْلَكُنَّا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّانُهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَمْرُسْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَامًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَا هُمُ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

(١) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (٧/٤٥١-٤٥٣).

وقال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسِيَّ فِي مَسْكِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ مَرْزِقٍ مَرْبُكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ
بَلَدُهُ طَيِّبَةٌ وَمَرْبٌ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ
مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ [سبأ: ١٥-١٦].

فقد جعل الله ﷻ من مسكن سبأ باليمن آية على قدرة الله ومع ذلك أعرضوا، أعرضوا عن
الرزق الوفير وأرادوا أن يعتمدوا على أنفسهم وظنوا أنهم قادرون على رزق أنفسهم وكذلك لم يشكروا
الله، ولذلك أرسل الله عليهم سيل العرم، أي أنه عقاب من جنس العمل، وهكذا تكون عاقبة الإعراض
والكفر بنعم الله. فقد سلط الله عليهم حيواناً من أضعف الحيوانات وأحقرها وهو الفأر فنقب السد فأغرق
أموالهم ودفن بيوتهم^(١).

(١) تفسير الشعراوي: الشعراوي (١/٢٤٣٥).

المطلب الرابع المعرضون عن آيات الله

أولاً: المعرضون عن الآيات القرآنية:

لقد جاء في القرآن الكريم ذكر المعرضين عن الآيات القرآنية وذلك متمثلاً في قوله ﷺ: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

وقال الرسول ﷺ شاكياً ما صنع قومه: يا ربِّ إن قومي تركوا هذا القرآن وهجروه، متمادين في إعراضهم عنه وتزكُّ تدبُّره والعمل به وتبليغه. وفي الآية تخويف عظيم لمن هجر القرآن فلم يعمل به^(١).

وإن ربه ليعلم؛ ولكنه دعاء البث والإنباء، يشهد به ربه على أنه لم يأل جهداً، ولكن قومه لم يستمعوا لهذا القرآن ولم يتدبروه.

فيسليه ربه وبعزیه فتلك هي السنة الجارية قبله في جميع الرسالات. فلكل نبي أعداء يهجرون الهدى الذي يجيئهم به، ويصدون عن سبيل الله. ولكن الله يهدي رسله إلى طريق النصر على أعدائهم المجرمين^(٢).

ولهجر القرآن أنواع:

أولها: هجر سماعه وقراءته.

وثانيها: هجر تدبره وتفهمه.

وثالثها: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه.

ورابعها: هجر تحكيمة والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه.

وكل هذا دخل في هذه الآية ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان:

٣٠]، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض^(٣).

لقد هجروا القرآن الذي نزله الله على عبده لينذرهم . ويبصرهم . هجروه فلم يفتحوا له أسماعهم إذ كانوا يتقون أن يجتذبهم فلا يملكون لقلوبهم عنه رداً. وهجروه فلم يتدبروه ليدركوا الحق من خلاله،

(١) التفسير الميسر: مجموعة من العلماء (٦/ ٣١٥).

(٢) في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٣١٥).

(٣) انظر: الوسيط: لسيد طنطاوي (١/ ٣١٢٦)، انظر: الفوائد: ابن القيم (ص: ١٠٧-١٠٨) انظر: موارد

الظمان: عبد العزيز السلمان (١/ ٤٩٣).

ويجدوا الهدى على نوره . وهجره فلم يجعلوه دستور حياتهم ، وقد جاء ليكون منهاج حياة يقودها إلى أقوم طريق.

ثانياً: المعرضون عن الآيات الكونية (١)

إن الله سبحانه وتعالى دعانا إلى التفكير والتدبر في آياته الكونية كما ودعانا إلى التفكير في الآيات القرآنية لما لها من اثر عظيم في الوصول إلى حقيقة التوحيد.

فالإعراض عن آيات الله تعالى لا يتعدى الحدود التقليدية التي تصدر من المشركين الذين ينتفون دعوة الرسل مصحوبة بالآيات الظاهرة والتي ستكون حجة عليهم، وبالإضافة إلى هذه الآيات البينة هناك آيات ثانية أكثر غموضاً من الأولى وهي خارجة عن النظام التقليدي الذي جاء به الرسل، وبطبيعة الحال فإن آثار هذه الآيات قد يخفى على بعض الناس دون البعض الآخر، وهي موجودة في السموات والأرض وكذلك في الأنفس وصولاً إلى الكائنات الأخرى، كما بين ﷺ ذلك بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْإِفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، وكذلك قوله ﷺ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وقوله ﷺ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

ومن هنا فإن الله ﷻ قد وصف الذين أعرضوا عن آياته بأبلغ أوصاف الظلم حيث قال في الذين ذكروا بهذه الآيات وأعرضوا عنها مباشرة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧].

(١) انظر: مقال بعنوان: [الإعراض عن الآيات الثانية] د. عبد الله المالكي؛ مقال منشور على شبكة الانترنت: <http://www.alnoor.se/author.asp?id=1370>، انظر: خطبة بعنوان: [الإعراض عن الله تعالى معناه وأنواعه وأسبابه] للشيخ: إبراهيم بن محمد الحقييل بتاريخ 02/05/1431هـ.

<http://khutabaa.com/index.cfm?method=home.khdetails&khid=1199>

أما الصنف الآخر الذين ذكروا بهذه الآيات ولم يعرضوا عنها إلا بعد تأملهم ومرورهم عليها فقد قال ﷺ فيهم: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ [السجدة: ٢١]، والنكته ظاهرة في [ثم] التي تفيد التراخي فتأمل.

فإن قيل: ما السبب الذي لأجله بين القرآن الكريم هذه الآيات المتمثلة في الآفاق والأنفس والكائنات الأخرى؟ أقول: إن القرآن الكريم هو كتاب هداية وهذه الهداية لا يمكن الحصول عليها عن طريق الجهل أو الضلال وإنما بالتأمل الذي يفضي بالإنسان إلى إيجاد الآثار الناتجة عن طريق هذه الآيات حتى يصل إلى نتائجها وكشف المهمة التي خلقت من أجلها، وهذا هو الأصل الذي بينه تعالى، وعُد من التنزيل التقليدي أو الإنزال الثاني الذي ذكره في قوله ﷺ: ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد: ٢٥]، وكذلك قوله: ﴿ وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَنْزَاجٍ ﴾ [الزمر: ٦].

وقد جعل ﷺ هذه الآيات في متناول جميع خلقه، أما من يريد أن يعطل الدلائل التي ترشد إليها فهو لا يعطل إلا النتائج التي يمتنع ظهورها أمامه وليس حقائقها التي لا بد أن تظهر لغيره من الناس الذين يعملون جهدهم للوصول إلى ما يستفاد من هذه الآيات.

ولهذا فقد ذم القرآن الكريم أولئك الذين عطلوا حواسهم ووصفهم بالأنعام وزاد في ذلك إضراباً كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وكذلك قوله ﷺ: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقد وبخ تعالى هذا الصنف من الناس الذين همهم التعطيل بقوله ﷺ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ثم أخذ بالاستدراج المبين في الآيات الآفاقية و الأنفسية كما في قوله ﷺ: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٢]، وقوله: ﴿ بَلْ آيَاتُهُمْ بِذِكْرِهُمْ فُهِمَ عَنْ ذِكْرِهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧١]، ثم عقب الله تعالى بهذه الآية الشاملة الجامعة بقوله ﷺ: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٥].

فحين يقول ﷺ: ﴿وَكَأَيِّنْ . . . ﴾ [يوسف: ١٠٥] فمعناها أن ما يأتي بعدها كثير، الآيات هي جمع « آية »؛ وهي الشيء العجيب، المُلفت للنظر، ومعنى الشيء العجيب أنه هو الخارج عن المألوف ولا يُنسى.

وقد نثر الحق سبحانه في الكون آياتٍ عجيبة ، ولكل منثور في الكون حكمة . فالآيات الكونية، وهي عجائب؛ وهي حُجَّةٌ للمتأمل أن يؤمن بالله الذي أوجدها؛ وهي تُلَفِّتُكُ إلى أن مَنْ خلقها لا بُدَّ أن تكون له منتهى الحكمة ومنتهى الدقة، وهذه الآيات تُلَفِّتُنَا إلى صدق توحيد الله والعقيدة فيه.

وقد نثر الحق ﷺ هذه الآيات في الكون، وحينما أعلن الله ﷻ بواسطة رسله أنه ﷺ الذي خلقها، ولم يَقُلْ أحد غيره: « أنا الذي خلقت » فهذه المسألة مسألة الخلق تثبت له ﷺ، فهو الخالق وما سواه مخلوق، وهذه الآيات قد خُلِقَتْ من أجل هدف وغاية . وهكذا نجد الآيات الكونية هي عجائب بكل المقاييس. وهم يُعرضون عن كل الآيات، يُعرضون عن آيات الكون التي إن دَقَّقُوا فيها لَثَبَتْ لهم وجود إله خالق؛ وكل الاكتشافات الحديثة إنما جاءت نتيجةً لملاحظاتٍ ظاهرةٍ ما في الكون.

فكل المطلوب ألا تَمُرَّ على آيات الله ﷻ وأنت مُعرض عنها؛ بل على الإنسان أن يُقبِلَ إقبال الدارس، إما لتنتهي إلى قضية إيمانية تُثري حياتك؛ وتعطيك حياة لا نهاية لها، وهي حياة الآخرة، أو تُسعد حياتك وحياة غيرك، بأن تتبكر أشياء تفيدك، وتفيد البشرية^(١).

(١) تفسير الشعراوي: الشعراوي (١/٤٤٩٧-٤٤٩٩) باختصار.

المطلب السادس المعرضون عن نذر الله

أولاً: تعريف الإنذار :

• **الإنذار لغة:** (ونذر) كلمة تدل على تخويف أو تخوُّف و منه الإنذار: الإبلاغ؛ ولا يكاد يكون إلا في التَّخْوِيف، وتناذروا: حَوَّفَ بعضهم بعضاً، ومنه النَّذْرُ، وهو أَنَّهُ يَخَافُ إِذَا أَخْلَفَ.

وقيل الإنذارُ: الإبلاغ ولا يكون إلا في التَّخْوِيفِ والاسم النَّذْرُ بضمَّتين ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القمر: ١٦]، أي: إنذاري و النَّذِيرُ الْمُنذِرُ و الإنذارُ أيضاً و النَّذْرُ واحد النَّذُورِ وقد نَذَرَ اللهُ كذا من باب ضرب ونصر ويقال نَذَرَ على نفسه نَذْرًا و نَذَرَ ماله نَذْرًا و تَنَادَرَ القوم كذا حَوَّفَ بعضهم بعضاً و نَذَرَ القوم بالعدو علموا وبابه طرب^(١).

وقيل الإنذار بمعنى التَّخْوِيفِ في الإبلاغ ، النَّذْرَى ، بالضمِّ، كِبُشْرَى، والنَّذْرُ، بضمَّتين، ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القمر: ١٦] أي: إنذاري، وقيل: إِنَّ النَّذْرَ اسْمٌ و الإنذارُ مَصْدَرٌ على الصحيح^(٢).

وقيل نذر بالشيء نذرا ونذارة علمه فحذره يقال نذروا بالعدو أنذره الشيء أعلمه به وخوفه منه، وتناذر القوم أنذر بعضهم بعضا شرا خوف بعضهم بعضا منه^(٣).

• الإنذار اصطلاحاً:

جاء الإنذار بمعنى التَّخْوِيفِ وهذا ما أكده القرطبي في تفسيره فقال: لا يكاد الإنذار يكون إلا في تخويف يتسع مع زمانه للاحتراز، فإن لم يتسع زمانه للاحتراز كان إشعاراً ، ولم يكن إنذاراً^(٤).

ثانياً: مجالات الإنذار^(٥):

الإنذار يكون بإحدى أمرين، فقد يكون بالقول: وذلك كوعظ المتشاجرين، واستتابة المرتد، وعرض الدعوة على الكفار، ووعظ الزوجة الناشز. وقد يكون الإنذار بالفعل في أحوال، منها:

- (١) مختار الصحاح: الرازي (٦٨٨/١).
- (٢) تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي (٢٠٠/١٤).
- (٣) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية.
- (٤) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (١/ ١٨٤).
- (٥) موسوعة الفقه الكويتية: وزارة الأوقاف الكويتية (٣٢١/٦).

أ. أن يكون الكلام غير جائز، كمن كان في الصلاة ورأى رجلاً عند بئر، أو رأى عقرباً تدب إلى إنسان، وأمكن تحذيره بغمزه أو لكزه، فإنه لا يجوز الكلام حينئذ (١).

وهناك صورة أخرى للتحذير بينها النبي ﷺ وهي - لمن كان في الصلاة ورأى ما يجب التحذير منه - أن يسبح الرجل وتصفق المرأة، روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: « مَا لِي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرْتُمْ التَّصْفِيقَ؟ مَنْ رَأَيْتُمْ شَيْءًا فِي صَلَاتِهِ فَلْيُسَبِّحْ، فَإِنَّهُ إِذَا سَبَّحَ التُّفَّتَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ » (٢)، وفي هذا صورة التحذير بالفعل بدل القول بالنسبة للمرأة التي في الصلاة.

ب. أن يكون الكلام غير مجد، وذلك إذا لم تفلح طريقة الوعظ بالنسبة للزوجة الناشز، فللزوج بعد الوعظ أن يهجرها، فإن لم يفلح الهجر ضربها ضرباً خفيفاً.

• ثالثاً: من له حق الإنذار (٣):

الإنذار في الغالب يكون تحذيراً من شيء ضار أو عمل غير مشروع، وكل ما كان كذلك فهو من حق كل مسلم، عملاً بقوله ﷺ: « وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » [آل عمران: ١٠٤].

وكتغيير المنكر باليد لمن يملك ذلك، عملاً بقول النبي ﷺ: « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » (٤).

رابعاً: عقوبة المعرضين عن نذر الله في ضوء القرآن الكريم:

تتبين عقوبة المعرضين عن نذر الله، بما حل بفرعون وقومه حين كذبوا وكذا ما حل ببني إسرائيل، وهكذا تتوالى نذر الله على عباده الذين خالفوا أمره بأنواع العقوبات .

و لقد وضع القرآن الكريم حال المعرضين عن نذر الله في أشنع صورة وذلك من خلال قوله

ﷻ:

١- ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَشْتُونَ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَخِفُّونَهَا مِنْهُ أَلَّا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصدور ﴾ [هود: ٥].

(١) بدائع الصنائع: ابن عابدين (٥٧٥/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الأذان، باب من دخل ليؤم الناس (١٩٦/١) رقم (٦٨٤).

(٣) موسوعة الفقه الكويتية: وزارة الأوقاف الكويتية (٣٢٢/٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، (٥٠/١) رقم (١٨٦).

هؤلاء الكافرون، الكارهون لدعوة التوحيد، يحنون ظهورهم، وينكسون رؤوسهم، كأنهم يحاولون طي صدورهم على بطونهم حين يسمعون القرآن، ليستخفوا من الرسول ﷺ وهو يتلو القرآن لكيلا يراهم وهم يسمعون نذر الله وآياته، ويخبرهم الله تعالى أن هذا الاستخفاء لا يفيدهم، ولا يغني عنهم شيئاً، لأن الله تعالى يعلم ما يكتُمونه في أنفسهم من النيات والسرائر، حتى إنه لقادر على أن يطلع على أحوالهم، ويعرف ما تتطوي عليه نفوسهم حينما يلبسون ثيابهم في ظلمة الليل، فيغطون بها أجسادهم، ويأوون إلى فراشهم، ثم يعلم ما يعلنونه نهاراً، وما يسرونه في صدورهم.

ينثون صدورهم - يطوونها على الكفر والعداوة.

يستغشون ثيابهم - يتغطون بها مبالغة في الاستخفاء.

ليستخفوا منه - من الله جهلاً منهم^(١).

ففي الآية تهديد مبطن ووعيد من الله أن الله يعلم ما يخفون في صدورهم وسيحاسبهم عليه.

٢- الآية الثالثة من سورة الأحقاف:

قوله ﷻ: ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا

معرضون ﴾ [الأحقاف: ٥٤].

لم يخلق الله السماوات والأرض إلا بالحق والعدل والحكمة التي اقتضتها مشيئته تعالى، لا للعبث واللغو والتسلية. وقد ر لهذه الكائنات أجلاً معيناً لبقائها، لا يزيد ولا ينقص، فإذا حان ذلك الأجل قامت القيامة أو بعث الناس، وحوسب كل واحد منهم على عمله في الحياة الدنيا وجوزي بعمله. ومع أن الله تعالى قد نصب الأدلة للعباد في الأنفس وفي الآفاق على وجوده، ووحدانيته، وعظمته وقدرته على الخلق، ثم أرسل الرسل إلى الناس بالكتب محذرين ومنذرين، فإن الذين كفروا استمروا في كفرهم وتكذيبهم وإعراضهم عن نذر الله إلي أجل مسمى هو يوم القيامة^(٢).

(١) انظر: أيسر التفاسير: أسعد حومد (١/١٤٧٩).

(٢) انظر: أيسر التفاسير: أسعد حومد (١/٤٣٩٢).

المطلب السابع المعرضون عن دفع الزكاة

أولاً: الزكاة:

الزكاة لغة: النماء والريح والزيادة يقال: زكى الزرع إذا نمى وزاد^(١).

وفي الاصطلاح: "حق في أموال مخصوصة، على وجه مخصوص، وتطلق الزكاة على المال المخرج، كما يقال زكى ماله إذا أخرج زكاته، والمزكى هو من يخرج زكاة ماله"^(٢).
ولقد عرفها الجرجاني بقوله: "هي عبارة عن إيجاب طائفة من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص"^(٣).

لقد قرن الله ﷻ الإيمان والعمل الصالح والصلاة بالزكاة، قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَكَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَكَاهُمْ يَحْزُونٌ﴾ [البقرة: ٢٧٧].
كما ويلاحظ أنها تفرق دوماً بالصلاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النور: ٥٦].

ولقد عرض الإسلام الزكاة ليعطيها أصحاب الأموال إخوانهم الفقراء لكي يشعر كل فرد بالحياة والرزق والسعادة، ويبدو أن الأمم السابقة عرفت الزكاة بشكل من الأشكال، فالقرآن الكريم يتحدث عن إبراهيم عليه السلام وذريته فيقول ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]^(٤).

كذلك يلاحظ أن القرآن يعرضها بصيغة فريدة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ثانياً: عقوبة مانع الزكاة:

الزكاة حق الفقراء في أموال الأغنياء، ولأن الإنسان يحب المال حباً جماً، لذا نراه يمنع هذا الحق أهله، وقد توعد الله كل مانع للزكاة بأشد العذاب فقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

وجاء التهديد بالسنة بأخذ نصف مال مانع الزكاة وهذا الحكم خاص بالنبي ﷺ خشية أن يتمرّدوا الناس على الزكاة بتهاونهم، أما بعد الرسول فرأى العلماء على وجهين:

(١) القاموس المحيط: الفيروز آبادي (٤/ ٣٣٩).

(٢) المغني: لابن قدامة (٨/ ٨٥٦)، وانظر: نهاية المحتاج: الشافعي الصغير (٨/ ٨٢).

(٣) التعريفات - للجرجاني (ص ١١٧).

(٤) انظر: دليل السائلين - أنس إسماعيل أبو داود (ص ٣٠٩)، ط ١ - ١٤١٦ هـ - ٢٠٠٤ م مطبعة أنوار دجلة - بغداد.

الأول: إما أن يمنعها امتناع كفر، الثاني: مانع غير منكر لها، ولكن المنع سببه العصيان. والناس يختلفون من حيث التأديب: فمنهم من يعزر بالمال وهو البخيل، ومنهم من يعزر بالضرب، ومنهم من يعزر بالتوبيخ أمام الناس، أو بالفصل من الوظيفة، ولا شك أن الشرع إذا عين نوعاً من العقوبة، ولو بالتعزير فهي خير مما يفرضه السلطان^(١).

فقد روي عن النبي ﷺ قوله: « فِي كُلِّ إِبِلٍ سَائِمَةٍ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ ابْنَةً لُبُونٌ، لَا تُفَرَّقُ إِبِلٌ عَنْ حِسَابِهَا، مَنْ أَعْطَاهَا مُؤْتَجِرًا فَلَهُ أَجْرُهَا، وَمَنْ مَنَعَهَا فَإِنَّا آخِذُوهَا وَشَطْرَ إِبِلِهِ عَزْمَاتٍ رَبَّنَا، لَا يَحِلُّ لِأَلٍ مُحَمَّدٍ مِنْهَا شَيْءٌ »^(٢).

وثمة أمر آخر وهو أن الخليفة أبا بكر رضي الله عنه قاتل مانعي الزكاة، وعلل بأنهم فرقوا بين الصلاة والزكاة وأنها حق ومن منع الحق يقاتل عليه.

فقد قال ﷺ: « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّْي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابِهِ عَلَى اللَّهِ »^(٣).

فالزكاة حق المال حتى نُقِلَ عن أبي بكر قوله: « وَاللَّهِ لِأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لِقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ »^(٤).

وقد وردت أحاديث تبين عذاب أولئك الذين يمتنعون عن أداء الزكاة فقد قال رسول الله ﷺ: « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزميه يعني شذقيه ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ﴿ وَكَأَيُّ حَسْبِنَ الَّذِينَ يَـبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠] »^(٥)، تلكم عقوبات في الدار الآخرة لمن ترك الزكاة.

والعقوبة الدنيوية العاجلة هي التي بينها النبي الكريم، فعن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: « (خمس بخمس) قالوا يا رسول الله: وما خمس بخمس؟ قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (٦٧/٦).

(٢) أخرجه النسائي في سننه (١٥/٣) رقم (٢٢٤١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(٤) رقم (٣٨/١).

(٥) المرجع السابق.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، (٥٨/٢) رقم (١٣٣٨).

الموت ولا طففوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر»^(١).

"وما منعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء" وذلك جزاء عادل، ذلكم لأن الزكاة حق الله ولا بد أن تؤدي لأصحابها ومستحقيها وهذه الزكاة إنما تجب على الأغنياء الذين ملكوا نصابها. والأصناف التي تجب فيها الزكاة ترجع في أكثرها إلى نزول الغيث من السماء، فبهذا الغيث تنبت الأرض، وتحيا الأنعام، فتنسج موارد العيش، وتنمو مصادر التجارة، فالزكاة تجب في المواشي والزرع والثمار، وتلكم أصناف لا بد لها من الغيث، بقيت النقود وعروض التجارة، وهذان الصنفان الغيث عامل أساسي في تنميتها، ومانع الزكاة منع حق الله سبحانه وضعفت عوامل الرحمة في قلبه، فكان لا بد من أن يجازي من جنس عمله، ويعاقب بنوع وعصيته، فمن منع الزكاة وانعدمت رحمة الناس في قلبه، فإنه لا يستحق رحمة الله بتارك وتعالى، وصدق الله ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْحَسَنِ﴾ [الأعراف: ٥٦]^(٢).

ولا شك أن مانع الزكاة لا يستحق شرف هذا الوصف، فهو مسيء غير محسن، إن مانع الزكاة ماتت عوامل الخير في نفسه، فكان حرياً أن يمنع الغيث الذي هو سبب في هذه الحياة. وإذا كانت هذه عقوبة مانع الزكاة في الدنيا، فإنها في الآخرة والله أشد وأشق، فما أعدل هذا الجزاء.

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٧١/١) سنده قريب من الحسن عن ابن عباس.

(٢) خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمانة- فضل عباس (ص ٤٣٨-٤٣٩-٤٤٠).

المطلب الثامن المعرضون عن اللغو

تعريف اللغو:

قال القرطبي: اللغو كل ما سقط من قول أو فعل فيدخل فيه الغناء واللهو وغير ذلك.
قال العلماء من اللغو: لغو الحديث والزور والباطل والمكاء والتصديّة .
وقال الحسن البصري: اللغو: المعاصي كلها.(١).

لقد جعل الله ﷻ الإعراض عن لغو الكلام سبباً من أسباب الفلاح للمؤمنين، وذلك متمثلاً بقوله ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ١-٣].
وإذا دققنا النظر في الآيات السابقة، وجدنا أن ذكر صفة الإعراض عن اللغو، جاء بعد صفة الخشوع في الصلاة، وذلك " لأن الصلاة في الأصل الدعاء، وهو من الأقوال الصالحة، فكان اللغو مما يخطر بالبال عند ذكر الصلاة بجامع الصِدِّيّة، فكان الإعراض عن اللغو بمعني الإعراض مما تقتضيه الصلاة والخضوع لأن من اعتاد القول الصالح تجنب القول الباطل، ومن اعتاد الخشوع تجنب قول الزور(٢).

وفي الحديث «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم»(٣).

وفي حث المؤمنين على الإعراض عن لغو الكلام تنويه بأهمية الكلمة، و بيان لضرورة أن تكون هادفة ذات معنى وغرض، ف" إن الكلمة تعبير حي عن الشخص والواقع والهدف، فإن اقتربت من اللامعني أو من اللاهدف أو من اللاجدية، كانت انحرافاً عن المسؤولية التي هي سر حياة الإنسان"(٤).
وإذا أصبح الأمر كذلك فإن الأجر بالمؤمن أن يعرض عن هذه الكلمة التي لا جدوي من ورائها، فإن للمؤمن ما يشغله عن اللغو والهنز.

وليس الإعراض هنا هزيمة أو تعبير عن ضعف، ولكنه ترفع المؤمن عن هذه السفاسف، وأدب في التعبير عن الرأي. ولكن ليس معنى ذلك أن الحياة كلها جدُّ، ولا مجال فيها للترفيه عن النفس، ولكن معناه أن يكون هناك هدف حتى للهو والمزاح والترفيه، كأن تهدف هذه الأمور إلى إعادة النشاط للإنسان أو أن تساعد على التخفف من مشاكل الحياة وعقدها النفسية.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٧٩/١٣).

(٢) التحرير والتنوير: ابن عاشور (١١ / ١٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: رقم (٢٣)، (٥ / ٢٣٧٧)، حديث رقم (٦١١٣).

(٤) تفسير من وحي القرآن: فضل الله (١٣٤/١٦).

ويصف ابن عاشور الإعراض عن اللغو في مثل هذه الحالة، بأنه أدب في التعامل مع بعض الناس، يقول: " واعلم أن هذا أدب عظيم من آداب المعاملة مع بعض الناس، وهم الطبقة غير المحترمة لأن أهل اللغو ليسوا بمرتبة التوقير، فالإعراض عن لغوهم ربءٌ عن التسفل معهم" (١).
فالإعراض في مثل هذه الأحوال إنما هو أدب معبر ينبغي التحلي به لا التخلي عنه.

ويقول ﷺ في سورة أخري في وصف جماعة من أهل الكتاب: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٤﴾ [القصص: ٥٢-٥٥].

فالله ﷻ يمتدح في هذه الآيات أهل الكتاب الذين أدركوا محمداً ﷺ فأمنوا بالقرآن، ويبين أنهم يحصلون على ثواب عملهم مرتين: مرة على إيمانهم بكتابهم، ومرة على إيمانهم بالقرآن، بسبب صبرهم وثباتهم على إيمانهم، فإن تجشم مثل هذه المشاق شديد على النفوس.

ثم أشارت الآيات إلى أن من صفات هذه الفئة الفاضلة، التأدب في خطاب الآخرين، والمتمثل في الإعراض عن اللغو، وعدم الرد على سفاهة الجاهلين. فهم كما تصفهم الآيات السابقة " إذا سمعوا ما لا ينفع في دين ولا في دنيا، من السب والشتائم وتكذيب الرسول أعرضوا عن قائله ولم يخالطوهم، وإذا سفه عليهم سفيه، وكلمهم بما لا ينبغي رده من القول لم يقابلوه بمثله، إذا لم يصدر منهم إلا طيب الكلام، وقالوا: لنا أعمالنا لا تتابون على شئ منها ولا تعاقبون، ولكم أعمالكم لا نطالب بشئ منها، فنحن لا نشغل أنفسنا بالرد عليكم، سلام عليكم سلام متاركة وتوديع، فإننا لا نريد طريق الجاهلين" (٢).

ويوضح لنا ذلك ما جاء في سيرة ابن هشام، حيث: قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو يزيدون، من نصارى الحبشة حين بلغهم خبره، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أندية حول الكعبة، فلما فرغوا من مساءلته عما أرادوا، دعاهم إلي الله ﷻ وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره.

فلما قاموا عنه، اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خبيكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم تترادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تظمنن مجالسكم عنده

(١) التحرير والتنوير: ابن عاشور (١١/١٨).

(٢) تفسير المراغي: المراغي (١٨١/٧).

حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال، ما نعلم ركبياً أحق منكم. فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نُجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً^(١).

والمؤمن الحق جاد حذر حيي، فيعرض ولكن في غير استعلاء أو تأفف أو سُخْفٍ وسُخْطٍ، وإنما يأتي إعراضه - بالكف عن المشاركة في اللغو أو بالانسحاب من المجلس - في رفق وأدب وذوق، مستخدماً منطق الواثق بربه وبنفسه وبمنهجه: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾. ثم إضافة أخرى أجمل وأحسن: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾. ولعل البعض يتساءل: هل يقال لمن نرفض حديثه ونُعرض عن محادثته لانحرافه عن الصواب وجُنوحه عن الفضيلة، هل يقال له: سلام عليكم؟! نعم، وهذا هو منطق الإسلام وذوق الإيمان. لأن المؤمن ليس حاكماً على الناس، ولا مُتسيداً عليهم، وإلا كان هو أفضل منه ومن كل المؤمنين، أحق بهذا وأقدر، وهو النبي المصطفى محمد ﷺ، الذي يقول القرآن في شأنه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. ويقول: ﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ مُبْسِطٌ﴾ [الغاشية: ٢١ - ٢٢]، ويقول ﷺ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، إنها قمة الأدب والذوق الإيماني الرفيع^(٢).

(١) السيرة النبوية: ابن هشام (٢ / ٢٣٦)، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٣ / ٨٢) .

(٢) الإسلام والذوق العام: شاكر فؤاد (ص ٣٩) .

المبحث الثاني المعرض عنهم في ضوء القرآن الكريم

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: المشركون .

المطلب الثاني: المنافقون.

المطلب الثالث: الجاهلون.

المطلب الرابع: اليهود.

المطلب الخامس: الذين يخوضون في آيات الله.

المطلب السادس: الزوجة الناشز.

المطلب السابع: الفقراء من ذوى القربى.

المبحث الثاني المعرض عنهم في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول المشركون

أولاً: تعريف المشركين:

- **المشركون لغةً:** الشرك بالكسر والشريك كأمرير المشارك ويجمع الشريك على شركاء كما يقال: شريف وأشرف وشرفاء قال ﷺ: ﴿فَأَجْمَعُوا أُمَّرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١].
أي أدعو شركاءكم ليعاونوكم. الشرك. الكفر وقد أشرك فلان فهو مشرك ومشركة، وقال الأزهري: والشرك بمعنى الشريك وبمعنى النصيب وجمعه أشراك، وأشرك بالله: كفر أي "جعل له شريكا في ملكه تعالى الله عن ذلك" (١).

• **المشركون اصطلاحاً:**

ولقد عرف الدكتور عصام زهد المشركون: هم الذين يتخذون إليها آخر مع الله سبحانه وتعالى كأن يؤمن بشعار أرضى هابط مخالف لدين الله سبحانه فيقدم من أجله الوقت والمال والنفس والقربان أو يتخذ صنماً بشرياً أو حجرياً فيطعمه فيما يعتقد أنه صادر عنه أو يرضى عن فعله، أو يتخذ الهوى إليها من دون الله فيكون أشرك هواه.

ثانياً: طرق محاربة المشركين للإسلام:

١- الصد عن المسجد الحرام والصلاة:

يقول ﷺ: ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه﴾ [الأنفال: ٣٤]، وقوله ﷺ: ﴿وما كان صلواتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديةً فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ [الأنفال: ٣٥].
وقوله ﷺ: ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ [الحج: ٢٥].

لقد كان للمشركين الصادين عن سبيل الله مواقف تؤخذ عليهم تجاه المسجد الحرام ومن هذا الموقف السلبي الذي اتصف به الصادون عن سبيل الله تجاه المسجد الحرام أنهم أرادوا فيه المعصية والظلم.

(١) تاج العروس: للزبيدي (٦٧٣٠/١) باختصار، وانظر لسان العرب: لابن منظور (٤٤٨/١).

تفسير الآية: إن الذين كفروا بالله ورسوله، وصدوا عن سبيل الله وعن المسجد الحرام من أراده من المؤمنين الذين هم أحق الناس به، مع أن الله تعالى جعله للناس جميعاً يعبدون الله فيه ، يستوي في شأنه المقيم فيه والنائي عنه من أهل البوادي وغيرهم ومن فيه مراداً عادلاً عن القصد والاستقامة ، أي يهيم فيه بمعصية كبيرة عامداً قاصداً أنه ظلم متعمداً التأويل فيه نذقه يوم القيامة من العذاب المؤلم^(١).

٢- إنفاق المال للصد عن سبيل الله:

يقول ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

يقول سيد قطب-رحمه الله- في تفسيره للآية الكريمة : "والكفار ينفقون أموالهم ليتعاونوا على الصد عن سبيل الله هكذا فعلوا يوم بدر.... وهكذا ظلوا بعد بدر يستعدون للوقعة التالية ، والله يذرهم بالخيبة فيما يبغون وبالْحَسْرَةَ عِلْ مَا يَنْفِقُونَ ، ويعدهم بالهزيمة في الدنيا وعذاب جهنم في الآخرة . وليس هذا الذي حدث قبل بدر ويعدها إلا نموذجاً من الأسلوب التقليدي لأعداء هذا الدين إنهم ينفقون أموالهم ويبدلون جهدهم ويستنفذون كيدهم في الصد عن سبيل الله ، وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدين وفي حرب العصابة المسلمة في كل أرض وفي كل حين"^(٢).

فإن طبيعة الكفار متشابهة في إنفاق المال للصد عن سبيل الله فالكفار في العهد النبوي أنفقوا الأموال للصد عن سبيل الله وذلك بتجهيز الجيوش وإعلان أن من يأتي بمحمد حياً أو ميتاً له مائة من الإبل وهذا يتكرر في زماننا الذي نعيشه.

فالكفار في زماننا ينفقون الأموال الطائلة لمحاربة الإسلام فهاهي أمريكا تمد إسرائيل بالإمدادات العسكرية والأسلحة والعدة والعتاد لمحاربة الإسلام في فلسطين ويعلمون الجوائز النقدية بالملايين لمن يأتي بخبر عن القائد فلان أو من يقوم بإدلاء معلومات عن المجاهدين والمقاومة أو عن الشرفاء من أبناء الأمة الإسلامية. بالإضافة إلي ما يقومون به من إنشاء المؤسسات التبشيرية سواء أكانت صحية أو تعليمية أو اجتماعية ودعم الإعلام المقروء والمسموع ونشر الكتب فهذه هي طريقة الكفار المستمرة في كل زمان ومكان لإنفاق المال للصد عن سبيل الله.

٣- تزيين المكر برسول الله ﷺ:

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د. وهبه الزحيلي (٧٨/٢٦) ط ١٩٩١م دار الفكر المعاصر.

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب (١٥٠٦/٣) دار العلم للطباعة والنشر-جدة-بيروت ط ١٤٠٦هـ/٢٠٨٦م.

ومن صور المكر التي مكرها الكفار برسول الله ﷺ وذلك، ما ذكره الله عز وجل بقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

في هذه الآية إخبار بما اجتمع عليه المشركون من المكر بالنبي ﷺ في دار الندوة فاجتمع رأيهم على قتله ورصدوه على باب منزله طول ليلتهم ليقتلوه إذا خرج فأمر النبي ﷺ على بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام في فراشه، ودعا الله أن يعمى عليهم أثره، فطمس الله على أبصارهم (١). هذه هي صور المكر برسول الله وهي الحبس في قوله ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ والإخراج والإبعاد في قوله ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ والقتل في قوله ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾.

وهذه الوسائل التي استخدمها الكفار في الماضي من القتل والحبس والإخراج لا تزال مستخدمة في زماننا هذا فالقتل مستمر وبأبشع الصور كالاغتيال للعلماء والقادة والدعاة والأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ والرجال.

والإثبات: يشمل في زماننا ما يفعله الأعداء من سجن للمجاهدين والدعاة، والإخراج: وهو ما حدث مع أبناء الأمة من الدعاة والمجاهدين والقادة من إخراجهم عن أوطانهم ونفيهم إلى منافي شتى. فهذا هو طريق الكافرين في محاربة الإسلام والمسلمين.

٣- إيذاء الكفار للنبي ﷺ:

و يشمل الإيذاء المادي (الحسي) والإيذاء المعنوي:

فالإيذاء المعنوي وهو المتمثل بنشر الأقاويل والأباطيل، واتهامه بما لا يليق به ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، يقول ﷻ: ﴿لَتَبْلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قِبَلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

▪ ﴿لَتَبْلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ حفلت الآيات بصور من مكابد أهل الكتاب والمشركين، وصور من دعواتهم للبلبله والتشكيك وأحياناً في أصول الدعوة وحقيقتها، وتتنوع بابتداع وسائل الدعاية الجديدة.

وفى قوله ﷻ: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قِبَلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا...﴾ [آل عمران: ١٨٦].

(١) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (٧/٢٥٢).

وذلك قولهم للرسول ﷺ بأنه ساحر كذاب قال ﷺ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَابٌ﴾ [ص: ٤].

وقالوا بأنه مجنون: قال ﷺ: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِجْنُونٌ﴾ [الدخان: ١٤].

وقالوا بأنه شاعر وكاهن: قال تعالى ﷻ: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتِرَاءُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]، ولقد نفى الله عنه فقال ﷻ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤١-٤٢] (١).

٤ - التحالف مع اليهود:

لقد تحالف المشركون من قريش مع اليهود ضد رسول الله ﷺ، وقد ذكرت كتب السيرة ما حدث من اليهود وتحالفها مع قريش ضد رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب، فقد جاء أن وفداً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضرى، وحى بن أخطب وغيرهم، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله، قالوا إنا سنكون معكم حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه، قالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله فيهم ﴿الْمُتَرَاتِلِ الَّذِينَ أُنزِلَتْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

فلما قالوا ذلك لقريش، سرهم و نشطوا لما دعاهم إليه من حرب رسول الله ﷺ أن قريشاً قد تابعوهم على ذلك فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب (٢).

(١) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (١/٥٤٠).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام: لابن هشام (٢/٢٦).

المطلب الثاني المنافقون

أولاً: تعريف المنافقين :

■ المنافقون لغة:

قال الليث: نفقت الدابة، إذا ماتت، ونفق السعر ينفق نفوقاً، إذا أكثر مشترهه، **والنفقة:** ما أنفقت واستنفقت على العيال وعلى نفسك.

والنفق: سرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر، والناقفاء: موضع يرفقه اليربوع في جحره فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب الناقفاء^(١) برأسه.

وقال أبو عبيد: سمي المنافق منافقاً للنفق وهو السرب في الأرض، وإنما سمي منافقاً لأنه نافق كاليربوع، وهو دخوله ناقفاء.

يقال: قد نفق ونافق، وله جحر آخر يقال له القاصعاء، فإذا طلب قصع مخرج من القاصعاء، فهو يدخل في الناقفاء، ويخرج فيقال: هكذا يفعل المنافق، يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه^(٢).

■ المنافقون اصطلاحاً:

جاء في تعريف المنافقين: "هم الذين يظهرون الإيمان باللسان ويكتمون الكفر بالقلب"^(٣).

ثانياً: أنواع النفاق:

النفاق نوعان: أكبر، أصغر

فالنفاق الأكبر: أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بدم أهله وتكفيرهم وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار، فقال ﷺ: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَكُنْ** **تَجِدَهُمْ نَصِيرًا** ﴾ [النساء: ١٤٥].

والنفاق الأصغر: هو نفاق العمل: وهو أن يظهر الإنسان عملاً علانيةً ويبطن ما يخالف ذلك^(٤).

(١) القاصعاء والناقفاء: تطلق على منافذ جحر حيوان اليربوع (الصحاح في اللغة: للجوهري (١٤٣/٢).

(٢) تهذيب اللغة: للأزهري (٣/ ٢٣٩) بتصرف.

(٣) انظر التعريفات: للجرجاني (ص٢٤٥).

(٤) جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي البغدادي (ص٣٧٥).

ثالثا: الآيات والأحاديث في ذم المنافقين:

نزلت الآيات الكريمة تترى، تفضح المنافقين وتحذر من شرورهم ومكائدهم.

١. قال ﷺ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَرِيحًا﴾ [النساء: ١٤٥].
٢. قال ﷺ: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيتُهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨ - ١٣٩].
٣. قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].
٤. قال ﷺ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].
٥. قال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسِيسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحریم: ٩].

■ ومن الأحاديث الواردة في ذم المنافقين:

١. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(١)، غير أن في حديث سفيان وإن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق.
٢. عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرُجَةِ * رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»^(٢).

رابعاً: صفات المنافقين:

٦. **نقض العهد:** قال ﷺ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق (١٦/١)، رقم (٣٤)، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، (٥٦/١) رقم (٢١٩).

* الأترج: قيل هو التفاح، وقيل هو ثمر طيب الطعم والرائحة يشبه الليمون.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج: باب الإدلاج من المحصب، (١٩٧/٦) رقم (٥٠٥٩)، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضيلة حافظ، (١٩٤/٢)، رقم (١٨٩٦).

١. البطر والرياء والصد عن سبيل الله: قال ﷺ: ﴿وَمَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٧].
٢. الجهل بشرع الله وأحكام دينه: قال ﷺ: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رُسُلِهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٧].
٣. إتقان زخرفة الكلام والاهتمام بإصلاح المظهر مع فساد المخبر: قال ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرَّ بِكُمْ تَعْجِبُكُمْ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].
٤. الإعراض والصدود والاستكبار عن الحق: قال ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥].
٥. التطاول على رسول الله والظعن في أصحابه: قال ﷺ: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُثَقُّوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلَئِنْ خَرَّازِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَنْ مَرْجِعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٧-٨].
٦. حلف الأيمان الكاذبة طلبا للنجاة: قال ﷺ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَكِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤].
٧. الإعاقة والتثبيط عن الجهاد في سبيل الله: قال ﷺ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَاتِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْكَ إِلَيْنَا وَكَيْتُونِ الْبَاسُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨].
٨. اختلاق الأعذار الواهية للتنصل من المسئوليات والفرار من الجهاد: قال ﷺ: ﴿قَالَتْ طَافِقَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٠﴾ وَكَوَدُخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَلُّوا الْفِتْنَةَ لِأَنُوهَا وَمَا تَلَبَّوْا بِهَا إِلَّا سِيْرًا ﴿١١﴾ وَكَوَدُ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهُ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤْخِرُونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ [الأحزاب: ١٣-١٥].
٩. تحين الفرص للوقية بالمسلمين واتخاذ كل وسيلة لذلك: قال ﷺ: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٨].

١٠. **الإفساد في الأرض:** قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١١-١٢].

١١. **التذبذب في المواقف:** قال ﷺ: [مثل المنافق كالشاة العائرة* بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة]^(١).

١٢. **الموالاة لأعداء الإسلام:** قال ﷺ: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩]^(١).

خامسا: مضار النفاق:

١. المنافق لا يقبل الله منه عملاً صالحاً.
٢. المنافق مريض القلب يفرح إذا أصاب المسلمين ضرر ويحزن إذا انتصروا ويتربص بهم الدوائر.
٣. المنافقون بخلاء، ولكن ينفقون أموالهم رياء الناس.
٤. المنافق ضال باعتقاده وعلمه وعمله.
٥. المنافقون والمراءون يتعذبون بأموالهم بالدنيا والآخرة.
٦. الشدائد والمحن سرعان ما تظهر المنافق على حقيقته.
٧. المنافقون يلتمسون أدنى الأعذار للقعود عن الجهاد.
٨. المنافقون في كل مكان وزمان أخوة الكافرين والمشركين والملحدين يشدون أزر بعضهم.
٩. النفاق والرياء يوردان أصحابهما المهالك في الدنيا وغضب الله وأليم عقابه في الآخرة.^(٢)

الخلاصة:

بعد بيان حال المنافقين يتبين لنا أن المنافقين أشد الناس خطر على الإسلام وعلى دعوة الله في كل زمان ومكان وإن اختلفت أسماؤهم في كل زمان، ولكن اتفاهم واحد وهو الإضرار بالإسلام وأهله، وأنهم يعملون في الأمة عمل النار في الهشيم بل وأشد من ذلك يقومون بنشر الأراجيف ونشر لأفكار الضلال والباطل وتثبيط همم المجاهدين ، ولما كان للمنافقين من خطر كبير على الإسلام والمسلمين وجب علينا فضحهم والتحذير منهم والإعراض عنهم واجتناب مكرهم والتشريد بهم والعمل على عزلهم وجهادهم في كل حين.

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، كتاب: في النذور، باب في النفاق، (١١ / ٥٧١)، رقم (٩١٨٨).

* العائرة: الساقطة لا يعرف لها مالك ولا تدري أي قطيعين تتبع.

(٢) الأخلاق في الإسلام: د. كايد قرعوش وأخرون- (ص ٣٣١-٣٣٤) ط٤، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م - دار المناهج النشر - عمان - ٢٠٠٣م. انظر: المنافقون في القرآن الكريم: محمد يوسف عبد بن حسن (ص ٣٦).

المطلب الثالث الجاهلون

تعريف الجاهلين:

■ **الجهل لغة:** قال الراغب: الجهل على ثلاثة أضرب.

الأول: هو خلو النفس من العلم.

الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أم فاسدا كتارك الصلاة

عمدا وعلى ذلك قوله ﷺ: ﴿ قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُوءًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [البقرة: ٦٧].

فجعل فعل الهزوء جهلا وقوله ﷺ: ﴿ فَتَيَبْنَا أَنْ تَصِيْبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ

نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

والجاهل يذكر تارة على سبيل الذم وهو الأكثر وتارة لا على سبيله نحو ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ

أَغْنِيَاءَ مِنَ الْعَفْفِ ﴾ [البقرة: ٢٧٣] أي من لا يعرف حالهم. (١)

وقد عرف ابن منظور الجهل فقال الجهل: نقيض العلم وقد جهله فلان جهلا و جهالة و جهل

عليه وتجاهل أظهر الجهل. والجهل الذي هو ضد الخبرة والحلم والرشد، يقال هو يجهل ذلك، أي لا

يعرفه، فالمراد بالجاهلين: السفهاء الأغرار. (٢)

الجاهلون اصطلاحاً:

عرف الدكتور صبحي اليازجي الجاهلون بأنهم: هم الأشخاص الذين يؤمنون بمجموعة الأفكار

والعواطف والأعمال والمواقف أو السلوكيات المضادة لشريعة الإسلام والحضارة الإنسانية بوجه عام.

■ الآيات والأحاديث الواردة في الإعراض عن الجاهلين:

٢- قال ﷺ: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥].

٣- وقال ﷺ: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَكَمْ يُرِدُّ لِيَآئِنَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [النجم: ٢٩].

٤- وقال ﷺ: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَأَعْمَلُنَّكُمْ أَعْمَالَكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي

الْجَاهِلِينَ ﴾ [التقصص: ٥٥].

وقال ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

(١) تاج العروس: للزبيدي (١/ ٦٩٥٧).

(٢) لسان العرب: لابن منظور (١١/ ١٢٩).

يقول سيد قطب - رحمه الله - في تفسيره للآية الكريمة ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ أي: خذ العفو الميسر الممكن من أخلاق الناس في المعاشرة والصحبة، ولا تطلب إليهم الكمال، ولا تكلفهم الشاق من الأخلاق واعف عن أخطائهم وضعفهم ونقصهم... وكل أولئك في المعاملات الشخصية لا في العقيدة الدينية ولا في الواجبات الشرعية، فالتعامل مع النفوس البشرية لهدايتها يقتضي سعة الصدر، وسماحة الطبع، ويسرا وتيسيرا في غير تهاون ولا تفريط في دين الله.

﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ وهو الخير المعروف الواضح الذي لا يحتاج إلى مناقشة وجدال، والذي تلتقي عليه الفطر السليمة والنفوس المستقيمة... والنفوس حين تعناد هذا المعروف يسلس قيادها بعد ذلك، وتتطوع لألوان من الخير دون تكليف وما يصد النفس عن الخير شيء مثلما يصدها التعقيد والمشقة والشدة في أول معرفتها بالتكليف.

﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ والإعراض عن الجاهلين لا يكون عن ضعف، ولا عن عجز إنما عن استعلاء وعن صيانة للوقت والجهد أن ينفقا فيما لا يليق بالرجل الكريم المشغول بما هو أهم وأرفع. وما أجدر صاحب الدعوة أن يتبع هذا التوجيه الرباني العليم بدخائل النفوس^(١).

هذه أخلاق أمر الله بها نبيه ﷺ ودله عليها. وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى، فسبكه في بيتين فيهما جناس فقال:

أمرت وأعرض عن الجاهلين
فمستحسن من ذوي الجاه لين^(٢)

خذ العفو وأمر بعرف كما
ولن في الكلام لكل الأنام

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: « لما كان يوم حنين آثر رسول ﷺ الله ناسا من أشراف العرب في القسمة، فقال رجل: والله إن هذه قسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله، فقلت: والله لأخبر رسول الله، فأتيته فأخبرته بما قال، فتغير وجهه حتى كان كالصرف، ثم قال: فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، ثم قال: يرحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر^(١).

عن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: « قَدِمَ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنِ وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُذْنِبُهُمْ عَمْرُ

(١) انظر في ظلال القرآن: لسيد قطب (٣/ ١٤١٩) بتصرف، دار الشرق ط ٣٢ ٢٠٠٣م - ١٤٢٣هـ.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير: اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني (٢/ ٧٧) دار الصالحين للطباعة والنشر ط ٧.

(١) الجمع بين الصحيحين، كتاب مسانيد المقدمين بعد العشرة، باب المتفق عليه من مسند عبدالله بن مسعود، رقم (١٧٩)، (١/ ١٢٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلف قلوبهم علي الإسلام، رقم (٢٤٩٤)، (٣/ ١٠٩)، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الحج، باب: الإدلاج من المحصب (٤/ ٩٥)، رقم (٣١٥٠).

وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ قَالَ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَاسْتَأْذَنَ لِعُيَيْنَةَ فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَمَا (وَلَا) تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ فَعُضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ فَقَالَ الْخُرِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ «^(١).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّهُ عَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاءِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاءِ يَسْتَنْظِلُونَ بِالشَّجَرِ وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ قَالَ جَابِرٌ فَنَمْنَا نَوْمَةً ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا فَجِئْنَا فَاذًا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ فِي يَدِي صَلْتًا فَقَالَ لِي مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قُلْتُ اللَّهُ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «^(٢).

وفي هذه دلالة واضحة على قوة يقينية، وصبره على الأذى، وحلمه على الجاهل، وشدة رغبته في استئلاف الكفار، ليدخلوا في الإسلام.

ولهذا ذكر أن هذا الأعرابي رجع إلى قومه وأسلم، واهتدى به خلق كثير^(٣).

• الحكمة من الإعراض عن الجاهلين:

يقول الحق ﷻ: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ فالحكمة من الإعراض عن الجاهلين هي الحوض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة.^(٤)

جاء في تفسير المنار: "إِنَّمَا يَجِبُ الْإِعْرَاضُ عَنِ السُّفَهَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَطْلُبُونَ الْحَقَّ إِذَا فَقَدُوهُ، وَلَا يَأْخُذُونَ فِيمَا يُخَالِفُ أَهْوَاءَهُمْ إِذَا وَجَدُوهُ، وَلَا يَرْعَوْنَ عَهْدًا، وَلَا يَحْفَظُونَ وُدًّا، وَلَا يَشْكُرُونَ مِنَ النِّعْمَةِ إِلَّا مَا انْتَصَلَ مَدَدُهُ، فَإِذَا انْقَطَعَ عَادَ الشُّكْرُ كُفْرًا، وَاسْتَحَالَ الْمَدْحُ دَمًا"^(٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: التفسير، باب: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين: رقم (٤٦٤٢)، (٩٦٤/١).

انظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار - محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي باب الإعراض عن الجاهلين ص ٣١٠-٣١١ دار الحديث - القاهرة للطباعة والنشر ط ١، انظر: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين - للنووي - شرح ابن العثيمين (٣٧٥/١) ط ١، دار الغد الجديد ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الحج، باب: الإدلاج من المحصب (١١٤ / ٥)، رقم (٤١٣٥).

(٣) أخرجه البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد - باب من علق سيفه بالشجر بالسفر عند القائلة (٩٦/٦) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف (٥٧٦/١)، (١٧٨٦/٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٣٤٤/٧).

(٥) تفسير المنار: محمد رشيد رضا (٤٤٩/٩).

ويقول وهبه الزحيلي في تفسيره : "ربما أقدم بعض الجاهلين على السفاهة والإيذاء، فيكون الإعراض عنهم هو المتعين، اتقاء لشركهم، وصيانة للدّاعية عن أذاهم، ورفعاً لقدره عن مجاوبتهم. وذلك يتناول جانب الصّفح بالصّبر" (١).

المطلب الرابع اليهود

أولاً: تعريف اليهود :

- اليهود لغة: اسم نبي ويهود يجمع على يهدان - وهوده - حوله إلى ملة يهود، والهوادة، اللين وما يرجى به الصلاح، وتهود صار يهودياً. واليهود، التوبة والرجوع إلى الحق (٢).
- اليهود في الاصطلاح: اليهود من سبط يهودا أحد الأسباط الذين أصبحوا علماً على بني إسرائيل وذكر (الرازي) أن معنى "هادوا" أي تابوا وتظاهروا بالتوبة بعد عبادة العجل فسموا فيما بعد هودا أو يهودا (٣).

ثانياً: صفات اليهود في القرآن الكريم:

يمكن إبراز الآيات التي تحدثت عن صفات اليهود في القرآن الكريم:

١. الكفر بالله وآياته (٤):

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۖ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة بن مصطفى الزحيلي (٢٢١/٩).

(٢) القاموس المحيط: للفيروزآبادي (٣٣٣ / ١).

(٣) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي (ص ٥٥٧) المطبعة الأميرية، القاهرة.

(٤) قيم اليهود في القصص القرآني:- للطالب: طلال محمد خلف، (ص ٥٤)، بحث منشور (رسالة ماجستير)، كلية التربية قسم أصول التربية- الجامعة الإسلامية بغزة (الطبعة الأولى)، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) باختصار.

٢. الشرك:

أ. الشرك بالله بعبادة العجل، قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٩٢].

ب. الشرك بالله بنسبة الابن إليه: قال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

ج. الشرك بالله باتخاذ الأرباب من دونه: قال ﷻ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُم مِّمَّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

بل أشارت التوراة إلى شركهم العظيم: "اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب وكل عشائر بني إسرائيل هكذا قال الرب: ماذا وجد في آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عني وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً^(١).

كما فيها "وأنتم قد تركتموني وعبدتم آلهة أخرى، لذلك لا أعود فأخلصكم، امضوا واصرخوا إلى الآلهة التي اتخذتموها لتخلصكم هي في زمان ضيقكم"^(٢).

٣. الكذب على الله:

قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

٤. تحريف كتاب الله:

قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا﴾ [النساء: ٤٦].

٥. عبادة الطاغوت:

قال ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ مَتَّبِعِينَ عِندَ اللَّهِ مِنَ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضِبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

٦. تبديل نعم الله:

قال ﷻ: ﴿سَلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١].

٧. الإعراض عن كتاب الله^(٣):

(١) سفر أرميا: (٢: ٤ - ٥).

(٢) سفر القضاة: (١٠: ١٣ - ١٥).

(٣) قيم اليهود في القصص القرآني: - للطالب: طلال محمد خلف، (ص ٥٥)، بحث منشور (رسالة ماجستير)، كلية التربية قسم أصول التربية - الجامعة الإسلامية بغزة (الطبعة الأولى)، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) باختصار.

قال ﷺ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ مَنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَمِرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

٨. الكفر والافتراء على الله:

قال ﷺ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتِلِهِمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

٩. سوء الأدب مع الله:

قال ﷺ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُلُّ اللَّهُ مَعْلُوبَةً غَلَتْ أَيْدِيهِمْ وَكُلُّهُمْ لَمَعًا أَلَمْ يَدْعُوا مِسْوَطًا يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَئِنْ بَدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْفِتْنَا بَيْنَهُمْ الْعُدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

١٠. التكبر على الله:

قال ﷺ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَتَكْبِتُ مَا قَالُوا وَقَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُو قُرْبَى عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

١١. عدم توقير الله (الجهل بصفات الله):

قال ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

١٢. الصد عن سبيل الله:

قال ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ بَغْوَتَهَا عِجَابًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٩].

١٣. محاربة دين الله:

قال ﷺ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

١٤. الطعن في دين الله^(١):

(١) قيم اليهود في القصص القرآني:- للطالب: طلال محمد خلف، (ص ٥٦)، بحث منشور (رسالة ماجستير)، كلية التربية قسم أصول التربية- الجامعة الإسلامية بغزة (الطبعة الأولى)، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) باختصار.

قال ﷺ: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَمَرَاعِنَا لِيَا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦].

١٥. الاستهزاء بدين الله^(١):

قال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمُ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المائدة: ٥٧ - ٥٨].

١٦. إضلال عباد الله:

قال ﷺ: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَو يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩].

١٧. التولي عن أوامر الله:

قال ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِأُولِي الدِّينِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣].

١٨. تولي أعداء الله:

قال ﷺ: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِبَسِّ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنفُسَهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠].

١٩. الخوض في آيات الله:

قال ﷺ: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

٢٠. معاداة عباد الله:

قال ﷺ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

٢١. ترك كتاب الله (التوراة):

قال ﷺ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

٢٢. الاستكبار عن إتباع القرآن:

(١) قيم اليهود في القصص القرآني: - للطالب: طلال محمد خلف، (ص ٥٧)، بحث منشور (رسالة ماجستير)، كلية التربية قسم أصول التربية- الجامعة الإسلامية بغزة (الطبعة الأولى)، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) باختصار.

قال ﷺ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَمِرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

٢٣. عدم مراعاة حدود الله:

قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ أَخْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٣].

٢٤. البغي في دين الله (الحسد):

قال ﷺ: ﴿بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠].

٢٥. الإيمان بالجبوت:

قال ﷺ: ﴿الْمُتَرَالِي الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

٢٦. إتباع الشياطين:

قال ﷺ: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سَلِيمًا وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢].

٢٧. الغواية:

قال ﷺ: ﴿وَلَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦].

٢٨. جحود الحقائق وإنكارها:

قال ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١].

٢٩. الشك في كتاب الله:

قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠].

٣٠. العناد والمكابرة:

قال ﷺ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥].

٣١. عداوة الملائكة:

قال ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

٣٢ . الافتراء على الملائكة^(١):

قال ﷺ: ﴿يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحِرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِ هَامْرُوتَ وَمَامْرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٣٣ . ضعف الإيمان باليوم الآخر:

قال ﷺ: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ [البقرة: ٩٦].

٣٤ . المخادعة في الدين:

قال ﷺ: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

٣٥ . المكر السيئ بالمؤمنين:

قال ﷺ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

٣٦ . عدم الرضي عن المؤمنين:

قال ﷺ: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

٣٧ . إيذاء المؤمنين:

قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قِبَلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

٣٨ . تكذيب الأنبياء:

قال ﷺ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا بِكُمْ وَقَوْمَكُمُ الْقَاتِلِينَ﴾ [البقرة: ٨٧].

٣٩ . كتمان الحق:

(١) قيم اليهود في القصة القرآني: - للطالب: طلال محمد خلف، (ص ٥٨)، بحث منشور (رسالة ماجستير)، كلية التربية قسم أصول التربية - الجامعة الإسلامية بغزة (الطبعة الأولى)، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) باختصار.

قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ
اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

٤٠. الفسوق:

قال ﷺ: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ
هُمُ خَالِدُونَ﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا هُمُ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾
[المائدة: ٨٠-٨١].

٤١. الكيد للمسلمين:

قال ﷺ: ﴿أَفْتَطَمِعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَلْحِقُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضَمٍ إِلَىٰ بَعْضِ قَوْلُوا اتَّخَذْتُمُوهُمْ بَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ
عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٥-٧٦].

٤٢. تحريف الكلم من بعد مواضعه (القرآن الكريم)

قال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ
الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا
فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١].

٤٣. الغلو في دين الله:

قال ﷺ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ الْإِثْمَ﴾ [النساء: ١٧١].

٤٤. الغفلة عن الله:

قال تعالى: ﴿وَجَاوَرْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا
لَهُمُ آلِهَةٌ قَالُوا لَكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبِاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قَالَ آخِرَ اللَّهُ أَيْغِيكُمْ إِلَهُهَا
وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٤٠].

٤٥. ابتغاء الاعوجاج^(١):

(١) قيم اليهود في القصص القرآني: - للطالب: طلال محمد خلف، (ص ٥٩)، بحث منشور (رسالة ماجستير)، كلية التربية قسم أصول التربية - الجامعة الإسلامية بغزة (الطبعة الأولى)، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) باختصار.

قال ﷺ: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِنِّ أَمْنٍ نَّبُغُوهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٩].

٤٦. تلبيس الحقائق:

قال ﷺ: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧١].

٤٧. السماع للكذب:

قال ﷺ: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمِ آخَرِينَ ﴾ [المائدة: ٤١].

٤٨. قتل الأنبياء:

قال ﷺ: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا بِكُمْ وَفَرِقْنَا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧].

قال ﷺ: ﴿ فَبِمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَكَفَرُوا بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا وَقَوْلِهِمْ قُلُوبَنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٥٥].

وروي أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا جميعا في آخر النهار من ذلك اليوم »^(١).

قال ﷺ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بَغْيًا حَقًّا وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١].

وإذا كان قتل النفس من أخطر الذنوب فقد مارسه اليهود مع أفضل الخلق وهم رسل الله فمن الهين عند اليهود ما نراه من ارتكاب المجازر وقتل الأبرياء ومن أبناء الشعب الفلسطيني فهذه هي عادتهم... القتل.

٤٩. التفريق بين الأنبياء وإنكار نبوة محمد ﷺ والتطاول على الأنبياء^(٢):

(١) جامع الأحاديث، كتاب: حرف الهمزة، باب الهمزة مع الكاف، (٣٨١/٥)، رقم (٤٣٣٤)، ، مجمع الزوائد، كتاب: الفتن، بالحق عند الحكام، (٥٣٥/٧)، رقم (١٢١٦٦).

(٢) قيم اليهود في القصص القرآني: - للطالب: طلال محمد خلف، (ص ٦٧)، بحث منشور (رسالة ماجستير)، كلية التربية قسم أصول التربية - الجامعة الإسلامية بغزة (الطبعة الأولى)، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) باختصار.

قال ﷺ: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَحَنُّ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ۱۳۶]، وقال أيضاً: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيْنَا الْأُثْمَانُ لَمْ يَلْمِزْهُمْ عَظِيمًا بَلْ كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ۱۰۸]، وقال أيضاً: ﴿ فَلَمْ قَاتِلْتُمُوهُمْ إِذْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران: ۱۸۳]

والتناول على الأنبياء، وصفت التوراة الأنبياء بصفات تطعن في نبوتهم وتصفهم بارتكاب الكبائر فضلاً عن الصغائر، فمن نسبت التوراة إليهم الشرك هارون ﷺ وسليمان ﷺ. ونسبت التوراة للأنبياء الخيانة والخداع والكذب والسرقه والغفلة وذلك بحق النبي يعقوب ﷺ، وأيضاً نسبت لبعض الأنبياء شرب الخمر والزنا والتعري- وذلك بحق سيدنا نوح ﷺ ولوط ﷺ (١)، وجميع الأنبياء براء من كل ما سبق فالنبوة شرف شرف الله بها الأنبياء وهي اصطفاء إلهي.

المطلب الخامس

الذين يخوضون في آيات الله

دعا القرآن إلى الإعراض عن الذين يخوضون في آيات الله، وإلى الإعراض عن اللغو ومجالسه. وذلك حفاظاً على المكانة المرموقة والمستوى الرفيع لشخصية المسلم.

أولاً: الدعوة إلى الإعراض عن الخائضين في آيات الله:

الخوض: "هو المشي فيما لا يتحصل حقيقة، من الخائض في الماء الذي لا يدري باطنه، قال الراغب: " وأكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يُذمّ الشروع فيه" (٢). وحقيقة الخوض: الدخول في الماء مشياً دون سباحة، ثم استعير للكلام الذي فيه تكليف الكذب والباطل وسوء الأدب (٣).

وقد حرم الله ﷻ المشاركة لهم في ذلك على رسوله بالمجالسة، سواء تكلم معهم في ذلك أو كراهة.

قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا مَرَّاتِ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

(١) انظر: دراسات في الأديان: عماد الدين الشنطي (ص ٣٦).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: الراغب (ص ١٦١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٥١/٦).

قال العلماء فيها: أمر الله ﷻ نبيه بالإعراض عن المشركين الذين يخوضون في آيات الله (وفي ذلك نزلت).

وقد ورد أن المنافقين كانوا يجلسون إلى أحبار اليهود فيسخرزون من القرآن، فنهى الله ﷻ سبحانه المسلمين عن مجالستهم لأنهم يُسيئون الأدب مع الله وكتابه الكريم^(١). فالقرآن يوجه المؤمنين، إذا رأوا من يخوض في آيات الله من الكفار المكذبين أو من أهل الأهواء المفرقين، أن يصدوا عنهم ولا يجالسوهم، حتى يتحدثوا بغير الكفر بآيات الله ﷻ والاستهزاء بها من جانب الكفار، أو تأويلها بالباطل من جانب أهل الأهواء، تأييداً لما استحدثوا من مذاهب وأراء، وتقنيداً لأقوال خصومهم بالشغب والجدل والمراء، وإذا خاضوا في غير ذلك فلا ضير في العقود معهم. وسر هذا النهى، أن الإقبال على الخائضين والقعود معهم، يغيرهم في التماذي فيما هم فيه، ويدل على الرضا به والمشاركة فيه. والمشاركة في ذلك كفر ظاهر، لا يرتكبه إلا كافر مجاهر، أو منافق مرء.

والأصل في عملية التغيير من طرف المؤمن أن تكون عملية إيجابية؛ بمعنى أن يبادر هو إلى تغيير المنكر وسوء الأدب الذي يجري في هذه المجالس، ولكن القرآن في هذا السياق يتحدث عن طريقة أخرى من طرق تغيير المنكر، هي الطريقة السلبية؛ أي طريقة المقاطعة والهجر. وهي طريقة لا بد منها في بعض الحالات، خاصة عند العجز عن التغيير بالطريقة الإيجابية، أو عندما تصبح هذه الطريقة غير مجدية. تلك هي الحالة الطبيعية للمؤمن الواعي الذي يعيش حياته اليومية مع الناس الآخرين بيقظة وتمييز للخطوط الفاصلة بين الإيمان والكفر، ويشعر باختلافه عن الكافرين، فإن المفروض منه أن يؤكد إيمانه بالتعبير عنه باتخاذ مواقف إيجابية أو سلبية، وذلك من مواقع المسؤولية أمام الله^(٢).

(١) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي (٢٩٦/١).

(٢) انظر: تفسير من وحى القرآن: فضل الله (٩/ ١٥٦-١٥٧)، انظر: الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب: سعود الحزيمي (ص١٦٨).

المطلب السادس الزوجة الناشز

تعريف النشوز :

▪ النشوز لغة:

النَّشْرُ: المكان المرتفع. وجمع النَّشْرِ نُشُورٌ، وجمع النَّشْرِ أَنْشَارٌ ونِشَارٌ...يقال للرجل إذا أَسَنَّ ولم ينقص: فلان والله نَشَّرَ من الرجال. ونَشَّرَ الرجل يَنْشُرُ ويَنْشِرُ: ارتفع في المكان. ومنه قوله تعالى: " وإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا " المجادلة : ١١ . وإنشَارُ عِظَامِ المَيِّتِ: رُفْعُهَا إِلَى مواضعها وتركيبُ بعضِها على بعض. ونَشَرَتِ المرأةُ تَنْشُرُ وتَنْشِرُ نُشُورًا، إذا استعصت على بَعْلِهَا وأبغضته. ونَشَّرَ بَعْلُهَا عَلَيْهَا، إِذَا ضَرَبَهَا وَجَفَّاهَا. ومنه قوله تعالى: " وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا " النساء: ١٢٨^(١).

وقيل: النَّشْرُ وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ ، فَكَأَنَّهَا ارْتَفَعَتْ ، وَتَعَالَتْ عَمَّا فُرِضَ عَلَيْهَا مِنْ المَعَاشِرَةِ بِالمَعْرُوفِ ، وَيُقَالُ : نَشَرَتِ بِالشَّيْنِ وَالرَّايِ ، وَنَشِصَتْ بِالشَّيْنِ وَالصَّادِ المُهمَلَةِ (وَهُوَ مَعْصِيَتُهَا إِياهُ فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهَا) طَاعَتُهُ فِيهِ .
نشز الشيء، أي: ارتفع. وتل ناشز وجمعها: نواشز. وقلب ناشز إذا ارتفع عن مكانه من الرعب. نشز ينشز نشز^(٢).

وقيل: النَّشْرُ والنَّشْرُ المَنْتَنُ المرتفعُ من الأرض وهو أيضاً ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض وليس بالغلظ والجمع أنشاز ونُشُورٌ وقال بعضهم جمع النَّشْرِ نُشُورٌ^(٣).
نخلص مما سبق بأن النشوز في اللغة معناه الارتفاع والعصيان والامتناع، يقال: نشزت المرأة من زوجها نشوزاً أي: عصته وامتعت عليه، ونشز الرجل من امرأته نشوزاً: أي تركها وجفاها، والصلة بين الهجر والنشوز: أن نشوز الزوجة يكون سبباً لهجر الزوج لها في المضجع تأديباً لها على نشوزها.

▪ **النشوز اصطلاحاً** "يقصد بالنشوز امتناع أحد الزوجين أو كلاهما عن القيام بما أوجب الله عليه من حقوق لآخر بدون مسوغ شرعي"^(٤).

(١) الصحاح في اللغة: للجوهري (٢٠٩/٢).

(٢) العين: الخليل بن أحمد (٥٠٠/١).

(٣) لسان العرب: لابن منظور (٤١٧/٥).

(٤) أحكام النشوز في الشريعة الإسلامية: ياسين الجماسي، بحث غير منشور ، مقدم لنيل درجة الماجستير في الفقه المقارن من كلية الشريعة الجامعة الإسلامية بغزة (١٩٩٩/٣٩).

ويقصد بنشوز المرأة "استعصاؤها" أو إعراضها عن زوجها بان لا تكلمه أو ترفع صوتها بحضرته، وتعاليتها عما أوجب الله عليها من طاعة زوجها وعصيانها وأوامره، فتتغير طريقة كلامها في خشونة الألفاظ بعد رقتها ورفع الصوت بعد انخفاضه، والعبوس في الوجه، وتقطيب الجبين، وعدم تلبية طلباته أو التناقل والتبرم عند تلبيتها، أو تترك بيت الزوجية وتذهب إلى بيت والدها^(١).

وقال أبو بكر أحمد بن علي الجصاص في تعريف النشوز:
وأصل النشوز: الترفع على الزوج بمخالفته، مأخوذ من نشز الأرض وهو الموضع المرتفع منها^(٢).

يقال: نشز الرجل ينشز وينشز إذا كان قاعداً فنهض قائماً، ومنه قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا﴾ [المجادلة: ١١] أي: ارتفعوا وانهضوا إلى حرب أو أمر من أمور الله تعالى، فالمعنى: أي: تخافون عصيانهن وتعالينهن عما أوجب الله عليهن من طاعة الأزواج.

قال أبو منصور اللغوي: النشوز كراهية كل واحد من الزوجين صاحبه، يقال نشزت تنتشر فهي ناشز بغير هاء، ونشصت تنتشص وهي السيئة للعشرة... قال ابن فارس: ونشزت المرأة استعصت على بعلها ونشز بعلها عليها إذا ضربها وجفاها. قال ابن دريد نشزت المرأة ونشست ونشصت بمعنى واحد^(٣).

والنشوز قد يكون من الرجل، وقد يكون من المرأة، وقد يدعيه كل منهما على صاحبه.
أما نشوز الزوج على امرأته فقد قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

روى سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: [خَشِيْتُ سَوْدَةَ أَنْ يُطَلِّقَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَتْ لَا تُطَلِّقْنِي وَأَمْسِكْنِي وَاجْعَلْ يَوْمِي لِعَائِشَةَ ففَعَلَ فَنَزَلَتْ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾
فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب^(٤).

قال ابن جرير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ يقول: علمت من زوجها نشوزاً يعني استعلاء بنفسه عنها إلى غيرها أثرة عليها وارتفاعاً

(١) أحكام النشوز في الشريعة الإسلامية: ياسين الجماسي، بحث غير منشور، مقدم لنيل درجة الماجستير في الفقه المقارن من كلية الشريعة الجامعة الإسلامية بغزة (١٩٩٩/٣٩).

(٢) أحكام القرآن: للجصاص (٢٣٠/٢) المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٧ هـ.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٧٠/٥ - ١٧١)، الطبعة الثانية مطبعة دار الكتب المصرية (١٩٣٧ - ١٣٥٦ م).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (١٣٤/٥) رقم (٣٠٤٠).

عنها، إما لبغضه وإما لكرهه منه، ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ يعني انصرافاً عنها بوجهه أو ببعض منافعه التي كانت لها منه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ يقول: فلا حرج عليهما يعني على المرأة الخائفة نشوز بعلها أو إعراضه عنها ﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ وهو أن تترك له يومها أو تضع عنه بعض الواجب لها من حق عليه، تستعطفه بذلك وتستديم المقام في حباله والتمسك بالعقد الذي بينها وبينه من النكاح، يقول: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ يعني والصلح بترك بعض الحق استدامة للحرمة وتماسكاً بعقد النكاح خير من طلب الفرقة والنكاح... (١).

وقيل في معنى النشوز: إنه الترفع عليها لبغضه إياها مأخوذ من نشز الأرض وهي المرتفعة. وهذا كله ورد في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ امْرَأَةً حَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، فقد يجد الرجل في زوجته إعراضاً أو انحرافاً أو تقصيراً، والواجب حين إذ على الزوج أن يبحث عن السر فقد يكون هو السبب فيقلع عن خطأه، فعليه أن يراجعها (٢).
 الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتِكُمْ فَلَا تُبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

• المنهج الإسلامي في علاج ظاهرة النشوز:

ويتمثل المنهج الإسلامي في علاج ظاهرة النشوز بمنهجين أساسيين (٣):

المنهج الأول: منهج وقائي:

أي وقاية الأسرة المسلمة والمتمثل في تنمية وتعميق وعي المقبلين على الزواج بقيم الحياة الزوجية والمتعلقة بحسن الاختيار وحسن العشرة، فان الأسرة التي تقوم في بدايتها على تقوى الله في اختيار شريك الحياة الصالح وتقوى في معاشرته سوف تسير في أمان واستقرار وتتمكن من تحقيق أهدافها التي شرعها الله تعالى (٤).

المنهج الثاني: منهج علاجي:

وهو منهج استدراكي هدفه استدراك التقصير في أسباب الوقاية ويتمثل بدرجة أساسية في تنمية وعي الزوجين بقيم التعامل مع الناشز على نحو يعالج نشوزه ويصلح شأنه (٥).
 ومن هذه الطرق:

(١) انظر: جامع البيان: الطبري (٩/ ٢٦٧ - ٢٧٨).

(٢) كشاف القناع عن متن الإقناع: البيهوتي (٤٤٣/١٣).

(٣) انظر: التشريعات الاجتماعية وقانون الأحوال الشخصية: يوسف عمر الحداد (ص ١٥٠-١٥١) الطبعة الثانية ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.

(٤) المرجع السابق (ص ١٥٢).

(٥) المرجع السابق (ص ١٥٢).

أولاً: الوعظ والإرشاد: فإذا حدث الخلاف بين الزوجين وكانت الزوجة هي المشاكسة فللزواج الحق في تأديبها عند نشوزها عن طرق الوعظ والإرشاد، بأن يتكلم معها بكلام رقيق لين لقوله ﷺ: ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ﴾ [النساء: ٣٤]، أي: ذكروهن بما أوجب الله عليهن من حسن الصحبة وجميل العشرة للزوج^(١).

ثانياً: الهجر في المضجع: فإذا خالفت الزوجة وعصت زوجها فللزواج الحق في هجرها في المضجع لقوله ﷺ: ﴿ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ [النساء: ٣٤]، فإن الزوج إذا أعرض عن فراشها فإن كانت محبة له فذلك يشق عليها فترجع للصلاح، وإن كانت مبغضة فيظهر النشوز منها، فحينئذ يتبين النشوز من قبلها^(٢).

ثالثاً: الضرب غير المبرح: فإن أصرت الزوجة على النشوز ضربها عندئذ ضرباً غير مبرح، لقوله ﷺ: ﴿ وَأَضْرِبُوهُنَّ ﴾ [النساء: ٣٤] أي: ضرباً غير مؤثر بأن لا يكسر عضواً ولا يؤثر فيها شيئاً ويتجنب في أثناء الضرب: الوجه تكرمه له، وكذلك البطن والمواضع المخوفة خوف القتل، ويتجنب مواضع الزينة منها لئلا يشوهها^(٣)، فإن تحققت الطاعة وجب الكف عن التأديب لقوله تعالى: ﴿ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤]، أي: إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريد منها مما أباحه الله له منها فلا سبيل له عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرها^(٤).

رابعاً: تدخل الحكمان:

فإذا استشرى الخلاف ولم يعد أحدهما يحتمل الآخر ويصبر على الخلاف معه وادعى كل من الزوجين ظلم صاحبه ولا بينة لهما أوجب الإسلام إرسال الحكمين إليهما، حكماً من أهله وحكما من أهلها، ينظران أسباب الخلاف وعوامله، ويحاولان الإصلاح ولا ريب أن كلا من الزوج والزوجة إذا كانا راغبين في إنهاء الخلاف وعودة الوئام بينهما فإن الحكمين سينجحان في مهمتهما وكثيراً ما ينجح التحكيم لأن كلا من الحكمين حريص على حسم الخلاف^(٥)، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْتِهِمَا فَأَبْعُوا فَأَبْعُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يَرِدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [سورة النساء: ٣٥].

(١) الجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي (١٧٤١/٣)، في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٥٩/٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٤١/٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٤٩٢/١)، المغني؛ ابن قدامة (٢٤٢/٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٤٩٢/١)، المغني؛ ابن قدامة (٢٤٢/٧).

(٥) النظم الإسلامية؛ زياد مقداد-أحمد شويديح-ماهر السوسي (١٢٢-١٢٣).

المطلب السابع

الفقراء من ذوي القربى

يقول الحق جل وعلا: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَكَأَيُّ بُذْرٍ تُبْذِرُونَ﴾، فقد أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بطاعة الوالدين وإعطائهم حقوقهم، ولم يكتفي بذلك بل أمره بالرفق والحنان على أقرباء والديه فقال ﷺ ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ . . .﴾ [الإسراء : ٢٦]، والعبرة بقوله ﷺ ﴿حَقَّهُ﴾؛ لأن الله تعالى جعله حَقًّا للأقارب إن كانوا في حاجة، وإلا فلو كانا غير محتاجين، فالعطاء بينهما هدية متبادلة، فكل قريب يُهادي أقرباه ويهادونه، والحق سبحانه وتعالى يريد أن يُشيع في المجتمع روح التكافل الاجتماعي.

هذا وكلمة (حق) وردت في القرآن على معنيين:

الأول: في قوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [المعارج: ٢٤]، والحق المعلوم هو الزكاة.
الثاني: فحق غير معلوم وغير موصوف، وهو التطوع والإحسان، حيث تتطوع لله بجنس ما فرضه عليك، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١﴾ وبالأسحار هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٢﴾ وَيَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٣﴾ [الذاريات : ١٦-١٩]، ولم يقل : " معلوم "؛ لأنه إحسان وزيادة عمًا فرضه الله علينا.

ويجب على من يُؤتى هذا الحق أن يكون سعيداً به، وأن يعتبره مَعْنَمًا لا مَعْرَمًا؛ لأن الدنيا كما نعلم أغيار تتحول وتتقلب بأهلها، فالصحيح قد يصير سقيماً، والغني قد يصير فقيراً وهكذا ، فإعطاؤك اليوم ضماناً لك في المستقبل، وضمان لأولادك من بعدك، والحق الذي تعطيه اليوم هو نفسه الذي قد تحتاجه غداً، إن دارت عليك الدائرة.

إذن: فالحق الذي تدفعه اليوم لأصحابه تأمين لك في المستقبل يجعلك تجابه الحياة بقوة، وتجابه الحياة بغير خور وبغير ضعف، وتعلم أن حقك محفوظ في المجتمع، وكذلك إن تركت أولادك في عوزٍ وحاجة، فالمجتمع مُتَكَلِّفٌ بهم . (١)

وصدق الله ﷻ حين قال: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء : ٩].

(١) انظر: تفسير الشعراوي: للشعراوي باختصار (١/٥١٦١).

ولذلك فالناس أصحاب الأموال لورعهم لا يعطون الأقارب من أموال الزكاة، بل يخصّون بها الفقراء الأبعد عنهم، ويُعطون الأقارب من مالهم الخاص مساعدة وإحساناً.

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا تُعْرِضَنَّهُمْ عَنْهُمْ أُنْتِغَاءَ مَرْحَمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨].

فالمعنى: إما تُعرضنّ عنهم خجلاً وحياءً أن تواجههم، وليس عندك ما يسدّ حاجتهم، وأنت في هذا الحال تلجأ إلى الله أن يرحمك رحمةً تسعك وتسعهم.

أي أن الله قد أرشد رسوله ﷺ، عند إعراضه عن ذوي الحاجة لعدم وجود ما يعطيهم، أن يقول لهم ما تطيب به خواطرهم من الكلام الحسن، وقوله ﷻ: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨].

كما قال في موضع آخر في مثل هذا الموقف: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى﴾ [

البقرة: ٢٦٣].

فحتى في حال المنع يجب على المسلم أن يلتزم الأدب، ولا يجرح مشاعر السائل، وأن يردّه بلين ورفق، وأن يُظهر له الحياء والخجل، وألا يتكبر أو يتعالى عليه، وأن يتذكر نعمة الله عليه بأن جعله مسئولاً لا سائلاً.

إذن ما الغرض من الإعراض هنا؟

قد يأتيك قريب أو مسكين أو عابر سبيل ويسألك حاجة وأنت لا تملكها في هذا الوقت فتخجل أن تواجهه بالمنع، وتستحي منه، فما يكون منك إلا أن تتوجه إلى ربك عز وجل وتطلب منه ما يسدّ حاجتك وحاجة سائلك، وأن يجعل لك من هذا الموقف مخرجاً^(١).

(١) انظر: تفسير الشعراوي: الشعراوي (ص ٨٤٧٨-٨٤٧٩)

الفصل الثاني

منهج أولي العزم من الرسل في دعوة المعرضين

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: منهج نوح عليه السلام في دعوة

المعرضين.

المبحث الثاني: منهج إبراهيم عليه السلام في دعوة المعرضين.

المبحث الثالث: منهج موسى عليه السلام في دعوة المعرضين.

المبحث الرابع: منهج عيسى عليه السلام في دعوة المعرضين.

المبحث الخامس: منهج محمد عليه السلام في دعوة المعرضين.

الفصل الثاني

منهم أولي العزم من الرسل في دعوة المعرضين

من هم أولو العزم؟

يقول الحق ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَكُنُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَبَلِّغْهُم بِإِذْنِ اللَّهِ إِلَى الْيَوْمِ إِنَّهُمْ قَوْمٌ مُّسِيءُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

قوله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: ذوو العزم والصبر، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وهم أصحاب الشرائع^(١)، الرسل المجتهدون في تبليغ الوحي الذين لا يصرفهم عنه صارف ولا يعطفهم عنه عاطف والصابرون على أمر الله تعالى فيما عهده سبحانه إليهم أو قضاة وقدره عز وجل عليهم^(٢).

يقول الخازن في تفسيره للآية: " قوله عز وجل: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ الخطاب للنبي ﷺ أمره الله ﷻ بالافتداء بأولي العزم من الرسل في الصبر على أذى قومه وهم خمسة قد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]^(٣).

بعد أن عرفت من هم أولي العزم من الرسل، ننقل للحديث عن منهج هؤلاء الأنبياء في دعوة المعرضين من أقوامهم.

ولأنه شيخ الأنبياء وأبو البشر الثاني...، نبدأ بمنهج نوح عليه السلام في دعوة المعرضين الصادين عن دعوة الله ﷻ.

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٢١٩/١٦).

(٢) روح المعاني: الألوسي (٩٤/١٩).

(٣) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن (١٧٠/٦-١٧١).

المبحث الأول

منهم نوح عليه السلام

سيدنا نوح عليه السلام هو أبو البشر الثاني، وأول أولي العزم من الرسل، وإنه أطول الأنبياء عمراً، وهو شيخ المرسلين وأنه أول داعٍ إلى الله بعد آدم عليه السلام وقد سماه الله عليه السلام عبداً شكوراً، وجعله بعد حبيبه محمد عليه السلام في الميثاق^(١).

ولقد كان قومه يعبدون أصناماً متعددة، وكانوا يتصفون بصفات الكبر وعدم الخوف من الله عليه السلام، ومن هنا دعاهم نوح عليه السلام إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، والخوف منه سبحانه وتعالى، فأخذ يدعوهم مدة استمرت ألف سنة إلا خمسين عاماً.

ويمكن إجمال المنهج الذي اتبعه نوح عليه السلام في دعوة قومه بالمنهج الآتي:-

المطلب الأول

الصبر في دعوة قومه

يقول الحق عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]

[العنكبوت: ١٤]

وقد كان عمره ألفاً وخمسين سنة، بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين.

وقيل: "إنه عاش ألفاً وأربعمائة سنة فقال له ملك الموت: يا أطول الأنبياء عمراً كيف وجدت الدنيا؟ قال: كدار لها بابان دخلت وخرجت".

ولم يقل تسعمائة وخمسين سنة؛ لأنه لو قيل كذلك لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل هنا فكأنه قيل: تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظاً وأملاً بالفائدة، ولأن القصة سيقت لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسليةً لنبيينا عليه السلام فكان ذكر الألف أفخم وأوصل إلى الغرض.

(١) مع الأنبياء وجهادهم من خلال سورة الأنبياء: محمود الأحمد (ص ٢٠٩)، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها: أحمد غلوش (ص ١٣٠) بتصرف. انظر: أولو العزم من الرسل: محمد عبد الله السمان (ص: ٤٧)

وجيء بالمميز أولاً بالسنة ثم بالعام، لأن تكرار لفظ واحد في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ ﴾ [العنكبوت : ١٤] هو ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما ﴿ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ أنفسهم بالكفر^(١).

ومن أمثلة الصبر عند نوم العليّة:

١- الصبر على تكذيب قومه له واتهامه بالجنون وسوء أدبهم معه:

وذلك متمثلاً في قوله ﷺ: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَائِكَ وَمَا نَحْمِلُ مِنْهُ إِلَّا مَا نَحْمِلُ وَمَا يُغْنِي عَنْكَ كُنُوزُكَ إِلَّا ظُلْمًا ﴾ [هود: ٢٧].

وقوله ﷺ: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ فدعا ربه أني مغلوب فاتصبر ﴿ [القمر: ١٠] فقله ﷺ ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ يخبر تعالى مسلياً رسوله مخوفاً قومه فيقول: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ ﴾ أي: قبل قريش قوم نوح ﷺ وهو أول رسول أرسل إلى قوم مشركين فكذبوا عبدنا رسولنا نوحاً، كذبوه في دعوة التوحيد ، كذبوه في دعوة الرسالة، ولم يكتفوا بتكذيبه فقالوا مجنون أي: هو مجنون ﴿ وَازْدُجِرَ ﴾ أي: انتهروه وزجروه ببذء القول، ﴿ فَدَعَا ﴾ فدعا أي: نوح ﷺ ربه قائلاً: ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَاتَّصِرْ ﴾ لي يا ربي، فاستجاب الله ﷻ له ففتح أبواب السماء بماء منهمر و ذلك جزء له على صبره على قومه^(٢).

٢- صبره على عدم ثقة قومه به، وسخريتهم منه:

وذلك متمثلاً بقوله ﷺ: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [هود: ٣٩]

فقله ﷺ: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ ﴾ أي: وطفق يصنع الفلك، أو أخذ يصنع الفلك، وقيل: هو حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة: أي استهزأوا به لعمله السفينة قال الأخفش والكسائي: يقال: سخرت به ومنه وفي وجه سخريتهم منه قولان: أحدهما: أنهم كانوا يرونه يعمل السفينة فيقولون: يا نوح صرت بعد النبوة نجاراً والثاني: أنهم لما شاهدوه يعمل السفينة وكانوا لا يعرفونها قبل ذلك قالوا: يا نوح ما تصنع؟ قال: أمشي بها على الماء فعبجوا من قوله وسخروا به ثم أجاب عليهم بقوله: ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ وهذا الكلام مستأنف على تقدير سؤال كأنه قيل: فماذا قال لهم؟ والمعنى: إن تسخروا منا بسبب عملنا للسفينة اليوم فإننا نسخر منكم غدا عند الغرق ومعنى السخرية

(١) انظر: تفسير النسفي: النسفي (٣/٣٦٣-٣٦٤).

(٢) أيسر التفاسير: أبو بكر الجزائري (٥/٢٠٨).

هنا: الاستجھال أي: إن تستجھلونا فإننا نستجھلكم كما تستجھلون واستجھاله لهم باعتبار إظهاره لهم ومشافهتهم وإلا فهم عنده جُھال قبل هذا وبعده والتشبيه في قوله: ﴿ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ لمجرد التحقق والوقوع أو التجدد والتكرار والمعنى: إنا نسخر منكم سخرية متحققة واقعة كما تسخرون منا كذلك أو متجددة متكررة كما تسخرون منا كذلك" (١).

٣- صبره على اتهامه بكثرة الجدل والافتراء على الله:

وفي ذلك ورد في القرآن الكريم حكاية عنهم: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [هود: ٣٢].

٤- صبره على تهديدهم له بالقتل بالحجارة:

وذلك متمثلاً في قوله ﷺ ﴿ قَالُوا لَنْ لَمْ نُثَبِّتْهُ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٦].

٥- صبره على اتهامه بالسفه والضلال: قال ﷺ ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني مرسل من رب العالمين ﴿ [الأعراف: ٦٠-٦١] (٢).

فإذا كان نبي الله نوح ﷺ يدعو قومه تسعمائة وخمسون سنة لم يمل، ولم ييأس، وأنه دعاهم ليلاً ونهاراً، وسراً وجهراً، وأفراداً وجماعات، ومع ذلك كله لم يكل، وفي هذا درس عظيم لنا نحن الدعاة للإسلام بأن نصبر ونصابر وأن نستمر في دعوة الناس، ولنا في أنبياء الله أسوة حسنة في الصبر على دعوة المعرضين.

المطلب الثاني

استخدام جميع الأحوال والأوقات في الدعوة إلى الله

وذلك كما في قوله ﷺ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠-١١].

(١) فتح القدير: الشوكاني (٢/٧١٨).

(٢) مع الأنبياء وجهادهم: محمود الأحمد (ص ١٩٠).

يخبر الله على لسان نوح عليه السلام أنه قال: ذلك مؤكداً إظهاراً لتحسره وحرقتة عليه السلام منهم في تماديهم في إصرارهم على التكذيب شكاية لحاله إلى الله تعالى واستتصاراً به وإن كان المخاطب سبحانه عالماً بالسر وأخفى: ﴿إِنِّي دَعَوْتُ﴾ أي: أوقعت الدعاء إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿قَوْمِي﴾ أي: الذين هم جديرون بإجابتي لمعرفةهم بي وقرهيم مني.

ولما كان قد عم جميع الأوقات بدعوتهم قال: ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ فعبّر بهذا عن المداومة، ولما تسبب عن ذلك ضد المراد قال: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي﴾ أي شيئاً من أحوالهم التي كانوا عليها ﴿إِلَّا فِرَارًا﴾ أي: بعداً عنك ونفوراً وبغضاً و إعراضاً حتى كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة، وأسند الزيادة إلى الدعاء؛ لأنه سببها، ولما كان الفرار مجازاً عن رد كلامه، عطف عليه ما بيينه، فقال مؤكداً لأن إعراضهم مع هذا الدعاء الطويل مما لا يكاد يصدق: ﴿وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ (على تكرار الأوقات وتعاقب الساعات) أي إلى الإقبال عليك بالإيمان بك والإخلاص لك، ولما كان إعراضهم عما ينفعهم أقبح، ذكر ما يتسبب عن الإجابة بالإيمان فقال: ﴿تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: ليؤمنوا فتمحو ما فرطوا فيه في حَقِّكَ فأفرطوا لأجله في التجاوز في الحدود محوياً بالغاً فلا يبقى لشيء من ذلك عيناً ولا أثراً حتى لا تعاقبهم عليه ولا تعاتبهم ﴿جَعَلُوا﴾ أي: في كل دعاء، ودل على مبالغتهم في التصاميم بالتعبير بالكل عن البعض فقال: ﴿أَصَابِعُهُمْ﴾ (كراهة له واحتقاراً للداعي) ﴿فِي آذَانِهِمْ﴾ حقيقة لئلا يسمعون الدعاء إشارة إلى أنا لا نريد أن نسمع ذلك منك، فإن أبييت إلا الدعاء فإننا لا نسمع لسد أسماعنا، ودلوا على الإفراط في كراهة الدعاء بما ترجم عنه قوله: ﴿وَاسْتَشْشُوا بِآبِهِمْ﴾ أي: أوجدوا التغطية لرؤوسهم بثيابهم إيجاد من هو طالب لذلك شديد الرغبة فيه حتى يجمعوا بين ما يمنع السماع لكلامه والنظر إليه إظهاراً لكراهته وكراهة كلامه، وهكذا حال النصحاء مع من ينصحونه دائماً ﴿وَأَصْرُوا﴾ أي: داموا على سوء أعمالهم دواماً هم في غاية الإقبال عليه، ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ أي أوجدوا الكبر طالبين له راغبين فيه، وأكد ذلك بقوله: ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ تنبيهاً على أن فعلهم منابذ للحكمة، فكان مما ينبغي أن لا يفعلوه فهو مما لا يكاد يصدق لذلك، وقد نادى هذه الآيات بالتصريح في غير موضع بأنهم عصوا نوحاً عليه السلام وخالفوه مخالفة لا أقبح منها ظاهراً بتعطيل الأسماع والأبصار، وباطناً بالإصرار والاستكبار ولم يوافقوه بقول ولا فعل^(١).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي (١٦٥/٨-١٦٦) باختصار.

ثم كرر ﷺ صفة دعائه لهم بيانا وتأكيدا وجهارا يريد علانية في المحافل والإسرار ما كان من دعاء الأفراد بينه وبينهم على انفراد وهذا غاية الجد^(١).

المطلب الثالث

استخدام نوم ﷺ أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله

١- ومن الآيات الواردة في الترغيب في الدعوة إلى الله قوله ﷺ: ﴿قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿٣﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

لقد أطمعهم في خير الدنيا والآخرة، أطمعهم في الغفران إذا استغفروا ربهم فهو ﷺ غفار للذنوب: ﴿قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١﴾ . . . وَأَطْمَعَهُمْ فِي الرِّزْقِ الْوَفِيرِ الْمَيْسُورِ مِنْ أَسْبَابِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَهَا وَيَرْجُونَهَا وَهِيَ الْمَطَرُ الْغَزِيرُ، الَّذِي تَنْبَتُ بِهِ الزَّرْعُ، وَتَسِيلُ بِهِ الْأَنْهَارُ، كَمَا وَعَدَهُمْ بِرِزْقِهِمُ الْآخِرِ مِنَ الذَّرِيَةِ الَّتِي يَحْبُونَهَا وَهِيَ الْبَنِينَ وَالْأَمْوَالَ الَّتِي يَطْلُبُونَهَا وَيَعْزُونَهَا: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿٢﴾﴾^(٢).

٢- ومن الآيات الواردة في الترغيب قوله ﷺ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾﴾ [الأعراف: ٥٩].
وقوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢﴾﴾ [هود: ٢٦].

فمعنى قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾﴾ أن نوحاً ﷺ قال لقومه حين أرسله الله ﷻ إليهم: إنني لكم أيها القوم نذير مبين، يعني بين النذارة أخوف بالعقاب من خالفة أمر الله وعبد غيره؛ وهو قوله ﷺ: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ يعني مؤلم موجع^(٣).

المطلب الرابع

استخدام وإظهار الرأفة والرحمة والخوف على قومه

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (٣٧٣/٥).

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب (٣٤٦/٣).

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن (٢٢/٣).

لقد استخدم نبي الله نوح عليه السلام أسلوب الرأفة والرحمة والخوف على قومه وذلك كما في قوله **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** [الأعراف: ٥٩].

هذا وقد دعا نبي الله نوح عليه السلام قومه ونبيهم إلى ثلاثة أشياء:

- ١- عبادة الله **﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾** .
 - ٢- وبين لهم أنه ليس هناك إله سواه فقال: **﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾** .
 - ٣- وأظهر لهم حرصه وإشفاقه عليهم إذا خالفوا وعصوا فقال: **﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** .
- وهكذا تكلم عن العقيدة في الإله الواحد المستحق للعبادة، وليس آلهة متعددة، ونعبد أي نطيع أمره ونهيه، ولأنهم إن لم يفعلوا ذلك فهو يخاف عليهم من عذاب يوم عظيم، وهو عذاب يوم القيامة، أو أنّ الله **﴿لَقَدْ﴾** كان قد أوحى له بأنه سيأخذهم أخذ عزيز مقتدر، و**﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** أي: يوم الإغراق^(١).

وقوله **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** (١) قال يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) **﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾** [نوح: ١-٣].

أخبر **﴿لَقَدْ﴾** أنه أرسل نوح عليه السلام إلى قومه، رحمة بهم، وإنذاراً لهم من عذاب الله الأليم، خوفاً من استمرارهم على كفرهم، فيهلكهم الله هلاكاً أبدياً، ويعذبهم عذاباً سرمدياً، فامتثل نوح عليه السلام لذلك، وابتدر لأمر الله، فقال: **﴿يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾** أي: واضح النذارة بينها، وذلك لتوضيحه ما أنذر به وما أنذر عنه، وبأي: شيء تحصل النجاة، بين جميع ذلك بيانا شافياً، فأخبرهم وأمرهم بزبدة ما يأمرهم به فقال: **﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾** وذلك بإفراده تعالى بالتوحيد والعبادة، والبعد عن الشرك وطرقه ووسائله، فإنهم إذا اتقوا الله غفر ذنوبهم، وإذا غفر ذنوبهم حصل لهم النجاة من العذاب، والفوز بالثواب^(٢). ونحن نعلم أن نوحاً عليه السلام محسوب على قومه، وهم محسوبون عليه؛ ولذلك نجده خائفاً عليهم؛ لأن الرباط الذي يربطه بهم رباط جامع قوي.

(١) انظر: تفسير الشعراوي: الشعراوي (١/٢٩١٦).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي (١/٨٨٨).

وكذلك نجد الحق ﷺ يُحَنِّن قلوب الرسل إليهم لعلهم يحسنون استقبال الرسول،^(١) وملاحم الرأفة تظهر واضحة في خطاب نوح عليه السلام لابنه كما في قوله ﷺ: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَوَادَى نُوحٍ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢].

وفي هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة يبصر نوح عليه السلام، فإذا أحد أبنائه في معزل عنهم وليس معهم، وتستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة، وروح يهتف بالولد الشارد: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾، ولكن البنوة العاقبة لا تحفل بالأبوة الملهوفة.^٢

المطلب الخامس

استخدام المجادلة مع قومه

كذلك استخدم نبي الله نوح عليه السلام أسلوباً آخر مع قومه إلا وهو أسلوب المجادلة وذلك محاولة منه لدعوتهم إلى دين الله تعالى، وذلك كما في قوله ﷺ: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

يقول الرازي في تفسيره للآية:

أن نوح عليه السلام قد أكثر في الجدل مع قومه لإثبات التوحيد والنبوة والمعاد...

وهكذا تتضح الصورة جلية واضحة إلى أهمية حوار الأنبياء مع أقوامهم: وذلك كما في قوله ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وفي قوله ﷺ: ﴿وَكَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ولكن الإسلام وضع ضوابط وأخلاق لهذا الجدل حتى يكون نافعا، وهذا ما أكده الحافظ ابن كثير - رحمه الله - فقال: فليكن الحوار بالوجه الحسن، برفق ولين، وحسن خطاب^(٣).

(١) تفسير الشعراوي: الشعراوي (١/٤١٧٥).

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب (٤/٢١٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٢/٥٩٢) بتصرف.

المبحث الثاني

منهم إبراهيم عليه السلام في دعوة المعرضين

إن الدعوة إلى الله ﷻ طريق الأنبياء - عليهم السلام - وأتباعهم كما قال ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. وكان مما اعتنى به القرآن الكريم ذكر قصص دعوات الأنبياء، وتصويرها بأبلغ أسلوب، وعرضها بأدق عبارة، حتى أصبحت أخبارهم في القرآن نماذج حيّة يحتذونها الدعاة ويقتبسون من نورها، ويهتدون بهداها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبُهِدَاهُمْ أَقَدَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وحدثنا في هذا المبحث عن الدعوة إلى الله من خلال قصة إمام الحنفاء وأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وذلك للأسباب التالية:

أولاً: أنها دعوة خليل الرحمن، ومؤسس الحنيفية، وأحد أولي العزم الخمسة من الرسل.

ثانياً: أن رسولنا محمداً ﷺ - قد أمر بإتباع ملته ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

ثالثاً: تلك الصفات العظيمة التي تحلى بها إبراهيم عليه السلام حتى قال الله ﷻ فيه ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧]، فكانت نبزاً يفتنى أثره فيها الدعاة إلى الله ﷻ.

رابعاً: استغراق القرآن الكريم واستقصاؤه لأساليب إبراهيم عليه السلام المتنوعة في عرض دعوته على قومه، حتى إنه ليعز على الباحث أن يجد لنبي من الأنبياء خلا نبينا ﷺ مثلما يجد لهذه الأيام من الطرائق والسبل في إقناع المدعويين وترويضهم على قبول الدعوة، فقد سنّ للناس من بعده من الدعوة أساليب لم تعهد لأحد من قبله ولم تقف عند حد الكلمة بل تخطتها إلى الحركة والفعل.

خامساً: رسمت هذه الدعوة للدعاة منهاجاً في الصبر يحق لهم أن يقتدوا به، فقد صبر إبراهيم عليه السلام في أحوال مختلفة وظروف متباينة وأعمال متنوعة كالصبر على جفاء الأبوة، وعدوان العشيرة، وهجران الأرض، والفتنة بالنار، والأمر بذبح الولد، وغير ذلك^(١).

ويمكن إجمال المنهج الذي سلكه إبراهيم عليه السلام في دعوته للمعرضين بالمنهج التالي:

(١) موسوعة فقه الابتلاء: علي بن نايف الشحود (٨٣/٣).

المطلب الأول

استخدام الرأفة والتلطف في الدعوة إلى الله

إن جميع الأنبياء عليهم السلام أظهروا الرأفة والحنان لأقوامهم واستخدموا كافة الوسائل والأساليب والطرق من أجل هدايتهم وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وترك ما كانوا عليه من الشرك والضلال، وها هو نبي الله إبراهيم عليه السلام تظهر رحمته بقومه جلية في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مُنِي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦].

يقول سيد قطب في تفسيره: " والسياق يذكرها هنا ليذكر بها سكان ذلك البلد، الذين يستطيعون بالنعمة ولا يشكرونها وقد استجاب الله دعاء أبيهم إبراهيم فجعل البلد آمناً، ولكنهم هم سلكوا غير طريق إبراهيم عليه السلام، فكفروا بالنعمة، وجعلوا لله أنداداً، وصدوا عن سبيل الله. ولقد كانت دعوة أبيهم التالية لدعوة الأمن: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ . .

ويبدو في دعوة إبراهيم عليه السلام الثانية تسليم إبراهيم المطلق إلى ربه، والتجاؤه إليه في أخص مشاعر قلبه، فهو يدعو أن يجنبه عبادة الأصنام هو وبنيه، يستعينه بهذا الدعاء ويستهديه، ثم ليبرز أن هذه نعمة أخرى من نعم الله تعالى، وإنها لنعمة أن يخرج القلب من ظلمات الشرك وجهالاته إلى نور الإيمان بالله وتوحيده تعالى، فيخرج من التيه والحيرة والضلال والشroud، إلى المعرفة والطمأنينة والاستقرار والهدوء، ويخرج من الدينونة المذلة لشتى الأرباب، إلى الدينونة الكريمة العزيزة لرب العباد، إنها لنعمة يدعو إبراهيم عليه السلام ربه ليحفظها عليه، فيجنبه هو وبنيه أن يعبد الأصنام.

ويدعو إبراهيم عليه السلام دعوته هذه لما شهدته وعلمه من كثرة من ضلوا بهذه الأصنام من الناس في جيله وفي الأجيال التي قبله؛ ومن فتنوا بها ومن افتتنوا وهم خلق كثير: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ . . ثم يتابع الدعاء .. فأما من تبع طريقي فلم يفتنن بها فهو مني، ينتسب إلي ويلتقي معي في الأصرة الكبرى ، أصرة العقيدة: ﴿فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ﴾ . .

وأما من عصاني منهم فأفوض أمره إليك: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . . وفي هذا تبدو سمة إبراهيم عليه السلام العطوف الرحيم الأواه الحليم؛ فهو لا يطلب الهلاك لمن يعصيه من نسله ويحيد عن طريقه، ولا يستعجل لهم العذاب؛ بل لا يذكر العذاب، إنما يكلهم إلى غفران الله ورحمته، ويلقي على

الجو ضلال المغفرة والرحمة؛ وتحت هذا الظل يتوارى ظل المعصية؛ فلا يكشف عنه إبراهيم عليه السلام الرحيم الحليم! (١).

ومما ورد في القرآن من صور الرحمة والرأفة عند إبراهيم خطابه مع والده أزر قائلاً له كما حكى الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ اللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تُنْتَه لَأَمْرُجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ [مريم: ٤٢-٤٧]، وتبدو في هذه الآيات شخصية إبراهيم عليه السلام الرضي الحليم .. تبدو وداعته وحلمه في ألفاظه وتعبيراته التي يحكي القرآن الكريم ترجمتها بالعربية ، وفي تصرفاته ومواجهته للجهالة من أبيه.

﴿إِذْ قَالَ﴾ أي اذكر وقت قوله ﴿لِأَبِيهِ﴾ هادياً له من تيه الضلال بعبادة الأصنام مستعطفاً له في كل جملة بقوله: ﴿يَا أَبَتِ﴾ .

ولما كان العاقل لا يفعل فعلاً إلا لثمر، نبهه على عقم فعله بقوله: ﴿لِمَ تَعْبُدُ﴾ مريداً بالاستفهام المجاملة، واللفظ والرفق واللين والأدب الجميل في نصحه له كاشفاً الأمر غاية الكشف بقوله: ﴿مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ أي ليس عنده قابلية لشيء من هذين الوصفين ليرى ما أنت فيه من خدمته أو يجيبك إذا ناديتَه حالاً أو مآلاً.

ولما كان الأعمى الأصم قد ينفع بكلام أو غيره، قال: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ من الإغناء، ولما نبه على أن ما يعبد لا يستحق العبادة، بل لا تجوز عبادته، لنقصه مطلقاً ثم نقصه عن عابده، ولن يكون المعبود دون العابد أصلاً، وكان أقل ما يصل إليه بذلك مقام الحيرة، نبهه على أنه أهل للهداية، فقال مكرراً لوصفه المذكور بالعطف والود: ﴿يَا أَبَتِ﴾ وأكد علماً منه أنه ينكر أن يكون ابنه أعرف منه بشيء فقال: ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي﴾ من المعبود الحق ﴿مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي﴾ أي فتسبب عن ذلك أنني أقول لك وجوباً على النهي عن المنكر ونصيحة لما لك علي من الحق: اجتهد في تتبعي ﴿أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ لا عوج فيه، كما أنني لو كنت معك في طريق محسوس وأخبرتكَ أن أمامنا مهالك لا ينجو منها أحد، وأمرتكَ أن تسلك مكاناً غير ذلك، لأطعنتي، لو عصيتني فيه عدك كل أحد غاوباً.

(١) في ضلال القرآن: سيد قطب (٤/٤١١).

ولما بين أنه لا نفع فيما بعده، ونبيه على الوصف المقتضي لوجوب الاقتداء به، بين له ما في عبادة معبوده من الضر فقال: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ فإن الأصنام ليس لها دعوة أصلاً، والله ﷻ قد حرم عبادة غيره مطلقاً على لسان كل ولي له، فتعين أن يكون الأمر بذلك الشيطان، فكان هو المعبود بعبادتها في الحقيقة؛ ثم علل هذا النهي فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ﴾ البعيد من كل خير المحترق باللعنة، وذكر الوصف الموجب للإملاء للعاصي فقال: ﴿كَانَ لِلرَّحْمَنِ﴾ المنعم بجميع النعم القادر على سلبها، ولم يقل: للجبار - لئلا يتوهم أنه ما أملى لعاصيه مع جبروته إلا للعجز عنه ﴿عَصِيًّا﴾ أي: بالقوة من حين خلق، وبالفعل من حين أمره بالسجود لأبيك آدم فأبى فهو عدو لله وله، والمطيع للعاصي لشيء عاص لذلك الشيء، لأن صديق العدو عدو^(١).

فلما وصل إلى هذا الحد من البيان، كان كأنه قيل: ماذا كان جوابه؟ فقيل مقابلاً لذلك الأدب العظيم والحكمة البالغة الناشئة عن لطافت العلم بغاية الفظاظ الباعث كثافة الجهل، منكرًا عليه في جميع ما قال بإنكار ما بعثه عليه من تحقير آلهته: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ قدم الخبر لشدة عنايته والتعجب من تلك الرغبة والإنكار لها، إشارة إلى أنه لا يفعلها أحد؛ ثم صرح له بالمواجهة بالغلظة فقال: ﴿أَنْتَ﴾ قَالَ: ﴿عَنْ إِلَهِي﴾ بإضافتها إلى نفسه فقط، إشارة إلى مبالغته في تعظيمها؛ والرغبة عن الشيء: تركه عمداً.

ثم ناداه باسمه لا بلفظ النبوة المذكر بالشفقة والعطف زيادة في الإشارة إلى المقاطعة وتوابعها فقال يَا إِبْرَاهِيمُ، ثم استأنف قوله مقسماً: ﴿لَنْ لَمْ تُشْتَهَ﴾ عما أنت عليه ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ أي: لأقتلك، فإن ذلك جزاء المخالفة في الدين، فاحذرنى ولا تتعرض لذلك مني وান্তه ﴿وَأَهْجُرَنِي﴾ أي: ابعد عني ﴿مَلِيًّا﴾ أي زماناً طويلاً لأجل ما صدر منك هذا الكلام، وفي ذلك تسلية لرسول الله ﷺ وتأسيه فيما كان يلقي من الأذى، ويقاسي من قومه من العناء، ومن عمه أبي لهب من الشدائد والبلايا - بأعظم آبائه وأقربهم به شبهاً ﴿قَالَ﴾ أي: إبراهيم ﷺ مقابلاً لما كان من طيش الجهل بما يحق لمثله من رزانة العلم ولم يغضب إبراهيم الحليم ﷺ، ولم يفقد بره وعطفه وأدبه مع أبيه: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾^(٢).

يذكر الشعراوي في تفسيره سبب تكرار لفظة ﴿يَا أَبَتِ﴾ "يُكْرَرُ نَبِي اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ هَذَا النِّدَاءَ الْحَنُونِ مَرَّةً أُخْرَى، وَكَأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَثِيرَ فِي أَبِيهِ غَرِيْزَةَ الْحَنَانِ، وَيُوقِظُ عِنْدَهُ أَوَاصِرَ الرَّحْمِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ:

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي (٤/٥٣٦).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي (٤/٥٣٧-٥٣٨).

إن كلامي معك كلام الابن لأبيه، كما نفعل نحن الآن إن أراد أحدنا أن يُحَنَّن إليه قلب أبيه يقول: يا والدي كذا وكذا . . يا أبي اسمع لي، وكذلك حال إبراهيم عليه السلام حيث نادى أباه هذا النداء في هذه الآيات أربع مرات متتاليات، وما ذلك إلا لحرصه على هدايته، والأخذ بيده إلى الطريق المستقيم^(١).

المطلب الثاني

استخدام الحوار (الحجة والمجادلة) في الدعوة إلى الله

لقد وردت العديد من الآيات التي تبين استخدام إبراهيم عليه السلام للحوار في دعوته، ومن ذلك الحوار الذي دار بينه وبين الملك الذي ذكره القرآن الكريم في قوله عليه السلام: ﴿الْمُتَرِّ إِلَىٰ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

جرى هذا الكلام مجرى الحجة على مضمون الجملة الماضية، وهي قوله عليه السلام: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُوهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فإنه لما ذكر أن الله عليه السلام يخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور وأن الطاغوت يخرجون الذين كفروا من النور إلى الظلمات، ساق ثلاثة شواهد على ذلك هذا أولها وأجمعها لأنه اشتمل على ضلال الكافر وهدى المؤمن، فكان هذا في قوة المثال.

والمقصود من هذا تمثيل حال المشركين في مجادلتهم النبي عليه السلام في البعث بحال الذي حاج إبراهيم عليه السلام في ربه، ويدل لذلك ما يرد من التخيير في التشبيه في قوله: ﴿أَوْ كَ الَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

والاستفهام في ﴿الْمُتَرِّ﴾ مجازي متضمن معنى التعجب، وهذا استدلال مسوق لإثبات الوحدانية لله عليه السلام وإبطال إلهية غيره لانفراده بالإحياء والإماتة، وانفراده بخلق العوالم المشهودة للناس. ومعنى ﴿حَاجَّ﴾ أي: خاصم، فمعنى ﴿الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: أنه خاصمه خصاماً باطلاً في شأن صفات الله رب إبراهيم عليه السلام.

(١) تفسير الشعراوي: الشعراوي (٩٠٩٣/١٥).

والذي حَاجَّ إبراهيم ﷺ كافر لا محالة لقوله: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾، والذي يُعتمد أنَّه ملك جبَّار، كان ملكاً في بابل، وأنَّه الذي بني مدينة بابل، وبني الصرح الذي في بابل، واسمه نمزود والضمير المضاف إليه ربَّ عائد إلى إبراهيم ﷺ، والإضافة لتشريف المضاف إليه، ويجوز عوده إلى الذي، والإضافة لإظهار غلظه^(١).

وقوله ﷺ: ﴿أَنَا أَنَا اللَّهُ الْمَلِكُ﴾ تعليل حذفته منه لام التعليل، وهو تعليل لما يتضمنه حَاجَّ من الإقدام على هذا الغلط العظيم الذي سهَّله عنده ازدهاره وإعجابه بنفسه، فهو تعليل محض وليس علة غائيَّة مقصودة للمحاجَّ من حجاجه.

وجوِّز صاحب (الكشاف) أن يكون تعليلاً غائياً أي: حَاجَّ لأجل أن الله آتاه الملك، فاللام استعارة تبعية لمعنى يُؤدَّى بحرف غير اللام، والداعي لهذه الاستعارة التهكم.

إذ قالَ ظرف لحَاجَّ وقد دل هذا على أن إبراهيم ﷺ هو الذي بدأ بالدعوة إلى التوحيد واحتجَّ بحجة واضحة يدركها كل عاقل، وهي أن الربَّ الحق هو الذي يحيي ويميت؛ فإن كل أحد يعلم بالضرورة أنه لا يستطيع إحياء ميت فلذلك ابتداء إبراهيم ﷺ الحجَّة بدلالة عجز الناس عن إحياء الأموات، وأراد بأنَّ الله ﷻ يحيي أنه يخلق الأجسام الحيَّة من الإنسان والحيوان وهذا معلوم بالضرورة، وفي تقديم الاستدلال بخلق الحياة إدماج لإثبات البعث؛ لأنَّ الذي حَاجَّ إبراهيم كان من عبده الأصنام، وهم ينكرون البعث، وذلك موضع العبرة من سياق الآية في القرآن على مسامح أهل الشرك، ثم أعقبه بدلالة الأمانة، فإنَّه لا يستطيع إنهاء حياة الحي، ففي الإحياء والإماتة دلالة على أنَّهما من فعل فاعل غير البشر، فالله ﷻ هو الذي يحيي ويميت، فالله هو الباقي ﷻ دون غيره الذين لا حياة لهم أصلاً كالأصنام إذ لا يُعطون الحياة غيرهم وهم فاقدها، ودون من لا يدفع الموت على نفسه مثل هذا الذي حَاجَّ إبراهيم ﷺ.

وجملة ﴿قَالَ أَنَا أُخِي﴾ بيان لحَاجَّ والتقدير حَاجَّ إبراهيم، ﴿قَالَ أَنَا أُخِي وَأُمِّتُ﴾ حين قال له إبراهيم ﷺ ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ وقد جاء بمغالطة عن جهل أو غرور في الإحياء والإماتة إذ زعم أنه يعمد إلى من حَكَمَ عليه بالموت فيعفو عنه، وإلى بريء فيقتله، كذا نقلوه.

ويجوز أن يكون مراده أن الإحياء والإماتة من فعله هو لأنَّ أمرهما خفي لا يقوم عليه برهان محسوس. وقوله: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ مجاوبة فقطعت عن العطف جرياً على طريقة حكاية المحاورات، وقد عدل إبراهيم ﷺ عن الاعتراض بأنَّ هذا ليس من الإحياء المحتجَّ به ولا من الإماتة المحتجَّ بها،

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٢٨٥/٣).

فأعرض عنه لما علم من مكابرة خصمه وانتقل إلى ما لا يستطيع الخصم انتحاله، ولذلك ﴿بُهِتَ﴾، أي: عجز لم يجد معارضة.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ تذييل هو حوصلة الحجة على قوله: ﴿اللَّهُ ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ وإنما انتقى هدي الله لقوم الظالمين؛ لأنّ الظلم حائل بين صاحبه وبين التنازل إلى التأمل من الحجج وإعمال النظر فيما فيه النفع؛ إذ الذهن في شاغل عن ذلك بزوهه وغروره.

والآية دليل على جواز المجادلة والمناظرة في إثبات العقائد، والقرآن مملوء بذلك، وأما ما نهي عنه من الجدل فهو جدال المكابرة والتعصّب وترويج الباطل والخطأ^(١).

المطلب الثالث

استخدام المفاصلة والحسم في الدعوة إلى الله

وذلك متمثلاً بقوله ﷺ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقد بين ﷺ هذا التآسي المطلوب وهو الإقتداء الحسن وذلك بقوله: ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ

مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

فالتآسي هنا في ثلاثة أمور:

أولاً: التبرؤ منهم ومما يعبدون من دون الله.

ثانياً: الكفر بهم.

ثالثاً: إبداء العداوة والبغضاء وإعلانها وإظهارها أبداً إلى الغاية المذكورة حتى يؤمنوا بالله ﷻ وحده وهذا غاية في القطيعة بينهم وبين قومهم وزيادة عليها إبداء العداوة والبغضاء أبداً والسبب في ذلك هو الكفر فإذا آمنوا بالله وحده انتفى كل ذلك بينهم.

وهنا سؤال هو موضع الأسوة ﴿إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ بدليل العطف بينهما.

وقوله ﷻ: ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ فقائل القول لقومهم إبراهيم عليه السلام والذين مع إبراهيم عليه السلام وهذا محل التآسي بهم فيما قالوه لقومهم.

(١) التحرير والتنوير: بن عاشور (٣/٣١-٣٤) بتصرف.

وقوله ﷺ: ﴿إِنَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فهذا القول من إبراهيم عليه السلام ليس موضع التأسي وموضع التأسي المطلوب في إبراهيم عليه السلام هو ما قاله مع قومه المتقدم جملة وما فصله ﷺ في موضع آخر في قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿۱۰﴾ إِنَّا الَّذِي فِطَرْتَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿۱۱﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، وهذا التبرؤ جعله باقيا في عقبه كما قال ﷺ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨].

وقوله ﷺ: ﴿إِنَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ الآية، لم يبين هنا سبب هذا الاستثناء وهل هو خاص بإبراهيم عليه السلام لأبيه أم لماذا؟

وقد بينه تعالى في موضع آخر في قوله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِبَاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١]، تلك الموعدة التي كانت له عليه في بادئ دعوته حينما قال له أبوه ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ الْهَيْبَةِ يَا إِبْرَاهِيمَ لَنْ لَمْ تُثَبِّتْهُ لَأَمْرُجَمَتِكَ وَاهْجُرْتَنِي مَلِكًا﴾ قال سَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٦﴾ [مريم: ٤٦-٤٧]، فكان قد وعده ووفي بعهده فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه فكان محل التأسي في إبراهيم في هذا التبرؤ من أبيه لما تبين له أنه عدو لله (١).

يقول الإدريسي في تفسيره للآية: "يقول الحق جل جلاله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: قدوة ﴿حَسَنَةٌ﴾ أو: خصلة حميدة، حقيقة بأن يرتقى بها ويُقتدى، كائنة ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من أصحابه المؤمنين، أو: الأنبياء المعاصرين له، وقريباً من عصره، ورجحه الطبري وغيره؛ لأنه لم يكن لإبراهيم عليه السلام أتباع مؤمنين وقت مكافحته للنمرود.

وقد قال لسارة، حين رحل بها إلى الشام: "ليس على وجه الأرض من يعبد الله غيري وغيرك". ﴿إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَأْيِكُمْ كَافِرَاتٌ﴾ أي: جمع بريء، أي: نتبرأ منكم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام، ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي: بدينكم، أو: بمعبودكم، أو: بكم وبأصنامكم، فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم، ﴿وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبُغْضَاءَ أَبَدًا﴾ أي: هذا دأبنا أبداً ﴿حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك، فتقلب العداوة حينئذ ولاية، والبغضاء محبة.

وحاصل الآية: أن الحق ﷺ يقول: إن كانت عداوة الكفار لكم إنما هي لأجل إيمانكم بالحق، فعادوهم أنتم، وكافحوهم بالعداوة، وأظهروا البغضاء لهم والمقت، وصرّحوا أن سبب العداوة ليس إلا

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي (٨/٨٤-٨٦).

كفركم بالله ﷻ، وما دام هذا السبب قائماً كانت العداوة، حتى إن أزلتموه انقلبت العداوة مولاةً، وأنتم مقتدون في ذلك بالخليل ﷺ وسائر الأنبياء، حيث كافحوا الكفار بالعداوة، وتوكلوا على الله ﷻ.

قال ابن عطية^(١): "هذه الأسوة مقيّدة بالتبزي من المشركين وإشراكهم، وهو مطرد في كل ملة، وفي نبينا ﷺ أسوة حسنة على الإطلاق، في العقائد وفي أحكام الشرع.

فلکم أسوة فيمن تقدّم ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾، وذلك لموعدةٍ وعدّها إياه، أي: اقتدوا به في كل شيء، ولا تقتدوا به في استغفاره لأبيه الكافر، واستغفاره ﷺ لأبيه الكافر جائز عقلاً وشرعاً قبل النهي، لوقوعه قبل تبيين أنه من أصحاب الجحيم، لكنه ليس مما ينبغي أن يؤتسى به أصلاً ﴿وَمَا أُمِّلُكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: من هداية ومغفرة وتوفيق، وهذه الجملة من تمام قول المستثنى، كأنه قال: استغفرُ لك وما في طاقتي إلا الاستغفار، إظهاراً للعجز وتفويضاً للأمر ﴿مَرْبِّا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ أي: أقبلنا، ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾؛ المرجع، وهو من تمام ما نقل عن إبراهيم ﷺ ومن معه من الأسوة الحسنة^(٢).

المطلب الرابع

استخدام الأدلة والبراهين المنطقية في إثبات دعوته

لقد استخدم إبراهيم ﷺ الأدلة والبراهين المنطقية في إثبات دعوته وذلك في أمرين:

١- استخدام الظواهر الكونية في الدعوة: وذلك متمثلاً بقوله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكَوَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لِي بِهِدْيِي رَبِّي لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

يقول صاحب الظلال في تفسيره للآيات: قوله ﷻ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ﴾ إنها صورة لنفس إبراهيم ﷻ، وقد ساورها الشك - بل الإنكار الجازم - لما

(١) ابن عطية: (٤٨١ - ٥٤٢ هـ = ١٠٨٨ - ١١٤٨ م) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي،

من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملتهمين. (الإعلام: للزركلي (٣/٢٨٢)، سير أعلام النبلاء: شمس الدين بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٥٧٤٨ هـ)، (١٩/٥٨٦).

(٢) البحر المديد: الإدريسي (٨/٢١-٢٢).

يعبد أبوه وقومه من الأصنام، وقد باتت قضية العقيدة هي التي تشغل باله، وتزحم عالمه، صورة يزيدنا التعبير شخصاً بقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ كأنما الليل يحتويه وحده، وكأنما يعزله عن الناس حوله، ليعيش مع نفسه وخواتمه وتأملاته، ومع همه الجديد الذي يشغل باله ويزحم خاطره: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ مَرَّ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ . . .

وكان قومه يعبدون الكواكب والنجوم، فلما أن يئس من أن يكون إلهه الحق - الذي يجده في فطرته في صورة غير مدركة ولا واعية - صنماً من تلك الأصنام ، فلعله رجا أن يجده في شيء مما يتوجه إليه قومه بالعبادة!

وما كانت هذه أول مرة يعرف فيها إبراهيم عليه السلام أن قومه يتجهون بالعبادة إلى الكواكب والنجوم، وما كانت هذه أول مرة يرى فيها إبراهيم عليه السلام كوكباً . . . ﴿قال: هذا ربِّي﴾ . . . فهو بنوره وبزوغه وارتفاعه أقرب - من الأصنام - إلى أن يكون رباً! . . . ولكن لا! إنه يكذب ظنه: ﴿فلما أفل قال: لا أحب الآفلين﴾ . . . إنه يغيب . . . يغيب عن هذه الخلائق.

فمن ذا يرعاها إذن ومن ذا يدبر أمرها . . . إذا كان الرب يغيب؟! لا، إنه ليس رباً، فالرب لا يغيب!

إنه منطوق الفطرة البديهي القريب . . . لا يستشير القضايا المنطقية والفروض الجدلية، إنما ينطلق مباشرة في يسر وجزم؛ لأن الكينونة البشرية كلها تنطق به في يقين عميق . . . ﴿لا أحب الآفلين﴾ .

فالصلة بين الفطرة وإلهها هي صلة الحب؛ والآصرة هي آصرة القلب . . . وفطرة إبراهيم عليه السلام « لا تحب » الآفلين، ولا تتخذ منهم إلهاً، إن الإله الذي تحبه الفطرة . . . لا يغيب . . . ! أي عرفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم ودل على أن من غاب بعد الظهور كان حادثاً مسخراً وليس برب^(١). ﴿فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربِّي فلما أفل﴾ إن التجربة تتكرر، وكأن إبراهيم عليه السلام لم ير القمر قط؛ ولم يعرف أن أهله وقومه يعبدونه! فهو الليلة في نظره جديد: ﴿قال هذا ربِّي﴾ . . . بنوره الذي ينسكب في الوجود؛ وتفرد في السماء بنوره الحبيب . . . ولكنه يغيب! . . . والرب كما يعرفه إبراهيم عليه السلام بفطرته وقلبه - لا يغيب!

(١) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (٨٨/٣).

هنا يحس إبراهيم ﷺ أنه في حاجة إلى العون من ربه الحق الذي يجده في ضميره وفطرته، ربه الذي يحبه، ولكنه بعد لم يجده في إدراكه ووعيه . . ويحس أنه ضال مضيع إن لم يدركه ربه بهدأيته، إن لم يمد إليه يده، ويكشف له عن طريقه: ﴿ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ .

﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

إنها التجربة الثالثة مع أضخم الأجرام المنظورة وأشدها ضوءاً وحرارة .. الشمس .. والشمس تطلع كل يوم وتغيب، ولكنها اليوم تبدو لعيني إبراهيم كأنها خلق جديد. إنه اليوم يرى الأشياء بكيانه المتطلع إلى إله يطمئن به ويطمئن إليه؛ ويستقر على قرار ثابت بعد الحيرة المقلقة والجهد الطويل: ﴿ قال: هذا ربي . هذا أكبر ﴾ . ولكنها كذلك تغيب ..

هنا يقع التماس، وتتطلق الشرارة، ويتم الاتصال بين الفطرة الصادقة والله الحق، ويغمر النور القلب ويفيض على الكون الظاهر وعلى العقل والوعي، هنا يجد إبراهيم ﷺ إلهه .. يجده في وعيه وإدراكه كما هو في فطرته وضميره . . هنا يقع التطابق بين الإحساس الفطري المكنون والتصور العقلي الواضح.

وهنا يجد إبراهيم ﷺ إلهه، ولكنه لا يجده في كوكب يلمع، ولا في قمر يطلع، ولا في شمس تسطع .. ولا يجده فيما تبصر العين، ولا فيما يحسه الحس .. إنه يجده في قلبه وفطرته، وفي عقله ووعيه، وفي الوجود كله من حوله . . إنه يجده خالقاً لكل ما تراه العين، ويحسه الحس، وتدركه العقول.

وعندئذ يجد في نفسه المفاصلة الكاملة بينه وبين قومه في كل ما يعبدون من آلهة زائفة؛ ويبرأ في حسم لا مواربة فيه من وجهتهم ومنهجهم وما هم عليه من الشرك - وهم لم يكونوا يجحدون الله البتة، ولكنهم كانوا يشركون هذه الأرباب الزائفة - وإبراهيم يتجه إلى الله وحده بلا شريك: ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

فهو الاتجاه إلى فاطر السماوات والأرض، الاتجاه الحنيف الذي لا ينحرف إلى الشرك، وهي الكلمة الفاصلة، واليقين الجازم، والاتجاه الأخير، فلا تردد بعد ذلك ولا حيرة فيما تجلى للعقل من تصور مطابق للحقيقة التي في الضمير^(١).

٢- استخدام الأدلة والبراهين من الواقع المحيط لإثبات عجز الخصوم:

(١) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (٣/٨٩-٩٠).

ويظهر ذلك جلياً من خلال الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وقومه وذلك متمثلاً بقوله ﴿﴾:
﴿﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ مَرْشِدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ **﴿﴾** إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَتَمَّهَا عَاكِفُونَ **﴿﴾** قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ **﴿﴾** قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَتَمَّ آبَاءُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ **﴿﴾** قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ **﴿﴾** قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ **﴿﴾** وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ **﴿﴾** فَجَعَلَهُمْ جَذَازًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ **﴿﴾** قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ **﴿﴾** قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ **﴿﴾** قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ **﴿﴾** قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمُ **﴿﴾** قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ **﴿﴾** فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَتَمُّ الظَّالِمُونَ **﴿﴾** ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ مَرْءٍ وَسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ **﴿﴾** قَالَ اقْتَبِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ **﴿﴾** أَفَلَا تَعْقِلُونَ **﴿﴾** [الأنبياء: ٥١-٦٧].

فمعنى قوله ﴿﴾: **﴿﴾** وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ مَرْشِدَهُ **﴿﴾** أي: صلاحه وهداه، **﴿﴾** مِنْ قَبْلُ **﴿﴾** أي: من قبل موسى وهرون، وقيل من قبل البلوغ، **﴿﴾** وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ **﴿﴾** أي: إنه من أهل الهداية والنبوة.

﴿﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ **﴿﴾** (يعني الصور والأصنام) **﴿﴾** الَّتِي أَتَمَّهَا عَاكِفُونَ **﴿﴾** أي: مقيمون على عبادتها، **﴿﴾** قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ **﴿﴾** أي: فاقتدينا بهم، **﴿﴾** قَالَ **﴿﴾** يعني إبراهيم عليه السلام، **﴿﴾** لَقَدْ كُنتُمْ أَتَمَّ آبَاءُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ **﴿﴾** (أي في خطأ بين بعبادتكم إياها) **﴿﴾** قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ **﴿﴾** (أي بالصدق) **﴿﴾** أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ **﴿﴾** (يعنون أجداد أنت فيما تقول أم أنت لاعب)، **﴿﴾** قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ **﴿﴾** أي خلقهن، **﴿﴾** وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ **﴿﴾** أي: على أنه الإله الذي يستحق العبادة، وقيل شاهد على أنه خالق السموات والأرض **﴿﴾** وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ **﴿﴾** (أي لأمكرن بها) **﴿﴾** بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ **﴿﴾** (أي منطلقين إلى عيديكم^(١))، قيل: إنما قال إبراهيم عليه السلام هذا القول سرا في نفسه، ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد من قومه فأفشاه عليه، وهو القائل إنا سمعنا فتى يذكرهم، وقيل كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم رجعوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معه إبراهيم عليه السلام، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال: إني سقيم أشنكي رجلي فتركوه ومضوا، فنادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس تالله لأكيدن أصنامكم فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم عليه السلام إلى بيت الآلهة وهن في بهو عظيم، ومستقبل باب البهو صنم

(١) انظر: مفاتيح الغيب: الرازي (١٥٧/٢٢).

عظيم إلى جنبه صنم أصغر منه والأصنام جنبها إلى جنب بعض كل صنم الذي يليه أصغر منه وهكذا إلى باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاماً بين يدي الآلهة وقالوا إذا رجعنا وقد بركت الآلهة عليه أكلنا منه، فلما نظر إبراهيم عليه السلام إليهم وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الصافات: ٩١] (فلما لم يجيبوه) ﴿ مَا لَكُمْ لَا نُنطِقُونَ ﴾ ﴿ فَرَغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ [الصافات: ٩٢-٩٣].

(وجعل يكسرهن بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم العظيم، علق الفأس في عنقه، وقيل في يده ثم خرج.

قوله ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾ (أي كسراً وقطعاً)، ﴿ إِنْ كَبُرَّا لَهُمْ ﴾ أي: تركه ولم يكسره ووضع الفأس في عنقه، ثم خرج وقيل ربطه على يده وكانت اثنتين وسبعين صنماً بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورمصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللاً بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان، وقوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾، قيل: معناه يرجعون إلى إبراهيم عليه السلام وإلى دينه وما يدعوهم إليه، إذا علموا ضعف الآلهة وعجزها، وقيل معناه لعلمهم يرجعون إلى الصنم فيسألونه ما لهؤلاء تكسروا وأنت صحيح والفأس في عنقك، فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت آلهتهم ورأوا أصنام مكسرة ﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: في تكسيرها واجترأه، ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا قَتَى يَذُكُرُهُمْ ﴾ أي: يسبهم ويعيبهم ﴿ يُقَالُ لَهُ إِبرَاهِيمُ ﴾ أي: هو الذي نظن أنه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار وأشرف قومه ﴿ قَالُوا قَاتُوا بِهِ عَلَى أَغْنِ النَّاسِ ﴾ أي: جئوا به ظاهراً بمرأى الناس وإنما قاله نمرود، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ أي: عليه بأنه الذي فعل ذلك كرهوا أن يأخذوه بغير بنية وقيل معناه لعلمهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما أتوا به، ﴿ قَالُوا ﴾ أي قالوا (له) ﴿ أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ يَا إِبرَاهِيمُ قَالَ ﴾ (يعني إبراهيم) ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ (غضب أن تعبدون معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرنه وأراد إبراهيم عليه السلام بذلك إقامة الحجة عليهم فذلك قوله: ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ أي: حتى يخبروا بمن فعل ذلك بهم، وقيل: معناه إن قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه أنا فعلت ذلك^(١).

وقوله: ﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ (يعني تفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم) ﴿ فَقَالُوا ﴾ (ما نراه إلا كما قال) ﴿ إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (يعني بعبادتكم ما لا يتكلم وقيل معناه أنتم الظالمون لهذا الرجل في سؤالكم إياه، وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها، ﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ﴾ (قال أهل

(١) انظر: التحرير والتنوير: بن عاشور (١٧/١٠٠).

التفسير: أجرى الله الحق على ألسنتهم في القول الأول وهو إقرارهم على أنفسهم بالظلم ثم أدركتهم الشقاوة فرجعوا إلى حالهم الأولى وهو قوله: ثم نكسوا على رؤوسهم أي ردوا إلى الكفر وقالوا ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ يَتَّبِعُونَ﴾ (يعني فكيف نسألهم، فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليهم، ﴿قَالَ﴾ (لهم) ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ (يعني إن عبدتموه)، ﴿وَكَأَيُّ ضُرِّكُمْ﴾ (يعني إن تركتم عبادته) ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (يعني تبأ لكم)، ﴿وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (والمعنى أنه حقرهم وحقر معبودهم) ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (يعني أليس لكم عقل تعقلون به أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة؟ فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب) قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم^(١).

المطلب الخامس

الصبر والثبات عند الابتلاء والمحن

إن الصبر والثبات عند الابتلاء والمحن من منهج الأنبياء جميعهم في دعوتهم إلى الله، ونبي الله إبراهيم عليه السلام ابتلي وامتحن في أكثر من موقف في حياته وكانت كلها تزيد قوة وعزيمة وإصرار علي الاستمرار في الدعوة إلى الله، فقد ابتلي إبراهيم عليه السلام في عدة أشياء منها: الابتلاء بالنفس والأهل والولد، ولكنه صبر وثبت واستمر في دعوته.

١- الصبر والثبات عند ابتلائه في الحرق:

وذلك متمثلاً بقوله عليه السلام: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا

وَسَاكِنًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٦٩]، بعد إن أعيتهم الحجة وانقطعوا ببيان اللسان لاذوا إلى قوة السنان، وهذا شأن الإنسان إذا كتب عليه الخسران، والعياذ بالرحمن.

وهنا أجابوا بما أخبر عليه السلام به عنهم فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ﴾ أي: أحرقوا إبراهيم بالنار، وقيل أن الذي قال حرقوه: رجل من الأكراد من بادية فارس ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ التي أهانها وكسرها ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي مريدين نصرتها حقاً وصدقاً، ونفذوا ما أجمعوا عليه وجمعوا الحطب وأججوا النار في بنيان خاص وألقوه فيه بواسطة منجنيق لقوة لهبها وشدة حرها روي أنهم جمعوا الحطب في مدة شهر كامل ولما ألقوه في النار عرض له جبريل عليه السلام فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل، وقال عليّ وابن عباس رضي الله عنهم: "لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم عليه السلام من بردها ولم تبق دابة في المنطقة إلا أطفأت عن إبراهيم النار إلا الوزغ فإنها كانت تتفخ عليه فلذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتلها وسماها الفويسقة".

(١) انظر: تفسير الخازن: الخازن (٤/٢٩٧-٣٠٠).

وقال ﷺ للنار ما أخبر به في قوله: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ فكانت كما طلب منها ولم تحرق غير وثاقه الحبل الذي شدت به يده، ورجلاه ولو لم يقل وسلاماً لكان من الجائز أن تنقلب النار جبلاً من تلج ويهلك به إبراهيم عليه السلام (١).

٢- الصبر والثبات عند ابتلائه في الأول:

يقول ﷺ: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٧-٣٨].

روى البخاري عن ابن عباس: "أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل عليه السلام؛ اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم عليه السلام وبابنها إسماعيل عليه السلام وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد؛ وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنا لك؛ ووضع عندهما جراباً فيه تم، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل؛ فقالت: يا إبراهيم! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء، فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذا لا يضيعنا؛ ثم رجعت، فانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات، ورفع يديه فقال: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] حتى بلغ ﴿ يَشْكُرُونَ ﴾ وجعلت أم إسماعيل عليه السلام ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنتظر إليه يتلوى - أو قال بتلوك - فانطلقت كراهية أن تنتظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنتظر هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود، ثم جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليه، فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات؛ قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: [فذلك سعي الناس بينهم] فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه! تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت، إن كان عندك غواث! فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف (٢)، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: "يرحم الله أم إسماعيل عليه السلام لو تركت زمزم - أو قال: لو لم تغرف من الماء

(١) انظر: أيسر التفاسير: أبو بكر الجزائري (٤٢٦/٣)، انظر: قصص القرآن: بن كثير (ص ٩٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٣٦٨/٩)، انظر: مدرسة الأنبياء: محمد الزين (ص ٩٥).

- لكانت زمزم عينا معنا" قال: فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة فإن ها هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله" وذكر الحديث بطوله^(١).

إن ما فعله إبراهيم عليه السلام من ترك زوجته وابنه في الصحراء حيث لا طعام ولا شراب دليل على السمع والطاعة من إبراهيم عليه السلام لما يأمره به ربه، وهذا فيه ابتلاء له قي أهله ومع ذلك كان على صبر ويقين لأنه أمر الله.

٣- الصبر والثبات عند ابتلائه في الولد:

قال عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَجِدْ لِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿٢﴾ وَوَدَّعَيْنَاهُ أَن يُرَاهِمُ ﴿٣﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُ الْآبَاءُ الْمُبِينُ ﴿٥﴾ [الصافات: ١٠٢-١٠٥].

يقول ابن عاشور في تفسيره للآية: "والمقصود من هذا الابتلاء إظهار عزمه وإثبات علو مرتبته في طاعة ربه فإن الولد عزيز على نفس الوالد، والولد الوحيد الذي هو أمل الوالد في مستقبله أشد عزة على نفسه لا محالة، وقد علمت أنه سأل ولداً لييرثه نسله ولا يرثه مواليه، فبعد أن أقر الله تعالى عينه بإجابة سؤله وترعرع ولده أمره بأن يذبحه فيندم نسله ويخيب أمله ويزول أنسه ويتولى بيده إعدام أحب النفوس إليه وذلك أعظم الابتلاء.

فقابل أمر ربه بالامتثال وحصلت حكمة الله من ابتلائه، وهذا معنى قوله عليه السلام: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُ الْآبَاءُ الْمُبِينُ ﴾ [الصافات: ١٠٦].

ويقول ابن الجوزي في تفسيره للآية: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُ الْآبَاءُ الْمُبِينُ ﴾ في ذلك قولان: أحدهما: النعم البينة قاله ابن السائب ومقاتل، والثاني: الاختبار العظيم قاله ابن زيد وابن قتبية فعلى الأول يكون قوله هذا إشارة إلى العفو عن الذبح وعلى الثاني يكون إشارة إلى امتحانه بذبح ولده^(٢).

ويقول ابن عطية في تفسيره للآية: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُ الْآبَاءُ الْمُبِينُ ﴾ "يشير إلى ما في القصة من امتحان واختبار وسير معتقد فيكون البلاء على هذا المعنى الاختبار بالشدّة ويحتمل أن يشير إلى ما في القصة من سرور بالفدية وإنقاذ من تلك الشدة في إنقاذ الذبح فيكون البلاء بمعنى النعمة^(٣).

فالتضحية التي أمر الله تعالى بها إبراهيم عليه السلام وهي ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، واستجابته لأمر الله عن رضا لهو أعظم الصبر على هذا الابتلاء، ولقد ضحى إبراهيم عليه السلام بحبه لولده فكان حب الله أعلى عنده من حبه لولده.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء، باب: يزفون النسلان في المشي (١/ ١٢٢٧)، رقم (٣١٨٤).

(٢) زاد المسير في علم التفسير: بن الجوزي (٧٧/٧).

(٣) المحرر الوجيز: بن عطية (٤٨٢/٤).

فها هو سيدنا إبراهيم عليه السلام نموذجاً يقتدى به في الصبر والثبات فعلينا أن نتأسى به فهو كما وصفه الله تعالى في كتابه أمة حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَكَمِيكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿شَاكِرًا لِّنِعْمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢١].

والقرآن الكريم يرسم إبراهيم عليه السلام نموذجاً للهداية والطاعة والشكر والإنابة لله تعالى. ويقول عنه هنا: (إنه كان أمة) واللفظ يحتمل أنه يعدل أمة كاملة بما فيها من خير وطاعة وبركة، ويحتمل أنه كان إماماً يقتدى به .

وورد في التفسير المأثور هذا المعنى وذلك، وهما قريبان، فالإمام الذي يهدي إلى الخير هو قائد أمة وله أجره وأجر من عمل بهدأيته فكأنه أمة من الناس في خيره وثوابه لا فرد واحد. ﴿قَاتِلًا لِلَّهِ﴾ طائعاً خاشعاً عابداً ﴿حَنِيفًا﴾ متجهاً إلى الحق مائلاً إليه ﴿وَكَمِيكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فلا يتعلق به ولا يتمسح فيه المشركون! ﴿شَاكِرًا لِّنِعْمِهِ﴾ بالقول والعمل. لا كهؤلاء المشركين الذين يجحدون نعمة الله قولاً، ويكفرونها عملاً، ويشركون في رزقه لهم ما يدعون من الشركاء، ويحرمون نعمة الله عليهم اتباعاً للأوهام والأهواء ﴿اجْتَبَاهُ﴾ اختاره ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هو صراط التوحيد الخالص القويم^(١).

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب (١٤/٢٢٠١).

المبحث الثالث

منهج موسى عليه السلام في دعوته للمعرضين

لقد اتبع موسى طرقا عديدة وأساليب كثيرة في دعوته للمعرضين، وهي كالتالي:

المطلب الأول

الحوار

يعد أسلوب الحوار من الأساليب المهمة في الدعوة إلى الله ﷻ ولولا الحوار لما تمكن الداعية من توصيل فكرته وتصحيح الفكر المغاير.

ولقد برز الحوار من موسى عليه السلام مع فرعون وقومه في كثير من الآيات أذكر منها:

١- حوار مع فرعون:

ذلك الطاغية الذي آتاه الله الملك والخيرات فكفر بأنعم الله، واستغل ذلك في خداع قومه ونشر الفساد .

وذلك كما في قوله ﷻ: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ أَنْ أُرْسِلَ مَعَنَا نَبِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٦٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٧٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿١٧٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿١٧٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿١٧٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧٨﴾ قَالَ لَنْ اتَّخَذتْ إِلَهًا غَيْرِي لَجَعَلْتِكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ ﴿١٧٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿١٨٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٨٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٨٣﴾ [الشعراء: ١٦٦-٣٢].

٢- حوار مع السحرة:

وذلك كما في قوله ﷻ: ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُتَقَرِّبِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقُوا مَا أُنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿١٨٥﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿١٨٦﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٨٧﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٨٨﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٩﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٩٠﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي

عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ أَتَقَطَعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأْمُرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَأَصْلَبَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُتَقَلِّبُونَ ﴿٥٢﴾ إِنَّا نَضَعُ الْكُفْرَ كَمَا نَضَعُ الْكُفْرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ [الشعراء: ٤٢-٥١].

فلما رأى السحرة الحقيقة التي لا مجال للزور والبهتان والضلال فيها آمنوا وثبتوا على مبدئهم رغم التهديد.

٣- حوار مع قومه:

وذلك كما في قوله ﷺ: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَدْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُوعًا قَالُوا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَّانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْثُهَا تَسْرُّ النَّاتِرِينَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ شَابَهُ عَيْنَانِ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٥٨﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَسْرُسَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا شِيبَةَ فِيهَا قَالُوا الْإِن جِئْتَ بِالْحَقِّ فَدْبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٦٠﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ [البقرة: ٦٦-٧٢].

٤- حوار مع السامري:

وذلك كما في قوله ﷺ: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٦٣﴾ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَنَّهُ وَنَظْرًا إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٦٤﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٦٥﴾ [طه: ٩٥-٩٨].

فهذه نماذج من الحوار الذي دار بين موسى ﷺ وقومه وفرعون والسامري توضح أن الحوار أسلوب هام من أساليب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: الصبر

لقد صبر سيدنا موسى ﷺ على قومه صبراً عظيماً لطبيعة قومه التي اشتبهوا بها، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الصفات وأطرد في وصفهم:

١- فهم يفتنون العهد والميثاق: يقول الحق ﷻ: ﴿أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا بَيْنَهُمْ فَرَيقُ مِنْهُمْ بَلَ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

٢- قتلهم الأنبياء بغير حق وكفرهم بآيات الله: وذلك في قوله ﷺ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

وهناك الكثير من هذه الصفات، ولقد صبر موسى ﷺ عليهم كثيراً وتحمل آذاهم، وينقسم علي الإيذاء عند موسى ﷺ إلى قسمين:

١- الصبر علي الإيذاء المادي.

٢- الصبر علي الإيذاء المعنوي.

١- الصبر علي الإيذاء المادي^(١):

وهو متمثل في قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقال رسول الله ﷺ: [كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاهَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَكَانَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدُرُ فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ فَخَرَجَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ يَقُولُ ثَوْبِي يَا حَجَرُ حَتَّى نَظَرْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ وَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَنَدَبَ بِالْحَجَرِ سِتَّةً أَوْ سَبْعَةَ ضَرْبًا بِالْحَجَرِ]^(٢).

فهذا إيذاء مادي من قوم موسى ﷺ بوصفه بهذه الصفات التي لا تليق بحق رسول من رسل الله، من اتهامهم له بأنه إما مصاب بالبرص أو أنه آدر، ولكن الله برأه مما قالوا.

٢- الصبر علي الإيذاء المعنوي:

أ. الصبر علي سوء أدبهم مع رسول الله موسى ﷺ: والدليل على ذلك مخاطبتهم له بقولهم يا موسى، وليس يا رسول الله ويا نبي الله وقد ورد هذا كثيرا في كتاب الله ﷻ ومن ذلك قوله ﷺ: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنْ فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢].
وقولهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] وقولهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

(١) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (٣٣٤/٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الغسل، باب: من اغتسل عريانا وحده في الخلوة ومن تستر فالتستر أفضل (٦٤/١)، رقم (٢٧٨).

ب. صبره علي كثرة أسئلتهم التعنتية: كما في قوله ﷺ: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، وقوله ﷺ: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُم آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

ولقد ذم الله ﷺ من سأل هذه الأسئلة ومن سار على هذا النهج ، وقد حذر الله قائلاً ﷺ: ﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨].
ج. صبره علي الاستهزاء في الأمر والاستقصاء في السؤال:

وذلك عندما أمرهم أن يذبحوا بقرة، وهذا كما في قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقْرَةً قَالُوا اتَّخَذْنَا هُنَا مَا نَعْبُدُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون﴾ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقْع لَوْهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ﴾ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ شَبَّهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا لِنْ شَاءَ اللَّهِ لَمُهْتَدُونَ﴾ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْإِن جِئْتِ بِالْحَقِّ فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٦٧-٧٢].

د. صبره علي عصيانهم بعدم سماعه وطاعته:

وذلك عندما قال لهم موسى ﷺ: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢١-٢٢]، ثم أتبعوا بعنادهم ورفضهم لأمر نبي الله موسى ﷺ فقالوا: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

فكان العقاب الإلهي بعد أن أعلن موسى ﷺ أنه لا يملك إلا نفسه وأخاه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥-٢٦].

فإن نبي الله موسى ﷺ قد صبر علي قومه ولما كثر عصيانهم كان العقاب الإلهي لهم وهو التيه في الصحراء، فكان ذلك عقاباً لهم علي مخالفتهم لأمر الله ورسوله.

المطلب الثالث

استخدام المعجزات في دعوته إلي الله

١ - استخدام المعجزات في دعوته إلي الله مع فرعون:

كل رسول يؤيده الله ﷺ بالمعجزات لتكون دلالة على نبوته وأن هذا الرسول من قبل الله، ولقد كانت معجزات الأنبياء جميعهم من جنس ما اشتهر به أقوامهم، ولما كان قوم موسى ﷺ اشتهروا بالسحر، فإن معجزة موسى ﷺ جاءت من جنس ما اشتهر به قومه.

ولقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتحدث عن معجزات موسى ﷺ التي جاء بها من عند الله ﷻ يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاَسْأَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠١]

ولقد وضح القرآن الكريم هذه الآيات التسع - أي المعجزات - في موضع آخر من كتاب الله ﷻ فقال تعالى: ﴿ فَأَمْرُسْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفْصَلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

وهذه الآيات التسع التي جاء بها موسى ﷺ دالة على نبوته وصدقه ولقد أوتى موسى ﷺ آيات أخر كثيرة، منها ضربه الحجر بالعصا وخرج الماء منه وذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشَرَ نَبِيعًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَهُمْ كَلُومًا وَاشْتَرَوْا مِنْ مَرْزِقِ اللَّهِ وَكَانُوا تَعْتَوِي فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠].

ومن الآيات والمعجزات، تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا مَرَرْنَا بِكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَكَانُوا بِنَفْسِهِمْ يُظَلِّمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٧].

وهذه الآيات والمعجزات استخدمها موسى ﷺ للدلالة على أنه رسول رب العالمين وليؤمن فرعون وقومه بالله ﷻ

ولقد استخدم موسى المعجزة الكبرى وهى العصا في الحوار الذي دار بين موسى وفرعون وذلك لإثبات وحدانية الله وأنه رب العالمين، قال ﷻ: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ قال رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿ قال رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ قال لئن اتَّخَذَتِ إلهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿ قال أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿ قال فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ قال لى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿ ونرى عِيدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣-٣٤].

ثم يأتي بعد ذلك دور السحرة وقد علموا أن ما جاء به موسى ﷺ ليس سحرا، إنما هي آية ومعجزة من الله ﷻ وهذا ما جعلهم يقولون: قال ﷻ: ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٩﴾] الشعراء: ٤٨].

فمعنى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي: الذي دعا إليه موسى ﷺ أول ما تكلم وقولهم: ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ عطف بيان لرب العالمين، لأن فرعون كان يدعي الربوبية، ومعنى إضافته إليهما في ذلك المقام أنه الذي دعا إليه موسى وهارون عليهما السلام، ولما آمن السحرة بأجمعهم لم يأمن فرعون أن يقول قومه إن هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا إلا عن معرفة بصحة أمر موسى ﷺ فيسلكون طريقهم، فلبس على القوم وبالغ في التنفير عن موسى ﷺ (١).

٢- استخدام المعجزات في دعوته إلى الله مع قومه:

المعجزات التي جاءت مع موسى ﷺ وجدها بعض العلماء تسع آيات؛ ووجدها غيرهم ثلاث عشرة معجزة.

وفي التحقيق لمعرفة تلك الآيات علينا أن نفرق بين الآيات التي صدرت بالنسبة لفرعون؛ والآيات التي جاءت لبني إسرائيل، فالعصا التي انقلبت حية تسعى، واليد التي تُضيء هي لفرعون، وعدد القرآن الآيات التي جاءت مع موسى ﷺ لفرعون بتسع آيات، يقول الحق ﷻ: ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴾ [النمل: ١٢].

والآيات هي: العصا- ووضعت اليد في الجيب لتخرج بيضاء، ونقص الأنف والثمرات؛ والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، هذه هي الآيات التسع الخاصة بفرعون. أما بقية الآيات التي جاء بها موسى ﷺ لبني إسرائيل فهي كثيرة مثل: ﴿ وَإِذِ تَبْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ ﴾ [الأعراف: ١٧١]، وأيضا: ﴿ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ [البقرة: ٥٧] أي: تظليلهم بالغمام، وكذلك قوله الحق: ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴾ [البقرة: ٥٧]، أي: إنزال المن والسلوى.

ولعل أبرز المعجزات التي استخدمها موسى ﷺ مع قومه هي شق البحر، قال ﷻ: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣]، وأيضا: انفجار الحجر اثنتا عشرة عينا: قال ﷻ: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشَرَ عَيْنًا فَاذْهَبْ كُلُّ نَاسٍ مَشْرِبُهُمْ كُولا وَاشْرَبُوا مِنْ مَرْزِقِ اللَّهِ وَكَانَ تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُؤَسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠].

(١) تفسير السراج المنير: الشريبي (٣/٣٤).

ولذلك أجمل الحق سبحانه الآيات التي جاءت مع موسى عليه السلام (١) لقومه: قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

ومعنى قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ أي: بحجتنا وبراهيننا؛ أي بالمعجزات الدالة على صدقه، قال مجاهد: "هي التسع الآيات، قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: قل لهم قولاً يتذكرون به أيام الله ﷻ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: بنعم الله عليهم؛ أي بما أنعم الله عليهم من النجاة من فرعون ومن النية إلى سائر النعم، وقد تسمى النعم الأيام (٢).

(١) تفسير الشعراوي: الشعراوي (١/٤٦٤٠) بتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٩/٢٢٤) بتصرف.

المبحث الرابع

منهج عيسى عليه السلام في دعوة المعرضين

لقد أرسل الله عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل وأيده بالمعجزات ولكن أعرضوا عنه وقالوا إن هذا إلا سحر مبين وذلك كما جاء في قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦]

ولذلك استخدم عيسى عليه السلام مناهج متنوعة في دعوته إلى الله وأول هذه المناهج:

المطلب الأول

الصبر علي الإيذاء

وذلك كما جاء في قوله ﷺ: ﴿وَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَكُلَّمَا لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ بَنِي الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

والصبر سمة امتاز بها جميع الأنبياء والرسل، فقد صبروا علي تكذيب أقوامهم لهم وإيذائهم سواء أكان الإيذاء معنوي أو جسدي، وها هو عيسى عليه السلام أودي إيذاء معنويا، ومن صور الإيذاء:

١- اتهامه بالسحر:

وذلك كما جاء في قوله ﷺ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦].
فإنَّ الْمُتَبَادِرَ أَنْ يَعُودَ ضَمِيرُ الرَّفْعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿جَاءَهُمْ عِيسَى﴾، وَأَنْ يَعُودَ ضَمِيرُ النَّصْبِ إِلَى الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ عِيسَى عليه السلام، وَالنَّقْدِيرُ: فَكَدَّبُوهُ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ أَوْ هُوَ سَاحِرٌ^(١).
وقوله ﷺ: ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

٢- الافتراء عليه:

وذلك كما جاء في قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَكَلَّمَنِي فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٨﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

(١) التحرير والتنوير: بن عاشور (١٨٦/٢٨-١٨٧) باختصار.

ولقد نفى الله عنه ذلك الافتراء وبين في موضع آخر عبوديته لله في قوله ﷺ: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٥].

المطلب الثاني

التركيز على الجانب العاطفي الإيماني

وذلك كما جاء في قوله ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ [الصف: ١٤].

أي: استجيبوا لله ﷻ ولسوله ﷺ، كما استجاب الحواريون (أصفياء المسيح وخلصاؤه) لعيسى عليه السلام حين قال لهم: من الذي ينصرتي ويعينني في الدعوة إلى الله عز وجل، ومن منكم يتولى نصري وإعانتني فيما يقرب إلى الله، أو من أنصاري متجها إلى نصرته الله؟
قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: وهم أنصار المسيح وخلص أصحابه، وأول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلا: نحن أنصار دين الله، ومؤيدوك ومؤازروك فيما أرسلت به، فبعثهم دعاة إلى دينه في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين.

﴿ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ﴾: أي لما بلغ عيسى عليه السلام رسالة ربه إلى قومه، وأزره الحواريون، اهتدت طائفة من بني إسرائيل إلى الإيمان الحق وآمنوا بعيسى عليه السلام على حقيقته أنه عبد الله ورسوله، وضلت طائفة أخرى، وكفرت بعيسى عليه السلام، وجحدوا نبوته، واتهموه وأمه بالفاحشة، وتغالت جماعة أخرى من أتباعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، فوصفوه بأنه ابن الله أو هو الله أو ثالث ثلاثة: الأب والابن وروح القدس. وصارت النصرى فرقا وأحزابا كثيرة.

﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ، فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ أي: فنصرنا المؤمنين على من عاداهم من فرق النصرى، وقوينا المحققين منهم بالحجة والروح من عندنا على المبطلين، فأصبحوا عالين غالبين عليهم، كما قال ﷺ: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [غافر: ٤٠ - ٥١] (١).

وقوله ﷺ: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢]، ومعنى أحس علم من جهة الحواس بما سمع من أقوالهم في تكذيبه ورأى من قرائن الأحوال وشدة العداوة والإعراض يقال أحسست بالشيء وحسيت به أصله

(١) انظر: التفسير المنير: وهبة الزحيلي (١٧٨/٢٨).

حسست فأبدلت إحدى السينين ياء، والكفر هو التكذيب به وروي أنه رأى منهم إرادة قتله فحينئذ طلب النصر والضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾: لبني إسرائيل وقوله ﷺ: ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ عبارة من حال عيسى عليه السلام في طلبه من يقوم بالدين ويؤمن بالشرع ويحميه كما كان محمد ﷺ يعرض نفسه على القبائل ويتعرض للأحياء في المواسم وهذه الأفعال كلها وما فيها من أقوال يعبر عنها يقال ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ يحتمل معنيين أحدهما من ينصرتني في السبيل إلى الله فتكون إلى دالة على الغاية دلالة ظاهرة على بابها، والمعنى الثاني أن يكون التقدير من يضيف نصرته إلى نصرته الله لي.

﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾ قوم مر بهم عيسى عليه السلام فدعاهم إلى نصره وإتباع ملته فأجابوه وقاموا بذلك خير قيام وصبروا في ذات الله وروي أنه مر بهم وهم يصطادون السمك واختلف الناس لم قيل لهم الحواريون، فقيل، سمو بذلك لبياض ثيابهم ونقائها، وقيل سمو بذلك لأنهم كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها، وقيل الحواريون أصفياء الأنبياء الذين تصلح لهم الخلافة، وقيل أن مريم دفعت عيسى عليه السلام في صغره في أعمال شتى وكان آخر ما دفعته إلى الحواريين وهم الذين يقصرون الثياب ثم يصبغونها فأراهم آيات وصبغ لهم ألوانا شتى من ماء واحد^(١).

المطلب الثالث

تلبية رغبات وطلبات قومه

طلب قوم عيسى عليه السلام منه إنزال مائدة من السماء، وذلك كما جاء في قوله ﷺ: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ سَتُطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئَنَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا وَأَخْرِنَا وَأَيَّةً مِنْكَ وَامْرُؤُنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّائِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٢-١١٤].

أي: مائدة فيها طعام، وهذا ليس منهم عن شك في قدرة الله، واستطاعته على ذلك. وإنما ذلك من باب العرض والأدب منهم.

ولما كان سؤال آيات الاقتراح منافيا للانقياد للحق، وكان هذا الكلام الصادر من الحواريين ربما أوهم ذلك، وعظهم عيسى عليه السلام فقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن المؤمن يحمله ما معه من الإيمان على ملازمة التقوى، وأن ينقاد لأمر الله، ولا يطلب من آيات الاقتراح التي لا يدري ما يكون بعدها شيئا^(٢).

(١) المحرر الوجيز: بن عطية (٤٤٣/١) بتصريف

(٢) تيسير الكريم الرحمن: السعدي (٢٤٨/١).

فأخبر الحواريون أنهم ليس مقصودهم هذا المعنى، وإنما لهم مقاصد صالحة، ولأجل الحاجة إلى ذلك ﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا ﴾ وهذا دليل على أنهم محتاجون لها، ﴿ وَطَمَّئِنَّا قُلُوبَنَا ﴾ بالإيمان حين نرى الآيات العينية، فيكون الإيمان عين اليقين، كما كان قبل ذلك علم اليقين. كما سأل الخليل عليه السلام ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ﴿ قَالَ أَوْ لِمَ تُؤْمِنُ قَالِ بَلَىٰ وَكَانَ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فالعبد محتاج إلى زيادة العلم واليقين والإيمان كل وقت، ولهذا قال: { وَتَعْلَمُ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا } أي: نعم صدق ما جئت به، أنه حق وصدق، ﴿ وَكَوْنُ عَلَيَّهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ فتكون مصلحة لمن بعدنا، نشهدها لك، فتقوم الحجة، ويحصل زيادة البرهان بذلك.

فلما سمع عيسى عليه السلام ذلك، وعلم مقصودهم، أجابهم إلى طلبهم في ذلك، فقال: ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ﴾ أي: يكون وقت نزولها عيداً وموسماً، يتذكر به هذه الآية العظيمة، فتحفظ ولا تنسى على مرور الأوقات وتكرر السنين.

كما جعل الله سبحان الله أعياد المسلمين ومناسكهم مذكراً لآياته، ومنبها على سنن المرسلين وطرقهم القويمية، وفضله وإحسانه عليهم. ﴿ وَأَمْرُنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّامِقِينَ ﴾ أي: اجعلها لنا رزقاً، فسأل عيسى عليه السلام أن تكون لهاتين المصلحتين، مصلحة الدين بأن تكون آية باقية، ومصلحة الدنيا، وهي أن تكون رزقاً^(١).

(١) تفسير الكريم الرحمن: السعدي (١/٢٤٩).

المبحث الخامس

منهج محمد ﷺ في دعوة المعرضين

لقد اتصل رسول الله محمد ﷺ اتصالاً شخصياً بقومه، وعرض نفسه على قبائل العرب، ورحل من أجل تبليغ الدعوة، وسلك رسول الله ﷺ كل طريق سليم لتبليغ دعوة الله ﷻ على الوجه الأكمل، وسلك قومه في المقابل كل طريق يخطر بالبال ليثتوه عن القيام بأمر الله ﷻ، ويصدوه عن تبليغ دعوة الله تعالى.

فقد قام بجمع قومه ليبليغهم، وأرسل رسل من أصحابه نيابة عنه لتبليغ الدعوة، واستقدم الوفود ليأخذوا عنه ويرجعوا مبلغين، وراسل الأمراء والملوك داعياً لهم إلى الله وكلف أصحابه أن يتعلموا ويعلموا، وأمر جنده ألا يحاربوا قبل أن يدعوا إلى الإسلام، ثم حمل جميع المسلمين أمانة البلاغ ليبليغوا العالم دعوة الله ﷻ؛ حتى لا يبقى أحد من البشر إلا وقد بلغ، وقامت عليه الحجة، وفي المقابل ما ترك الآخرون طريقاً إلا سلكوه لإنهاء الدعوة والداعية... فقد سلكوا طريق الإيذاء له ولأتباعه ليثتوه عن التبليغ فما فعل، وسلكوا طريق الإغراء ليثتوه عن التبليغ فما فعل، وسلكوا طريق الضغط العائلي ليثتوه عن التبليغ فما فعل، وسلكوا طريق الاستهزاء والإعراض والسخرية والاتهامات ليثتوه عن التبليغ فما فعل، وسلكوا معه طريق المقاطعة الشاملة له ولمن أزره ليثتوه عن التبليغ فما فعل، وقرروا قتله وملاحقته ليثتوه عن التبليغ فما فعل.

وطال الزمن والمستجيبون قليلون، والجميع يحاولون إيئاسه واستمر، ثم حاربوه ليستأصلوه دعوته ويستأصلوه وصبر واستمر رغم هذا كله، ثم انتصر وانتصر دينه.

منهج النبي محمد ﷺ في الدعوة إلى الله

هذا ويتمثل منهج الرسول محمد ﷺ في دعوته بالمنهج التالي:

المطلب الأول

الدعوة إلى الله علي بصيرة وبقين

والدعوة إلى الله علي بصيرة هي: إبلاغ الناس دعوة الإسلام في كل عصر وحين بالأساليب والوسائل التي تناسب طبيعة العصر الذي يعيشون فيه، والهدف من ذلك:

- 1- تبصير الناس بحقيقة دينهم.
- 2- تبليغ الإسلام لغير المسلمين لينعموا بما فيه من خير وعدل ومساواة.

أولاً: التبليغ بالقول:

1- الحكمة 2- الموعظة الحسنة 3- المجادلة بالتّي هي أحسن.

ثانياً: التبليغ العملي: وذلك بتطبيق المبادئ "السيرة الحسنة".

وذلك كما في قوله ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

أي قل يا محمد هذه طريقتي وسنتي ومنهجي ودعوتي وديني ملتزما بالدعوة إليها أنا ومن سار معي علي نفس الدرب لأنها هي السبيل المؤدي إلي مرضاة الله والجنة، والسير علي هذا الطريق يحتاج إلي تسبيح وتحميد حتى يحفظه الله^(١)
المطلب الثاني

الدعوة إلي الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة

البصيرة أن يدعو الإنسان بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَاتِّبِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

لما أمر الله ﷻ محمداً ﷺ باتباع إبراهيم عليه السلام بين الشيء الذي أمره بمتابعته فيه فقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ .

وأن الله ﷻ أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي: الحكمة-والموعظة الحسنة- والمجادلة بالطريق الأحسن، وقد ذكر الله ﷻ هذا الجدل في آية أخرى فقال: ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَاتِّبِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ولما ذكر الله ﷻ هذه الطرق الثلاثة وعطف بعضها على بعض وجب أن تكون طرقاً متغايرة متباينة في الدعوة إلي الله لتحقيق الهداية وهو الهدف الأسمى من الدعوة.

يقول الزحيلي في تفسيره للآية: " ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ...﴾ الدعوة إلي دين الله وتوحيده أو الإعلام بها أمر ضروري للعلم بها، لذا كانت هي المهمة الأساسية للرسول عليهم السلام، فأمر الله رسوله ﷺ أن يدعو الناس إلي الله بالحكمة قائلاً: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ...﴾ أي: ادع أيها الرسول الناس إلي شريعة ربك، وهي الإسلام بالحكمة، أي بالقول المحكم، والموعظة الحسنة، أي: بالعبر والزواجر التي تؤثر بها في قلوبهم، ذكّروهم بها ليحذروا بأس الله ﷻ.

﴿وَجَادِلْهُمْ بَاتِّبِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها، ومن احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، واصفح عن أساء في القول، وترفق بهم في الخطاب، وقابل السوء بالحسنى، واقصد من الجدال الوصول إلي الحق، دون

(١) تفسير القرطبي: القرطبي (٢٧٤/٩) بتصرف.

رفع الصوت، وسب الخصم أو الأذى، كما قال ﷺ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ الآية [العنكبوت: ٢٩ - ٤٦] .

فهذا أمرٌ للنبي ﷺ بلين الجانب ولطف الخطاب، كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه ٢٠] فعلى كل داعية امتثال هذا الأمر الإلهي في دعوته^(١).

المطلب الثالث

عدم استخدام الغلظة والغلظة في الدعوة

فقد كان من منهجه ﷺ اللين في الدعوة إلى الله ﷻ وعدم استخدام أساليب التنفير كالغلظة والغلظة، وذلك كما في قوله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران ١٥٩].

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ أي: فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والتنبيه والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اعتم لهم بعد أن خالفوه ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ سيء الخلق جافيا ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ قاسيه {لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك {وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ} فيما لله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي في أمر الحرب إذ الكلام فيه أو فيما يصح أن يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطيبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة في للأمة ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ فإذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك فإنه لا يعلمه سواه وقرىء ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على التكلم أي فإذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل على الله ولا تشاور فيه أحدا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فينصرهم ويهديهم إلى الصلاح^(٢).

(١) التفسير المنير: الزحيلي (٢٧٠/١٤)

(٢) تفسير البيضاوي: البيضاوي (١٠٨/١).

المطلب الرابع

استخدام الرأفة والرحمة بمن يدعوهم والحرص عليهم

فكما أنه ﷺ يستخدم أسلوب اللين في دعوته لقومه وعشيرته، كذلك كان يستخدم أسلوب الرحمة بمن يدعوهم ويحرص عليهم، وذلك كما جاء في قوله ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾: الخطاب للعرب، ﴿رَسُولٌ﴾: أي رسول عظيم الشأن، ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾: من جنسكم عربي قرشي مثلكم وقرئ بفتح الفاء أي أشرفكم وأفضلكم، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: أي شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾: في إيمانكم وصلاح حالكم، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: منكم ومن غيركم ﴿رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: قدم الأبلغ منهما وهي الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل، فإن تولوا تلوين للخطاب وتوجيه له إلى النبي ﷺ تسلية له أي إن أعرضوا عن الإيمان بك^(١).

ولقد أرسل الرسول رحمة للعالمين جميعاً، فقد كان رحمة للإنس والجن والطيور والحيوان والنبات والجماد، فهو النعمة المهداة والرحمة المسداة والسراج المنير، وقد وصفه الله في كتابه العزيز ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مَبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٦].

وقوله ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مَرَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] يعني وما بعثناك يا محمد ﷺ إلا رحمة للعالمين يعني نعمة للجن والإنس ويقال ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي: لجميع الخلق لأن الناس كانوا ثلاث أصناف مؤمن وكافر ومنافق وكان رحمة للمؤمنين حيث هداهم طريق الجنة ورحمة للمنافقين حيث أمنوا القتل ورحمة للكافرين بتأخير العذاب ، عن ابن عباس قال من آمن بالله ورسوله فله الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي أن يصيبه ما كان يصيب الأمم قبل ذلك فهو رحمة للمؤمنين والكافرين وذكر في الخبر أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام يقول الله ﷻ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مَرَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ فهل أصابك من هذه الرحمة قال نعم أصابني من هذه الرحمة أنني كنت أخشى عاقبة الأمر فأمنت بك لثناء أثنى الله ﷻ علي بقوله عز وجل: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠-٢١]^(٢).

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود (١١٤/٤).

(٢) بحر العلوم: السمرقندي ، باب سورة الأنبياء (٤٤٥/٢).

ومن الآيات الواردة الدالة على رحمة الرسول ﷺ ودعوة أصحابه إلى الرحمة والتراحم فيما بينهم، قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ مِرْحَمًا بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩].

لما أخبر ﷺ أنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله شهادة منه بذلك أخبر أيضا عنه بما يؤكد تلك الشهادة فقال ﷺ: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ من أصحابه ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ أي غلاظ قساة عليهم، وذلك لأمرين الأول أنهم كفروا بالله وعادوه ولم يؤمنوا به ولم يجيبوه، والله ييغضهم لذلك فهم إذا غلاظ عليهم لذلك والثاني أن الغلظة والشدة قد تكون سببا في هدايتهم لأنهم يتألمون بها، ويرون خلافا مع المسلمين فيسلمون فيرحمون ويفوزون. وقوله تعالى ﴿ مِرْحَمًا بَيْنَهُمْ ﴾ أي فيما بينهم يتعاطفون يتراحمون فترى أحدهم يكره أن يمس جسمه أو ثوبه جسم الكافر أو ثوبه، وتره مع المسلم إذا رآه صافحه وعانقه ولاطفه وأعاناه وأظهر له الحب والود. (١).

وقوله ﷺ: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مِنَ الْيَسَاءِ وَيَهْدِي مِنْ يَشَاءِ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨]، في الآية تسلية لرسول الله ﷺ حيث حزن من إصرارهم بعد إتيانه بكل آية ظاهرة وحجة باهرة فقال: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ كما قال ﷺ: ﴿ فَلَمَّا بَاخَعُ نَفْسُكَ عَلَى آثَامِهِمْ ﴾ [الكهف: ٦].

ثم بين أن حزنه إن كان لما بهم من الضلال فانه ﷺ عالم بهم وبما يصنعون لو أراد إيمانهم وإحسانهم لصدهم عن الضلال وردهم عن الإضلال، وإن كان لما به منهم من الإيذاء فانه عالم بفعله يجازيهم على ما يصنعون (٢).

ومن الأحاديث الدالة على رحمة الرسول ﷺ قوله: [ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء] (٣).

(١) أيسر التفاسير: أبو بكر الجزائري (١١٨/٥).

(٢) تفسير الفخر الرازي: الرازي (٢٢٧/٢٥).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الطهارة، باب: ما جاء في نضح بول الغلام قبل أن يطعم رقم (١٨٣٦٢)، (٤٨٣/٣)، أخرجه البيهقي في سننه، كتاب: السير، باب: ما علي الوالي من أمر الجيش، (٤١/٩) رقم (١٨٣٦٢) حققه الألباني فقال: صحيح.

وقوله ﷺ : [أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر، ونبى التوبة، ونبى الرحمة] (١).

المطلب الخامس

الصبر على الإيذاء

لم يفتر المشركون عن أذى رسول الله ﷺ، منذ أن صدع بدعوته إلى أن خرج من بين أظهرهم، وأظهره الله عليهم، ويدل على مبلغ هذا الأذى تلك الآيات الكثيرة التي كانت تنزل عليه في هذه الفترة تأمره بالصبر، وتدله على وسائله وتتهاه عن الحزن، وتضرب له أمثلة من واقع إخوانه المرسلين، مثل قوله ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]، وقوله ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطَعِ مِنْهُمْ أَثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]، وقوله ﷺ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٠]، وقوله ﷺ: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣].

ويتمثل صبر رسول الله على إيذاء كفار قريش له بعدة صور وهي كالتالي:

الصورة الأولى: صبره على اتهامه بالجنون:

ولقد وردت العديد من الآيات التي تبين اتهامه بالجنون من كفار قريش ومن ذلك قوله ﷺ: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ [الدخان: ١٤]، ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]. ولقد نفي الله ﷺ عنه ذلك الاتهام وبرئه مما قالوا عنه ﷺ، وذلك في قوله ﷺ: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]. وقوله ﷺ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]، وقوله ﷺ: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

الصورة الثانية: صبره على اتهامه بأنه ساحر:

يقول الله ﷻ: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس: ٢]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٢].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: في أسمائه ﷺ (٨١/٤)، رقم (٦٢٥٤).

وقد أنكر الله ﷺ عليهم ذلك فقال: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

وقوله ﷺ: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذِ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَبِعُونَ إِلَّا مَرْجَلًا مَّسْحُورًا﴾ انظر كيف ضروا لك الأمثال فاضلوا فلا يستطيعون سبيلاً ﴿[الإسراء: ٤٧ - ٤٨]، وكانت الآيات تنزل على رسول الله ﷺ تفند مزاعم المشركين، وتبين له أن الرسل السابقين استهزئ بهم، وأن العذاب عاقبة المستهزئين: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكُمْ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]، وتعلمه أن المشركين لا يكذبون شخصه، ولكنهم يكذبون رسالته.

الصورة الثالثة: صبره على اتهامه ﷺ بالكذب:

وذلك متمثلاً بقوله ﷺ مخبراً عن ذلك: ﴿أَوْلَيْي الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾ [القمر: ٢٥]، ولكن الله ﷺ يدافع عن رسوله الكريم ﷺ فيقول: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ الْأَشْرِ﴾ [القمر: ٢٦].

الصورة الرابعة: صبره على اتهامه ﷺ بأنه كاهن:

لقد اتهم كفار قريش رسول الله ﷺ بأنه كاهن ومع ذلك نفى الله عنه هذا الاتهام فقال جل وعلا: ﴿فَذَكَرْنَا أَنْتَ نِعْمَةَ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَكَأَمْجُونٍ﴾ [الطور: ٢٩]، وقوله ﷺ: ﴿وَمَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٢].

الصورة الخامسة: صبره على اتهامه ﷺ بأنه شاعر:

لقد اتهم كفار قريش رسول الله ﷺ بأنه شاعر فقال جل وعلا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَّخِذُ بِهِ مَرْبِّبَ الْمُتُونِ﴾ [الطور: ٢٦]. ومع ذلك نفى الله ﷺ عنه هذا الاتهام بقوله ﷺ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١]^(١).

الصورة السادسة: صبره ﷺ على الأذى الجسدي:

لقد صبر رسول الله ﷺ على إيذاء كفار قريش ولقد وردت العديد من الأحداث والقصص التي توضح ما حدث مع النبي ﷺ ومن ذلك: قال الإمام أحمد: عن عبد الله قال: ما رأيت رسول الله ﷺ دعا على قريش غير يوم واحد فإنه كان يصلي و رهن من قريش جلوس و سلا جزور قريب

(١) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (٣٢٢/٧).

منه فقالوا : من يأخذ هذه السلا فيلقيه على ظهره ؟ فقال عقبة بن أبي معيط : أنا فأخذه فألقاه على ظهره فلم يزل ساجدا حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره فقال رسول الله ﷺ : اللهم عليك بهذا الملاء من قريش اللهم عليك بعنبة بن ربيعة اللهم عليك بشيبة بن ربيعة اللهم عليك بأبي جهل بن هشام اللهم عليك بعقبة ابن أبي معيط اللهم عليك بأبي بن خلف، أو أمية بن خلف (١).

ذكر البخاري عن عروة بن الزبير سألت ابن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني أشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ .

قال : بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه و دفعه عن النبي صلى الله عليه و سلم و قال : ﴿ أقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴾ الآية [غافر: ٢٨].

عن جابر بن عبد الله أن رجلا من بني محارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمدا ؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: افتك به ... قال فأقبل إلى رسول الله ﷺ (وهو جالس وسيف رسول الله) في حجره فقال: يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال: نعم .. فأخذه ثم جعل يهزه ويهم فكبته الله ثم قال : يا محمد، أما تخافني ؟ قال: لا ما أخاف منك. قال أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال: لا يمنعني الله منك . ثم عمد إلى سيف النبي (فرده عليه... فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَّا يَسْطُونَ إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَكُمْ وَأَتَوْا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة: ١١].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْيَهُودِ أَهْدَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ شاةً مَسْمُومَةً - قَالَ - فَمَا عَرَضَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَ أَبُو دَاوُدَ هَذِهِ أُخْتُ مَرْحَبِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي سَمَّتِ النَّبِيَّ ﷺ [٢].

عن منبب الأزدي قال: " رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية وهو يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فمنهم من تفل في وجهه ومنهم من حثا عليه التراب ومنهم من سبه حتى انتصف النهار، فأقبلت جارية بعس من ماء فغسل وجهه ويديه وقال: يا بنية لا تخشي على أبيك غيلة ولا ذلة، فقلت: من هذه ؟ قالوا : زينب بنت رسول الله ﷺ [٣].

قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا فُرِيضًا أَرَادُوا قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا يَوْمًا انْتَمَرُوا بِهِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي

(١) سيرة ابن كثير: ابن كثير (٤٦٨/١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الديات باب: فيمن سقى رجلا سما أو أطعمه فمات أيقاد منه، (٢٩٤/٤) رقم (٤٥١١).

(٣) جامع الأحاديث: جلال الدين السيوطي (١٣١/٣٨).

ظِلُّ الْكَعْبَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَجَعَلَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ، ثُمَّ جَذَبَهُ حَتَّى وَجَبَ لِرُكْبَتِهِ سَاقِطًا وَتَصَاحَى النَّاسُ، وَظَنُّوا أَنَّهُ مَقْتُولٌ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ يَنْشُدُ حَتَّى أَخَذَ بِضَبْعَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ ائْتَلُونِ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾، ثُمَّ انصَرَفُوا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ مَرَّ بِهِمْ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ إِلَّا بِالذَّبْحِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: يَا مُحَمَّدُ، مَا كُنْتَ جَهولًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْتَ مِنْهُمْ (١).

وذكر في البداية عن موسى بن عقبة: " وقعد له أهل الطائف صفين على طريقه، فلما مر جعلوا لا يرفع رجله ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموه فخلص منهم وهما يسيلان الدماء (٢).

كان أبو لهب عم النبي ﷺ من أشد الناس عداوة له، وكذلك كانت امرأته أم جميل من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، وكانت تسعى بالإفساد بينه وبين الناس بالنميمة، وتضع الشوك في طريقه، والقذر على بابه فلا عجب، أن نزل فيهما قول الله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد: ١-٥]، فحين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أنت رسول الله ﷺ وهو جالس عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فهر من حجارة، فلما وقفت عليهما قالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه. ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: «لقد أخذ الله ببصرها عني» (٣).

ومن الصور أيضاً الحصار و المقاطعة التي استمرت ثلاث سنين لا بيع ولا شراء ولا زواج ولا تزويج ولا طعام ولا شراب (٤).

فالداعية يجد له في سيرة رسول الله ﷺ أساليب الدعوة، ومراحلها المتسلسلة ويتعرف على الوسائل المناسبة لكل مرحلة من مراحلها، فيستفيد منها في اتصاله بالناس ودعوتهم للإسلام، ويستشعر الجهد العظيم الذي بذله رسول الله ﷺ من أجل إعلاء كلمة الله، وكيف التصرف أمام العوائق والعقبات، والصعوبات وما هو الموقف الصحيح أمام الشدائد والفتن؟ ويجد المربي في سيرته ﷺ نبوية

(١) هَذَا إِسْنَادٌ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، انظر: إتحاف الخيرة المهرة: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (٢٦٢/٦).

(٢) البداية والنهاية: لابن كثير (١٣٦/٣).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٤٣٤/٢).

(٤) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (٢٩٣/١).

في التربية والتأثير على الناس بشكل عام وعلى أصحابه الذين رباهم على يده وكأهم بعنايته، فأخرج منهم جيلاً قرآنياً فريداً وكوّن منهم أمة هي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، وأقام بهم دولة نشرت العدل في مشارق الأرض ومغاربها.

فما نحن فيه اليوم من وجود الحصار الظالم على قطاعنا الحبيب، خاصة في ظل وجود الصمت العربي والعالمي اتجاه القضية الفلسطينية، إلا صورة من معاناته ﷺ فما بعد العسر إلا اليسر وما بعد الضيق إلا الفرج ولنا اجر الرباط على هذه الأرض المقدسة بإذن الله عز وجل.

الفصل الثالث

التولي في ضوء القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تولي الرسل

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تولي نبي الله صالح عن قومه.

المطلب الثاني: تولي نبي الله يعقوب عن أبنائه.

المطلب الثالث: تولي نبي الله موسى إلى الظل.

المطلب الرابع: تولي محمد عن ابن أم مكتوم.

التولي في ضوء القرآن الكريم

المبحث الأول

تولي الرسل عليهم السلام

المطلب الأول

تولي نبي الله صالح عليه السلام عن قومه

لقد حفل القرآن الكريم بذكر قصة سيدنا صالح عليه السلام مع قومه وما لقيه من إعراضهم عن الحق، مما دعا صالحا عليه السلام للتولي والإعراض عن قومه وذلك متمثلا في قوله ﷺ: ﴿فَعَمَّرُوا النَّاقَةَ وَعَمَّوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف ٧٨-٧٩].

آراء المفسرين في تفسير الآية:

- قال البيضاوي في تفسيره للآية: " أن التولي عنهم كان بعد أن أبصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله ﷺ أهل قليب بدر وقال: (إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا أو ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم)"^(١).
- قال الواحدي في تفسيره للآية: " ﴿فتولى عنهم﴾ أعرض عنهم صالح بعد نزول العذاب بهم ﴿وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربِّي ونصحت لكم﴾ خوفتم عقاب الله وهذا كما خاطب رسول الله ﷺ قتل بدر"^(٢).
- قال أبو السعود في تفسيره للآية: "فتولى عنهم إثر ما شاهد ما جرى عليهم تولى مغتم متحسر على ما فاتهم من الإيمان متحزن عليهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك ،خاطبهم بذلك خطاب رسول الله ﷺ أهل قليب بدر حيث قال إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل إنما تولى عنهم

(١) تفسير البيضاوي (٣٧/١).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للواحدي (٤٠١/١).

قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته لعلاماته تولى ذاهب عنهم منكر لإصرارهم على ما هم عليه^(١).

قال سيد قطب في تفسيره للآية: "إنه الإشهاد على أمانة التبليغ والنصح؛ والبراءة من المصير الذي جلبوه لأنفسهم بالعتو والتكذيب"^(٢).

المطلب الثاني

تولى نبي الله يعقوب عليه السلام عن أبنائه

لقد ورد في القرآن الكريم تولى نبي الله يعقوب عليه السلام عن أبنائه وذلك في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته وذلك من خلال قول الله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٦﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٤-٨٦﴾ [يوسف: ٨٤-٨٦].

أراء العلماء في تفسير الآية:

وأعرض يعقوب عن بنيه، وقال متذكرا حزنه القديم على يوسف: (يا أسفا على يوسف)، وجدد له حزنه الجديد على ابنه الأصغر، حزنه الدفين على يوسف، وعميت عيناه ، وأصابتهما غشاوة بيضاء من كثرة البكاء، ولكنه كان يكظم غيظه على بنيه، ويحمل مصابه وهو صامت لا يشكو إلى مخلوق ما يعانيه^(٣).

وأعرض يعقوب عنهم، وقد ضاق صدره بما قالوه، وقال: يا حسرتنا على يوسف وابيضت عيناه، بذهاب سوادهما من شدة الحزن فهو ممتلئ القلب حزنا، ولكنه شديد الكتمان له^(٤).
وأعرض يعقوب عنهم؛ لما جاءوا به من خبر أحزنه، وخلا بنفسه، لأنه ببشريته تحسر على يوسف عليه السلام، ويدل على ذلك لفظ وا حزناه " أو " و أسفاه " أو " و امصبيتاه ؛ فهذا يعني أن النفس تضيق بالأحداث وأنه قال: ﴿يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ﴾ لأن أخاه بنيامين كان أشبه الناس به؛ فكان حزنه على يوسف عليه السلام طاقة من الهم نزلت به، وتبعثها طاقة هم أخرى، هي افتقاد بنيامين.

(١) تفسير أبي السعود (٣/٢٤٤).

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب (٣/٢٤٦).

(٣) أيسر التفاسير: أسعد حومد (١/١٦٨١).

(٤) التفسير الميسر: (٤/١٨٤).

أما الانفعالات فلا أحد قادر على أن يتحكم فيها، والجزع البالغ والحزن الشديد أمر إنساني عن الشدائد والمصائب وهو غير مذموم شرعاً إذا اقترن بالصبر، وضبط النفس حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن، ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم^(١).

قال صاحب الظلال في تفسيره للآية: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ "وهي صورة مؤثرة للوالد المفجوع، يحس أنه منفرد بهممه، وحيد بمصابه، لا تشاركه هذه القلوب التي حوله ولا تجاوبه، فينفرد في معزل، يندب فجيعة في ولده الحبيب. [يوسف] الذي لم ينسه، ولم تهون من مصيبتة السنون، والذي تذكره به نكبته الجديدة في أخيه الأصغر فتغلبه على صبره الجميل: ﴿يا أسفا على يوسف﴾، ويكظم الرجل حزنه ويتجلد فيؤثر هذا الكظم في أعصابه حتى تبيض عيناه حزناً وكمداً: ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾^(٢).

ويبلغ الحقد بقلوب بنيه ألا يرحموا ما به، وأن يلسع قلوبهم حنينه ليوسف وحزنه عليه ذلك الحزن الكامد الكظيم، فلا يسرون عنه، ولا يعزونه، ولا يعللونه بالرجاء، بل يريدون ليطمسوا في قلبه الشعاع الأخير: ﴿قالوا: تالله نفثا تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين!﴾

وهي كلمة حانقة مستنكرة، تالله تظل تذكر يوسف، ويهدك الحزن عليه و قد ذهب ولن يعود! أهكذا يخاطب الأبناء الكبار أباهم المفجوع؟ أبهذا القبح المستقبح يخاطبونه؟ أبهذه الغلظة والجلافة يعاملونه؟ لقد حق له إذن أن يعتزلهم، وأن لا يخبرهم بما يعاينه، وأن يكظم أحزانه وآلامه، ولو أثرت على أعصابه وحواسه^(٣).

ويرد عليهم الرجل بأن يتركوه لربه، فهو لا يشكو لأحد من خلقه وهو على صلة بربه غير صلتهم، ويعلم من حقيقته ما لا يعلمون^(٤).

• الخلاصة:

يتضح لنا مما سبق أن السبب في تولى نبي الله يعقوب عليه السلام عن أبنائه؛ أنه لم يشعر بمشاركتهم له في همومه وأحزانه ولم يجد موسياً ولا مؤانساً له لذلك أعرض وتولى عنهم.

(١) تفسير الشعراوي (٤٤٦٦/١) بتصرف.

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب (٤/٣٣٨-٣٤٠).

(٣) القصص القرآني: صلاح الخالدي (٢/٢٢٠).

(٤) في ظلال القرآن: سيد قطب (٤/٣٤٠).

تولى نبي الله موسى ﷺ إلى الظل

لقد لاقى نبي الله موسى ﷺ في سبيل الدعوة إلى الله ما لاقى، وبعد قتله القبطي خرج من مصر خائفاً يترقب، وحيداً طريداً مطارداً قال ﷺ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْتُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿ [القصص: ٢٤-٢٣]، لم يقعد موسى ﷺ الهارب المطارد المسافر المكدود، ليستريح في وقت القيظ والحر.

فعن عمر بن الخطاب: أن موسى لما ورد ماء مدين، وجد عليه أمة من الناس يسقون، قال: فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر، ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال، فإذا هو بامرأتين تذودان، قال: ما خطبكما؟ فحدثناه، فأتا الحجر فرفعه، ثم لم يستق إلا ذنوباً واحداً حتى رويت الغنم^(١).

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي: وحين ورد ماء مدين وهو بئر يسقي منها الناس مواشيهم ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ أي على الماء ﴿أُمَّةً مِنَ النَّاسِ﴾ أي جماعة كبيرة يسقون أنعامهم ومواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ﴾ وهما بنتا شعيب ﷺ ﴿تَذُودَانِ﴾ أي: تمنعان ماشيتهما من الاختلاط بمواشي الناس، فسألها لا تطفلاً وإنما حالهما دعاه إلى سؤالهما لأنه رأى الناس يسقون مواشيهم ويصدرون فوجاً بعد فوج والمرأتان قائمتان على ماشيتهما تذودانها عن الحوض حتى لا تختلط ولا تشرب فسألها لذلك قائلاً: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي ما شأنكما فأجابته قائلتين: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءَ﴾ لضعفنا وعدم رغبتنا في الاختلاط بالرجال ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقوى على سقي هذه الماشية بنفسه فنحن نسقيها ولكن بعد ما يصدر الرعاء ويبقى في الحوض ماء نسقي به، فلما عذرهما سقى لهما ماشيتهما ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ الذي كان جالساً تحته وهو ظل شجرة، وهو شجر صحراوي معروف يقال له السمر، ولما تولى إلى الظل سأل ربه الطعام لشدة جوعه إذ خرج من مصر بلا زاد ولا دليل ولولا حسن ظنه في ربه لما خرج هذا الخروج فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: طعام ﴿فَقِيرٌ﴾ أي محتاج إليه شدة الاحتياج، وفي أقرب ساعة وصلت البنتان إلى والدهما فسألها عن سبب عودتهما بسرعة فأخبرته^(٢)، فجاء الفرج بعد الشدة وأجاب الله طلبه فقال ﷺ: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ

(١) جامع الأحاديث، مسند العشرة، مسند عمر بن الخطاب، (٢٦ / ٣١٥) رقم (٢٩١٨٩)، وقال ابن كثير في التفسير (٢٣٧/٦) إسناده صحيح.

(٢) أيسر التفاسير: لأبي بكر الجزائري (٤/٦٥)، انظر: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/٣٧٢).

أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَنَّكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجَ فَبِئْسَ الْأَتْمَتُ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُمِرْتُ أَنْ أُشَقَّ عَلَيْكَ سَبْعِينَ لَيْلًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نُقُولُ وَكَافٍ ﴿٣١﴾ [القصص: ٢٨-٢٥].

فقد كان موسى عليه السلام في حاجة إلى الأمن، كما كان في حاجة إلى الطعام والشراب، ولكن حاجة نفسه إلى الأمن كانت أشد من حاجة جسمه إلى الزاد ومن ثم كان أول لفظ للشيخ الوقور: ﴿ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ فلا سلطان لهم على مدين، خرج خائفاً فأمنه الله، وكان جائعاً فرزقه الله، وكان وحيداً فريداً فأواه الله إلى ابنه الرجل الصالح شعيب عليه السلام.

المطلب الرابع

تولي النبي الله محمد ﷺ عن ابن أم مكتوم

لقد أرسل الله ﷺ نبيه محمد ﷺ ليكون للعالمين نذيراً فقال ﷺ: ﴿ وَمَا أُرْسِلُكُمْ إِلَّا مَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فكان النبي محمد ﷺ وهو خاتم الأنبياء والمرسلين لا يألوا جهداً في دعوة أهله وعشيرته من كفار قريش، وحينما جاءه الرجل الأعمى فاعرض عنه وعبس في وجهه فنزلت الآيات تعاتب النبي محمد ﷺ على ما حدث وبدر منه اتجاه الرجل الأعمى فقال ﷺ: ﴿ عَبَسَ وَتَوَكَّى ﴿ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿ وَمَا يُدْمِرُكَ لَعَلَّكَ تَبْرَكَ ﴾ ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿ أَمَا مَنْ اسْتَعْنَى ﴿ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا تَبْرَكَ ﴾ ﴿ وَأَمَا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿ وَهُوَ يَخْشَى ﴿ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ [عبس: ١-١٠].

اتفق المفسرون على أن الذي عبس هو الرسول ﷺ والأعمى هو: ابن أم مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الزهري، وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ وعنده صناديد قريش وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم، فقال ابن أم مكتوم: يا رسول الله ﷺ أقرئني وعلمني مما علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم شغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت الآيات، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه ويقول: إذا رآه: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ويقول له: هل لك من حاجة؟ واستخلفه على المدينة مرتين، وقال أنس: رأيت يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء^(١).

يقول سيد قطب في تفسيره للآيات: يتولى المقطع الأول منها علاج حادث معين من حوات السيرة: كان النبي ﷺ مشغولاً بأمر جماعة من كبراء قريش يدعوهم إلى الإسلام حينما جاءه ابن أم

(١) تفسير النيسابوري (٢٧١/٧)، لباب النقول في أسباب النزول: السيوطي (ص ٣٦٠).

مكتوم الرجل الأعمى الفقير وهو لا يعلم أنه مشغول بأمر القوم يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله، فكره رسول الله ﷺ هذا وعبس وجهه وأعرض عنه، فنزل القرآن بصدر هذه السورة يعاتب الرسول ﷺ عتاباً شديداً؛ ويقرر حقيقة القيم في حياة الجماعة المسلمة في أسلوب قوي حاسم، كما يقرر حقيقة هذه الدعوة وطبيعتها^(١).

الخلاصة:

مما سبق يتضح بان السبب في تولى النبي محمد ﷺ عن ابن أم مكتوم وإعراضه عنه كان لانشغاله بدعوة زعماء قريش للإسلام؛ لأن بإسلامهم سيتم إسلام كثير من كفار قريش، ومع ذلك جاء العتاب الرباني له لان المؤمن هو الأفضل وهو الذي ينبغي أن نعطيه الاهتمام والوقوف إلى جانبه، لأنه يسمع الآيات ويعمل بها بعكس الكافرين حيث يقول ﷺ: ﴿وَمَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وقوله ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَمَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا نُنَاطِعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب (٤٥١/٧).

المبحث الثاني

تولي الأَقوام والمفسدين عن رسالهم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تولي الأَقوام.

أولاً: تولي قوم بني إسرائيل عن القتال مع أنبيائهم

ثانياً: تولي فرعون عن موسى عليه السلام

المطلب الثاني: تولي المفسدين:

أولاً: تولي أبي جهل.

ثانياً: تولي الوليد بن المغيرة.

المبحث الثاني

تولي الأَقوام والمفسدين عن رسلم

المطلب الأول

تولي الأَقوام

أولاً: تولي قوم بني إسرائيل عن القتال مع أنبيائهم:

لقد اثبت اليهود على مر التاريخ أنهم القوم المعاندين لدعوة الله ﷻ في الأرض، كيف لا والقرآن الكريم تحدث عن إعراضهم وتوليهم عن القتال مع أبناءهم، ويتضح ذلك جلياً حينما فرض عليهم الجهاد تولوا إلا قليلاً منهم، لينبئوا بذلك أنهم القوم المعاندين الذين رفضوا نعمة الله ﷻ عليهم على مر التاريخ.

يقول الحق ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلِكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

ومعنى قوله ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ يعني: "الرؤساء والقادة" وقال بعضهم: اشتقاق الملاء في اللغة من الملاء هو الجماعة التي تملأ باديتهم"، وقال بعضهم: "الناظر إذا نظر إليهم امتلاء عينه هيبة منهم وذلك أن كفار بني إسرائيل قهروا مؤمنهم فقتلوهم وسبوهم وأخرجوهم من ديارهم وكان رئيسهم جالوت فلما اضطر المسلمون في ذلك جاؤوا إلى نبي لهم يقال له أشمويل بن هلقانا الكليلي البلغة العبرانية وبالعربية إسماعيل بن هلقان ﴿ إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ ﴾ يعني أشمويل ﴿ ابعثْ لَنَا مَلِكًا ﴾ يعني ادع الله ﷻ لنا أن يجعل لنا ملكا ﴿ نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ " قال " لهم أشمويل ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾ يعني: إذا بعث الله لكم ملكاً وفرض عليكم القتال لعلكم لا تقاتلون وتجنبون عن القتال " ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يقول: كيف لا نقاتل في سبيل الله ﴿ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ ﴾ ثم حكى القرآن ردهم على نبيهم فقال ﷻ: ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَنَا ﴾ ، أي: قال الملاء من بني إسرائيل على سبيل الإنكار والتعجب مما قاله نبيهم: وأي صارف يصرفنا عن القتال وحالنا كما نرى؟ إننا قد أخرجنا من ديارنا وجيل بيننا وبين أبنائنا وقلوبنا فكيف لا نقاتل مع أن الدواعي موجودة، والبواعث متوفرة، والأسباب مهيئة؟ فأنت تراهم في إجابتهم هذه يستنكرون ما توقعه نبيهم منهم، ويجزمون بأن الطريق الوحيد لعزتهم إنما هو القتال وأن هذا الأمر لا مراجعة فيه ولا

(١) قصص القرآن الكريم: فضل حسن عباس (ص ٢٢١).

جدال، وهكذا شأن الجبناء والمغرورين في كل زمان ومكان يرحبون بالمعارك قبل قدومها فإذا ما جد الجد كذبت أعمالهم أقوالهم، وأعطوا أدبارهم لأعدائهم!

ثم حكى القرآن أن نبيهم كان صادقاً فيما توقعه منهم من جبن وكذب ، وأنهم قوم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فقال الله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ أي: فحين فرض عليهم القتال بعد أن الحوا في طلبه، أعرضوا عنه، ونفروا منه إلا عدداً قليلاً منهم فإنه ثبت على الحق، ووفى بعهده.

قال سيد طنطاوي: وقوله ﷻ: ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ وهم الذين جاوزوا النهر وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر عدة أهل بدر^(١).

ثم ختم الله ﷻ: ﴿ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ أي: [الذين يظلمون أنفسهم وأمتهم بترك الجهاد، ويترك ما أمرهم الله به بعد أن عاهدوه على عدم الترك]، ﴿ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ يعني أن الله تعالى يعلم جزاء من تولى عن القتال^(٢)، ﴿ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي أقوالهم أفعالهم^(٣).

فجبن بني إسرائيل وحرصهم على الحياة وفرارهم عند القتال وعدم جرأتهم على القتال إلا من وراء الحصون، ويتمنون أن يعمرؤا علمهم ينجون من العذاب ولكن لا نجاة، وذلك كما جاء في قول الله ﷻ: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُمْ آخِرَ صَافِئَاتِ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِيهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٩٦].

المطلب الثاني

تولي فرعون عن موسى عليه السلام

يقول الحق ﷻ: ﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾ قال أجستنا لتخرجنا من أرضنا بسحريك يا موسى ﴿ فَلَمَّا آتَيْنَاكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ﴾ قال موعداكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ قال لهم موسى ويلكم لا تقترؤا على الله كذباً فيسحتكم بعداب وقد حاب من افتري ﴿ فَتَنَّا زُفْرًا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴾ [طه: ٥٦-٦٢].

(١) التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي (٤٥٣/١).

(٢) بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (١٨٧/١).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: محمد بن محمد العمادي أبو السعود (٢٣٩/١).

تحدث الآيات الكريمة عن الحوار بين موسى وهارون من جهة، وفرعون وملائه من جهة أخرى فقال ﷺ: ﴿ وَقَدْ أَمَرْتَاهُ ﴾ أي: أرينا فرعون ﴿ آيَاتِنَا كُلَّهَا ﴾ أي: أدلتنا وحججنا على أن موسى وهارون رسولان من قبلنا أرسلناهما إليه، فكذب برسالتهما وأبى الاعتراف بهما، وقال ما أخبر تعالى به عنه: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا ﴾ أي يا موسى ﴿ لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ أي منازلنا وديارنا ومملكتنا ﴿ بِسِحْرِكَ ﴾ الذي انقلبت به عصاك حية تسعى، ﴿ فَلَمَّا تَيَسَّرَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ﴾ نتقابل فيه، ﴿ لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَكَأَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ﴾ عدلاً بيننا وبينك يكون من الاعتدال والاتساع بحيث كل من ينظر إليه يرى ما يجرى فيه من المباراة بيننا وبينك. فأجاب موسى بما أخبر تعالى به عنه فقال: ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ ﴾ وهو يوم عيد للأقباط يتجملون فيه ويقعدون عن العمل، ﴿ وَأَنْ يُخْشِرَ النَّاسَ ضُحًى ﴾ أي في يوم يجمع فيه الناس ضحى للفرج في المباراة من كل أنحاء المملكة وهنا تولى فرعون بمعنى انصرف من مجلس المحاوره وكله كبر وعناد فجمع قواته من السحرة لإنفاذ كيده في موسى وهارون. وفي الآيات التالية تظهر الحقيقة.

ما زال السياق في الحوار الدائر بين موسى ﷺ والسحرة الذين جمعهم للمباراة فأخبر تعالى عن موسى أنه قال لهم مخوفا إياهم علمهم يتوبون: ﴿ وَيَلَاكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا ﴾ أي: لا تقولوا على الله فتنسبوا إليه ما هو كذب ﴿ فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ ﴾ أي يهلككم بعذاب إبادة واستئصال، ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ اقْتَرَى ﴾ أي خسر من كذب على الله أو على الناس. ولما سمعوا كلام موسى هذا اختلفوا فيما بينهم هل صاحب هذا الكلام ساحر أو هو كلام رسول من في السماء؟ وهو ما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾ وقوله ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴾ أي أخفوا ما تناجوا به بينهم^(١).

• أقوال العلماء في تفسير الآيات:

يقول الرازي في تفسيره للآية: " قوله ﷺ: ﴿ قَتَلَى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ فاعلم أن التولي قد يكون إعراضاً وقد يكون انصرافاً والظاهر ههنا أنه بمعنى الانصراف وهو مفارقتة موسى ﷺ على الموعد الذي تواعدوا للاجتماع (فيه)، قال مقاتل: فتولى أي أعرض وثبت على إعراضه عن الحق ودخل تحت قوله: ﴿ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ﴾ السحرة وسائر من يجتمع لذلك ويدخل فيه الآلات وسائر ما أوردته السحرة ﴿ ثُمَّ أَتَى ﴾ دخل تحت أتى الموضع بالسحرة وبالقوم وبالآلات قال ابن عباس: كانوا اثنين وسبعين ساحراً مع كل واحد منهم حبل وعصا وقيل كانوا أربعمائة وقيل أكثر من ذلك ثم ضربت

(١) انظر: أيسر التفاسير: أبو بكر الجزائري (٣/٣٥٦-٣٥٧).

لفرعون قبة فجلس فيها ينظر إليهم وكان طول القبة سبعين ذراعاً ثم بين تعالى أن موسى عليه السلام قدم قبل كل شيء الوعيد والتحذير مما قالوه وأقدموا عليه فقال: ﴿وَبَلَّغْنَاكَ اللَّهُ كَذِبًا﴾ بأن تزعموا بأن الذي جئت به ليس بحق وأنه سحر فيمكنكم معارضتي^(١).

يقول السعدي في تفسيره للآيات: " يخبر تعالى، أنه أرى فرعون من الآيات والعبر والقواطع، جميع أنواعها العيانية، والأفقية والنفسية، فما استقام، وإنما كذب وتولى، كذب الخبر، وتولى عن الأمر والنهي، وجعل الحق باطلاً والباطل حقاً، وجادل بالباطل ليضل الناس، فقال: ﴿أَجِئْنَا لَتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ﴾ زعم أن هذه الآيات التي أراه إياها موسى، سحر وتمويه، المقصود منها إخراجهم من أرضهم، والاستيلاء عليها، ليكون كلامه مؤثراً في قلوب قومه، فإن الطباع تميل إلى أوطانها، ويصعب عليها الخروج منها ومفارقتها.

فأخبرهم أن هدف موسى عليه السلام هو إخراج الناس من أرضهم باستخدامه للسحر وهذا اتهام باطل^(٢).

يقول سيد قطب: وهكذا طلب فرعون إلى موسى عليه السلام تحديد موعد للمباراة مع السحرة .. وترك له اختيار ذلك الموعد: للتحدي: ﴿فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ وشدد عليه في عدم إخلاف الموعد زيادة في التحدي ﴿لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾ وأن يكون الموعد في مكان مفتوح مكشوف: ﴿مَكَانًا سَوِيًّا﴾ مبالغة في التحدي.

وقبل موسى عليه السلام تحدي فرعون له؛ واختار الموعد يوم عيد من الأعياد الجامعة، يأخذ فيه الناس في مصر زينتهم، ويتجمعون في الميادين والأمكنة المكشوفة؛ ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ وطلب أن يجمع الناس ضحى، ليكون المكان مكشوفاً والوقت ضاحياً. فقابل التحدي بمثله وزاد عليه اختيار الوقت في أوضح فترة من النهار وأشدها تجمعا في يوم العيد. لا في الصباح الباكر حيث لا يكون الجميع قد غادروا البيوت، ولا في الظهيرة فقد يعوقهم الحر ، ولا في المساء حيث يمنعهم الظلام من التجمع أو من وضوح الرؤية.

وهنا يسدل الستار ليرفع على مشهد المباراة: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾، ويجمل السياق في هذا التعبير كل ما قاله فرعون وما أشار به الملائكة من قومه، وما دار بينه وبين السحرة من تشجيع وتحسيس ووعد بالمكافأة، وما فكر فيه وما دبر هو ومستشاروه، يجمله في جملة: فتولى فرعون

(١) مفاتيح الغيب: الفخر الرازي (٦٥/٢٢).

(٢) تفسير السعدي: السعدي (٥٠٨/١).

فجمع كيده ثم أتى، وتصور تلك الآية الواحدة القصيرة ثلاث حركات متوالية : ذهاب فرعون ، وجمع كيده ، والإتيان به.

ورأى موسى **الكلمة** قبل الدخول في المباراة أن يبذل لهم النصيحة ، وأن يحذرهم عاقبة الكذب والافتراء على الله، لعلهم يثوبون إلى الهدى ، ويدعون التحدي بالسحر والسحر افتراء: ﴿ قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذَّابًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ .

والكلمة الصادقة تلمس بعض القلوب وتنفذ فيها. ويبدو أن هذا الذي كان؛ فقد تأثر بعض السحرة بالكلمة المخلصة، فتلجج في الأمر؛ وأخذ المصريون على المباراة يجادلونهم همسا خيفة أن يسمعهم موسى: ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴾ ، وجعل بعضهم يحمس بعضا ، وراحوا يهيجون في المترددين الخوف من موسى وهارون، اللذين يريدان الاستيلاء على مصر وتغيير عقائد أهلها؛ مما يوجب مواجهتهما يدا واحدة بلا تردد ولا نزاع. اليوم هو يوم المعركة الفاصلة والذي يغلب فيها الفالح الناجح: ﴿ قَالُوا : إِنْ هَذَا لِسِحْرَانِ يَرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى . فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتَّوَصَفُوا . وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴾ . وهكذا تنزل الكلمة الصادقة الواحدة الصادرة عن عقيدة، كالقذيفة في معسكر المبطلين وصفوفهم ، فتزعزع اعتقادهم في أنفسهم وفي قدرتهم ، وفي ما هم عليه من عقيدة وفكرة . وتحتاج إلى مثل هذا التحميس والتشجيع . وموسى **الكلمة** وأخوه رجلان اثنان، والسحرة كثيرون، ووراءهم فرعون وملكه وجنده وجبروته وماله . . ولكن موسى **الكلمة** وهارون كان معهما ربهما يسمع ويرى.

ولعل هذا هو الذي يفسر لنا تصرف فرعون الطاغية المتجبر، وموقف السحرة ومن ورائهم فرعون . فمن هو موسى ومن هو هارون من أول الأمر حتى يتحداهما فرعون ويقبل تحديهما؛ ويجمع كيده ثم ياتي؛ ويحشر السحرة ويجمع الناس؛ ويجلس هو والملا من قومه ليشهدوا المباراة؟ وكيف قبل فرعون أن يجادله موسى وهارون وهو معهما يسمع ويرى^(١).

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب (٥/١٢٧).

فهو أنه ذهب إلى أهله يتمطى ويتبختر ويختال في مشيته واعلم أن الآية دالة على أن الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة كما يستحقهما بترك الإيمان. (١).

ويقول الماوردي في تفسيره للآية: "﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (فيه وجهان: أحدهما: كذب الرسول وتولى عن المرسل، والثاني: كذب بالقرآن وتولى عن الطاعة" (٢).

المطلب الرابع

تولى الوليد بن المغيرة (٣)

لقد وردت العديد من الآيات والمواقف المعادية للإسلام من الوليد بن المغيرة، شيخ أهل الكفر وكان يلقب في قريش بالوحيد؛ لتوحده وتفرده باجتماع مزايا له؛ وهى كثرة الولد وسعة المال، ومجده وكان مرجع قريش في أمورهم، وهو أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ.

• ما نزل في حق الوليد بن المغيرة من القرآن:

لقد نزلت فيه آيات قرآنية، ورويت عنه مواقف كثيرة في الكيد برسول الله ﷺ، وإنذار أصحابه، والوقوف في وجه الدعوة والصد عن سبيل الله، واخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه أن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاماً فلما أكلوا قال ما تقولون في هذا الرجل فقال بعضهم ساحر وقال بعضهم ليس بساحر وقال بعضهم كاهن وقال بعضهم ليس بكاهن وقال بعضهم شاعر وقال بعضهم ليس بشاعر وقال بعضهم سحر يؤثر فبلغ ذلك النبي ﷺ فحزن وقنع رأسه وتدثر فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَيَتَذَكَّرُ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمُنَّ بِتَسْكَرٍ ﴿٦﴾ وَكِرْبِكَ ﴿٧﴾ فَاصْبِرْ ﴿٨﴾ [المدثر: ١-٧].

عن ابن عباس رضي الله عنه: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكانه محمداً لتعرض ابن لنا قبله قال: لقد علمت قريش أنني من أكثرها مالا قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وانك كاره له فقال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده

(١) مفاتيح الغيب: للرازي (٢٠٥/٣٠).

(٢) النكت والعيون: الماوردي (١٥٨/٦).

(٣) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له "العدل"؛ لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو "البيت" جميعها، والوليد يكسوه وحده. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاماً على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته.

انظر: الأعلام: الزركلي دمشقي (١٢٨/٨).

مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبهه الذي يقول شيئاً من هذا والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمنير أعلاه مشرق أسفله وإنه ليعلوا وما يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال: فدعني حتى أفكر فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يآثره عن غيره فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١] (١).

فأنزل الله ﷻ في الوليد بن المغيرة قوله ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ وَجَعَلْتُهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿وَتَبَيَّنَ شُحُودًا﴾ وَمَهَّدْتُهُ تَمَهِيدًا ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَنْزِلَ كَلِمًا﴾ إِنَّهُ كَانَ لَكَايَاتًا عَنِيدًا ﴿ [المدثر ١١-١٦]. أي خصيماً، والوليد بن المغيرة، قال أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقف، ونحن عظيمي القريتين؟ فأنزل الله تعالى فيه فيما بلغني: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِ عَظِيمٍ﴾ أَهْمُ يُسْمُونَ مَرَحِمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَمَرَحِمَةَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿ [الزخرف ٣١-٣٢]، وأبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وعقبة بن أبي معيط، وكانا متصافيين حسنا ما بينهما، فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه فبلغ ذلك أبيا، فأتى عقبة فقال ألم يبلغني أنك جالست محمداً، وسمعت منه ثم قال وجهي من وجهك حرام أن أكلمك - واستغظت من اليمين - إن أنت جلست إليه أو سمعت منه أو لم تأتته فتنفل في وجهه، ففعل من ذلك عدو الله عقبة بن أبي معيط لعنه الله، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَيَوْمَ يَعْزُزُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا حَلِيلًا ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، ومشى أبي بن خلف إلى رسول الله ﷺ بعظم بال قد ارفت فقال يا محمد أنت تزعم أن بيعت هذا بعد ما أرم ثم فته بيده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ نعم أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا، ثم يدخلك الله النار، فأنزل الله ﷻ فيه ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَوَسَّى خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحِبِّي الْعِظَامَ وَهِيَ مَرْمِيَةٌ ﴿ قُلْ يُحِبُّهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿ [يس: ٧٩ - ٨٠] (٢).

ويتضح سبب الإعراض عند الوليد بن المغيرة:

١- الحرص على الوجاهة

(١) إسناده صحيح على شرط البخاري وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق أخرى، لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطي (٢٠٦/١)، انظر: السيرة النبوية: لابن هشام (ص ٣٠٦).

(٢) الروض الانف (١٤٦/٢).

الفصل الرابع

عقوبات المعرضين عن دعوة الله في الدنيا

وفيه مبحثان

المبحث الأول: العقوبات الدنيوية للمعرضين.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: عقوبة قوم نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: عقوبة قوم شعيب.

المطلب الثالث: عقوبة قوم صالح عليه السلام.

المطلب الرابع: عقوبة قوم هود.

المطلب الخامس: عقوبة قوم لوط عليه السلام.

المطلب السادس: عقوبة قوم فرعون وملئه.

المبحث الثاني: عقوبة المعرضين في عصرنا الحالي.

الفصل الرابع

عقوبات المعرضين عن دعوة الله في الدنيا

لقد نوح الله في عقوبات الأ أقوام السابقة، فأغرق فرعون وقوم نوح عليهم السلام، وأخذ ثمود بالصيحة، وعاداً بالريح، وقوم لوط بقلب قراهم، ولقد كانت العقوبة مناسبة لكل أمة بحسب فسادها وانحرافها، و ذلك ليبيان قدرته تعالى وتكليه بالمعرضين عن دعوة الرسل.

المبحث الأول

العقوبات الدنيوية للمعرضين

المطلب الأول

عقوبة قوم نوح عليهم السلام

لقد ظل نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، فما آمن معه إلا قليل، وبقي الأكثرون على كفرهم وعنادهم وسخريتهم من نوح وأتباعه، يقول عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٥٤﴾ فَانجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [العنكبوت: ١٥٤-١٥٥]، وفي آية أخرى يصفهم الله بالفسق فيقول عليه السلام: ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الذاريات: ٤٦]، فهم قد ظلموا أنفسهم بعنادهم واستكبارهم على رسولهم، كما جاء في قوله عليه السلام عن نوح: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾﴾ [نوح: ٧].

وقد أذاهم ظلمهم الناشئ عن استكبارهم إلى تكذيب نوح عليه السلام فيما جاء به من ربه، بل واستهزؤوا به ومن معه وعادوهم، قال عليه السلام: ﴿وَيَصْحُفُ الْفُلُوكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي مَا فِينَا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿١٦٦﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [هود: ٣٨-٣٩] (١).

قال العلامة الألوسي - رحمه الله -: "استهزؤوا به لعمله السفينة؛ إما لأنهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها فتعجبوا من ذلك، وسخروا منه، وإما لأنه عليه السلام كان يصنعها في برية بعيدة عن الماء، وكانوا يتضحكون، ويقولون: يا نوح، صرت نجاراً بعدما كنت نبياً، قال: إن تسخروا منا

(١) السنن الإلهية في الأمم والأفراد: مجدي محمد عاشور (ص ٤٦١) بتصرف.

لهذا العمل، ومباشرة أسباب الخلاص من العذاب، فإننا نسخر منكم لما أنتم فيه من الإعراض، عن الدعوة إلى الله، فجزاهم بمثل ما صنعوا معه عليه السلام^(١)

فأصابهم عذاب الخزي والذل والهوان بالاستئصال في الدنيا كما جاء في قوله ﷻ:

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَبْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٤].

وعن تفصيل كذبهم وما افتروه على رسولهم جاء قوله ﷻ:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَاتَّصِرْ ﴿٢﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿٣﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَمَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿٤﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَّاحِ وَدُسِّرَ ﴿٥﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿٦﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاهْلُ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَيَدْمُرِي ﴾ [القمر: ٩-١٦].

ولقد لقوا جزاء تكذيبهم بان فتحت عليهم ينابيع الأرض و أبواب السماء حتى سار الماء كالطوفان فغرقوا، وما نجا منهم من احد إلا من آمن واتبع نوح ﷺ.

وفي معنى الآيات نفسها التي تقرر بين الاستكبار والتكذيب بالرسول جاء قوله ﷻ:

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿٥﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿٧﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾ قَالُوا لَنْ نَمُوتَ بِمَا نُوحُ لَنْ نَكُونَ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١٠﴾ قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١﴾ فَاقْبَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَا وَبَجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ فَأَنْجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٣﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٤﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥-١٢٠].^(٢)

المطلب الثاني

عقوبة قوم شعيب

شاعت المعصية في مدين قوم شعيب ﷺ مع ما هم عليه من الكفر والتكذيب بنبيهم، فكانوا يطففون الميزان وينقصون الكيل حتى صار ذلك طبعهم وسجيتهم، ولذلك كثر ورود ذكرهم في عدد سور القرآن كلما ذكرت الأمم السابقة وأريد الاعتبار بها ومن مواطن ذكرهم في القرآن قوله ﷻ:

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ﴾

(١) روح المعاني: الألوسي (١١/٥٠-٥١) يتصرف.

(٢) السنن الإلهية في الأمم والأفراد: مجدي محمد عاشور (ص ٤٦٣) أولي العزم من الرسل: محمد عبد الله السمان (ص ٤٧).

وَمَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَعْدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَبِغْوَيْهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَشَرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ [الأعراف : ٨٥-٨٦].

لقد أمر الله شعيب عليه السلام قومه أولاً بالتوحيد لأنه أصل الإيمان وقبول الأعمال، ثم أمرهم بثلاثة أصول لا يقوم مجتمع سوي إلا بوجودها:

- حفظ حقوق المعاملة المالية.
- وحفظ نظام الأمة ومصالحها.
- وحفظ حقوق حرية الاستهداء.

ومن عجيب السياق القرآني هنا أن الدعوة إلى الإيمان تخللت الأوامر المتعلقة بنظام الحياة وحقوق المعاملات المالية، فنجد الآيات تبدأ بالدعوة إلى التوحيد ثم بالمحافظة على الحقوق والمطالبة بأداء الواجبات في أمور الحياة، ويأتي بعد ذلك النهي عن كل ما يفضي إلى إفساد ما هو على حالة الصلاح في الأرض، ثم تختتم هذه الأوامر بقوله عليه السلام: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، لأن الالتزام بما سبق يوجب خير الدنيا من هناء العيش واستقرار الأمن وزوال الخصومات والمقاتلات.

وهذه الأمور أيضاً تقتضي خير الآخرة، لأنهم إن فعلوا ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى بواسطة رسوله اكسبهم رضا الله فنجوا من العذاب، وسكنوا دار الثواب، ولذلك قيدت الخيرية بشرط الإيمان والمعنى: إن حصول الخير من الأشياء المشار إليها سابقاً لا يكون إلا مع؛ الإيمان؛ لأنهم إذا فعلوها وهم مشركون لم يحصل منها الخير؛ لأن مفسد الشرك تفسد ما في الأفعال من الخير، أما في الآخرة فظاهر، لقوله عليه السلام: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وأما في الدنيا فإن الشرك يدعو إلى أضرار تلك الفضائل، قال عليه السلام: ﴿وَمَا نَرَادُوهُمْ غَيْرَ تَبْيِيبٍ﴾ [هود: ١٠١]، أو يدعو إلى مفساد لا يظهر معها نفع تلك المصالح^(١).

ولم تكتف الآيات بالدعوة إلى الله فحسب، وإنما عادت ونهت قوم شعيب عن صد الراغبين في هذا الإيمان، ليكتمل صلاحهم وصلاح غيرهم.

وبعد أن يدعو شعيب قومه إلى إصلاح دينهم ودنياهم يحذرهم من الإعراض عن تلك الدعوة الخالصة فيقول: ﴿يَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَعِيدٍ ﴿٨٧﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٨٩-٩٠].

(١) انظر: المحرر الوجيز: لابن عطية (٤٢٦/٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور (٢٤٥/٨).

وتأخذ مدين حمية الجاهلية ونزوة الاستكبار على نبيهم والتوعد بإيذائه وقتله: ﴿قَالُوا يَا شَعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١].

لقد كذبت مدين رسولها شعيب عليه السلام في أمر رسالته إليهم، وفي إنذاره لهم، وتحذوه في أن يتحقق وعده بنزول العذاب عليهم^(١).

يقول الشيخ محمد الصابوني - رحمه الله - في تفسيره لقوله عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا شَعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: "أي قالوا لنبيهم شعيب على وجه الاستهانة: ما نفهم كثير مما تحدثنا به، ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ أي: لا قوة لك ولا عز فيما بيننا، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ أي: ولولا جماعتك لقتلناك بالأحجار ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ أي: لست عندنا بمكرم ولا محترم حتى نمتنع من رجلك^(٢)."

وفي تكذيبهم لأمر رسالته يقول عليه السلام: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ كَمَا وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٥-١٨٦].

وفي تكذيبهم لوعيدهم وتحذيره جاء قوله عليه السلام: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٨٨-١٨٩]، قيل: أخذهم حر خانق شديد يكتم الأنفاس ويتقل الصدور، ثم تراءت لهم سحابة، فاستظلوا بها؛ فوجدوا لها برداً، ثم إذا هي الصاعقة المجلجلة المدوية تفرعهم وتدمرهم تدميراً، وكان ذلك ﴿يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ فالظلة كانت سمة اليوم المعلوم^(٣).

انظر إلي هذه الصورة من العناد والمكابرة والجحود، أنهم يطلبون من الله أن يسقط عليهم كسفاً من السماء إن كان شعيب من الصادقين، تماماً كما قال أهل مكة ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ اثْنًا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

فلو أردوا الحق لقالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأهدنا إليه، ويسر لنا طريق الرشاد.

(١) السنن الإلهية في الأمم والإفراد: مجدي محمد عاشور (ص ٤٦٧-٤٦٨).

(٢) صفوة التفسير: للصابوني (٢/٢٨).

(٣) في ظلال القرآن: سيد قطب (٥/٢٦١٥).

ومن الآيات الواردة في هلاكهم قوله ﷺ: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٧]، أي: كذبوا رسولهم شعبياً فأهلكهم الله برجفة عظيمة مدمرة زلزلة عليهم بلادهم، وصيحة هائلة أخرجت القلوب من حناجرها، ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ أي: فأصبحوا هلكى (١).
يقول الله ﷻ: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [هود: ٩٤]، أي: واخذ الظالمين صيحة العذاب، قال القرطبي: "صاح بهم جبريل صيحة فخرجت أرواحهم من أجسادهم فأصبحوا موتى لا حراك بهم" (٢).
وقال ابن كثير: "ذكرها هنا في سورة هود أن عقابهم كان بأن أتتهم الصيحة، وفي الأعراف رجفة، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة، وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها" (٣).

المطلب الثالث

عقوبة قوم صالح ﷺ

حَفَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِالآيَاتِ الَّتِي تَوْضِحُ سُلُوكَ ثَمُودَ مَعَ نَبِيِّهِمْ صَالِحِ الْكَافَّةِ، وَكَيْفَ صَبَرَ عَلَى أَذَاهُمْ وَجَرَأَتِهِمْ عَلَى حُرْمَاتِ اللَّهِ ﷻ، فَاخْتَلَطَ شُرَكَاهُمْ وَكَفَرَهُمْ بِالْبَغْيِ وَالطَّغْيَانِ، فَاسْتَحَقُّوا حُلُولَ عَذَابِ الْهَلَاكِ وَالِاسْتِنْتِصَالِ.

ومن الآيات الواردة في ذلك قوله ﷻ: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْيَمِّ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتُنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَتَّخِذُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِكِينَ ﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ فَعَمَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتِنَّا بِمَا تَدْعُنَا إِلَى كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٣-٧٨].

والآيات تبين أنهم كذبوا صالحا ﷺ في أمرين:

- (١) انظر: صفوة التفسير: للصابوني (٣٩٩/٢).
- (٢) انظر: تفسير القرطبي: للقرطبي (٩٢/٩).
- (٣) انظر: مختصر تفسير ابن كثير (٢٣١/٢).

أولاً: كذبوه في أمر نبوته ورسالته فقالوا على وجه التشكيك والإنكار ﴿ اَنْعَلْمُونْ اَنْ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِّنْ رَبِّهِ ﴾ وهو ما جاء صريحاً في سورة أخرى حيث قالوا ﴿ وَاِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا اِلَيْهِ مُرِبِّ ﴾ [هود: ٦٢].

ثانياً: كذبوه فيما جاء به من معجزة الناقة، وأنها من عند الله ﷻ، وان من يمسخها بسوء يهلك، فعقروها وتراضوا على قتلها، فحق عليهم الهلاك، قال ﷻ: ﴿ وَاِقْوَمِ هَذِهِ نَاقَةَ اللّٰهِ لَكُمْ آيَةً فَذَمُّوْهَا تَاْكُلُ فِيْ اَرْضِ اللّٰهِ وَكَانَتْ سُوْءًا بِيَاْحُذِكُمْ عَذَابٌ قَرِيْبٌ ﴾ [هود: ٦٤].

وقال ﷻ: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُوْدُ بِطُغُوْاْهَا ۙ اِذِ ابْتِغَتْ اَشْفَاْهَا ۙ فَجَاءَتْهُمْ مَّرْسُوْلُ اللّٰهِ نَاقَةٌ اَللّٰهُ وَسُقْيَاْهَا ۙ فَكَذَّبُوْهُ فَعَقَرُوْهَا فَذَمُّوْهُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوْبِهِمْ فَسَوَّاْهَا ۙ وَكَانَ خَافُ عِقَابَهَا ﴾ [الشمس: ١١-١٦].

كذبت ثمود نبيها ببلوغها الغاية في العصيان، إذ نهض أكثر القبيلة شقاوة لعقر الناقة، فقال لهم رسول الله ﷺ: احذروا أن تمسوا الناقة بسوء؛ فإنها آية أرسلها الله إليكم، تدل على صدق نبيكم، واحذروا أن تعتدوا على سقيها، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم. فشق عليهم ذلك، فكذبوه فيما توعدهم به فنحروها، فأطبق عليهم ربه العقوبة بجرمهم، فجعلها عليهم على السواء فلم يُقِلت منهم أحد من عقاب الله الذي نزل بهم وحل بدارهم^(١).

وها نحن نقف على آيات أخرى لتدل على مدى تكذيبهم، فقالوا بعد أن نصحهم وحذرهم: ﴿ اَوَلَيْهِ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِّنْ بَيْنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ اَشْرٌ ۗ سَيَعْلَمُوْنَ غَدًا مِّنْ اَلْكَذَابِ الْاَشْرِ ۗ اِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَبِّهْمُ وَاَصْطَبِرْ ﴾ [القمر: ٢٥-٢٧].

معنى قوله ﷻ: ﴿ اَوَلَيْهِ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِّنْ بَيْنَا ﴾ أي: أنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة، ﴿ بَلْ هُوَ كَذَابٌ اَشْرٌ ﴾ أي: بطر متكبر حمله بطره وطلبه التعظيم علينا على ادعاء ذلك ﴿ سَيَعْلَمُوْنَ غَدًا ﴾ عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة ﴿ مِّنْ اَلْكَذَابِ الْاَشْرِ ﴾ أصلح أم من كذبه^(٢).

ولهول ما فعل هؤلاء المكذبون برسولهم يصور لنا القرآن نكالهم وعذابهم في سور مخيفة ومروعة، حتى انه ليصف العذاب الذي أخذهم بأنه رجفة لقوله ﷻ: ﴿ فَآخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِيْ دَاْرِهِمْ جَاثِمِيْنَ ﴾ [الأعراف: ٧٨].

(١) انظر: التفسير الميسر: مجموعة من العلماء - عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (٤٩١/١٠).

(٢) تفسير النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (١٦١/٤).

قال القاسمي: "معنى قوله ﷻ: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ﴾ أي: الصيحة التي يحصل منها الزلزلة الشديدة، بدل صوت الناقة عند عقرها، وبدل حركتها عند نزوع الروح ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ أي: ساقطين على وجوههم هامدين لا يتحركون، ميتين بدل موت الناقة وسقوطها"^(١).
ولقد بين سيد قطب رحمه الله أن هذا العقاب كان جزاء وفاقاً للعتو والتبجح لقوله ﷻ: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ ، فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ "والرجفة والجنوم، جزاء مقابل للعتو والتبجح، فالرجفة يصاحبها الفزع، والجنوم مشهد للعجز عن الحراك، وما أجدر العاتي أن يرتجف، وما أجدر المعتدي أن يعجز، جزاء وفاقاً في المصير وفي التعبير عن هذا المصير بالتصوير، ويدعم السياق على هيئتهم ﴿جَاثِمِينَ﴾ ليرسم لنا مشهد صالح الذي كذبوه وتحذوه"^(٢).

ويصف الله سبحانه وتعالى عذابهم في موضع آخر بأنه صيحة وذلك في قوله جل وعلا: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود: ٦٧]، وفي قوله ﷻ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ [القمر: ٣١].

معنى قوله ﷻ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ يعني صيحة جبريل، ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الرجل يحظر لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم، وقيل: هو الشجر البالي الذي يهشم حين تذرؤه الرياح. والمعنى: أنهم صاروا كيبس الشجر إذا بلي وتحطم وقيل: كالعظام النخرة المحترقة وقيل: هو التراب يتناثر من الحائط^(٣).

ووصف العذاب الذي أخذهم في موضع ثالث بأنه صاعقة في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]، وفي قوله ﷻ: ﴿فَعَمَّوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٤].

ووصف العذاب الذي أخذهم بأنه طاغية لقوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥].

(١) محاسن التأويل: للقاسمي (٢٧٩٦/٧).

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب (٢٤٦/٣).

(٣) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (٢٧٦/٦).

والطغيان: مجاوزة الحد، ولذلك سميت الصاعقة أو الصيحة بالطاغية؛ لأنها كانت متجاوزة الحال المتعارف في الشدة، فشبه فعلها بفعل الطاعي المتجاوز الحد في العدوان و البطش^(١).

المطلب الرابع

عقوبة قوم هود

لقد وردت في قوم عاد آيات كثيرة تدل على طغيانهم وظلمهم الشديد لرسولهم وما معه من آيات الله، ومن هذه الآيات التي صرّحت بهلاكهم بسبب ما كانوا عليه من العناد والتكذيب قوله ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿١٨٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ مَرْحًا صَرْصِرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٨١﴾ تَنْزِيلُ الْغَاسِقِ ﴿١٨٢﴾ كَأَنَّهُمْ أَغْجَانُ نَخْلٍ مَّنْعَرٍ ﴿١٨٣﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿١٨٤﴾﴾ [القمر: ١٨٠ - ٢١].

وقد صدرت الآيات وختمت بقوله ﷻ: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ﴾ إلا أن الاستفهام في صدرها مستعمل في التشويق للخبر الوارد بعده، وهو مجاز مرسل؛ لأن الاستفهام يستلزم طلب الجواب، والجواب متوقف على صفة العذاب، وهي لما تذكر، فيحصل الشوق إلى معرفتها، وهو أيضا مكنى به عن تهويل ذلك العذاب، بينما الاستفهام في ختام الآيات للتعجيب من شدة العذاب الموصوف.

وفى المعنى السابق، مع زيادة بيان لما كان عليه قوم هود من طغيان وعناد، يقول ﷻ: ﴿ وَفِي الْمَعْنَى السَّابِقِ، مَعَ زِيَادَةِ بَيَانٍ لِّمَا كَانَ عَلَيْهِ قَوْمُ هُودٍ مِنْ طُغْيَانٍ وَعِنَادٍ، يَقُولُ ﷻ: ﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٢٦﴾ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَيَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتُؤْنَسُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آتِيَةٍ تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَسْخَدُونَ مِمَّا بَلَغَ لَكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ أَوْجِنَاتٍ وَعِيُونَ ﴿١٣٣﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٤﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٥﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكَنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٣٩].

لقد رأى هود ﷻ من قومه تمحسا للشغل بأمور دنياهم ، وإعراضاً عن التفكير في الآخرة والعمل لها والنظر في العاقبة، وإشراكاً مع الله في إلهيته، وانصرافاً عن عبادة الله وحده الذي خلقهم وأعمرهم في الأرض وزادهم قوة على الأمم، فانصرفت هامتهم إلى التعاطف والتفاخر واللهو واللعب فطال عليهم الأمد، وتقننوا في إرضاء الهوى، وأقبلوا على الميزات واشتد الغرور بأنفسهم، فأضاعوا الجانب الأهم للإنسان، وهو جانب الدين وذكاء النفس، وأهملوا أن يقصدوا من أعمالهم المقاصد

(١) روح المعاني: للألوسي (٤٧٧/٩).

النافعة ونية إرضاء الله على أعمالهم لحب الرئاسة والسمعة، فعبدوا الأصنام واستخفوا بجانب الله تعالى واستحمقوا الناصحين، فأرسل الله سبحانه وتعالى إليهم هوداً ففاتهم بالتوبيخ على ما فتنوا بالإعجاب به وبذمه حيث قالوا: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَكُمِ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥]، وألهاهم التنافس في تيههم هذا عن معرفة الله فنبدوا إتباع الشرائع وكذبوا الرسول، فانقلبت الأعمال النافعة التي اشتهروا بها إلى نقمة عليهم؛ لأن الأعمال إذا خلت عن مراعاة المقاصد التي ترضي الله ﷻ اختلفت مشارب عامليها طرائق قِدا على اختلاف الهمم واجتلاب المصالح الخاصة، فلذلك أنكرها عليهم رسولهم^(١).

ومن الآيات التي جاء في سياقها عذاب قوم عاد صريحاً قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِيهُمُ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٤-٢٥].

فمعنى قوله ﷻ: ﴿تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي: كل شيء أمرت به، فكان أول من أبصر ما فيها، وعرف أنها ريح فيما يذكرون، امرأة من عاد يقال لها: فهد، فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت، فلما أفاقوا قالوا: ما رأيت يا فهد؟ قالت: رأيت ريحاً فيها كشهب النار، أمامها رجال يقودونها، فسخرها الله عليهم سبع ليال، وثمانية أياماً حسوماً، فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك. قال ﷻ: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]، جاء هذا العتاب بهذه القساوة ليتناسب عتو عاد وجبروتها وعنادها المحكي في القرآن: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَانُرٌ نَخَلٌ خَاوِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٧]، ومعنى قوله تعالى ﴿حُسُومًا﴾ أي: كوامل متتابعات، ﴿تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَانُرٌ نَخَلٌ خَاوِيَةٌ﴾ أي: مصروعين متناثرين، كأنهم أعجاز نخل بجدوعها وأصولها فارغة، تأكلت أجوافها، فارتمت ساقطة على الأرض هامدة، كانت تجئ إلي أحدهم فتحمله، فترفعه في الهواء، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه، فيبقى جنبه بلا رأس، ثم قال ﷻ: ﴿إِنَّا أَمَرْنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِرِيحِ صَرْصَرٍ فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ لَمَّا نَشِئُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَانُرٌ نَخَلٌ مُتَعَرِّجٌ﴾ [القمر: ١٩-٢٠]، وقال ﷻ: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَمَرْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَةَ ﴿٤١﴾ مَا تَذْمُرُ مِنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤١-٤٢]، هذه الريح ما أنتجت خيراً، ما نثرت سحاباً، ولا لقت شجراً^(٢).

(١) التحرير والتنوير (١٩/١٦٦-١٦٥).

(٢) روضة الناظر ونزهة الخاطر في الجزاء من جنس العمل: أبو بكر الجزائري (ص ١٧٤/١٧٥).

و لقد جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **[نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأَهْلِكْتُ عَادَ بِالدَّبُورِ]** وعن علي رضي الله عنه موقوفاً فيما أخرجه ابن أبي حاتم، قال: **[لَمْ يَنْزِلِ اللَّهُ ﷻ شَيْئًا مِنَ الرِّيحِ إِلَّا بَوَّزَنَ عَلَى يَدَيِّ مَلِكٍ، إِلَّا يَوْمَ عَادَ فَإِنَّهُ أَذِنَ لَهَا دُونَ الْخِزَانِ فَعَتَّتْ عَلَى الْخِزَانِ]** (١).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في (الفتح): كانت ديارهم أخصب البلاد، وأكثرها جناناً، فلما سخط الله جل وعلا عليهم جعلها مفاوز (٢).

المطلب الخامس

عقوبة قوم لوط عليه السلام

لقد كان قوم لوط أفجر الناس وأكفرهم، وأسوأهم طوية، وأرداهم سريرة وسيرة، يقطعون السبيل، ويأتون في ناديهم المنكر، ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم وهي: إتيان الذكران من العالمين وترك ما خلق الله من النساء لعباده الصالحين، فدعاهم لوط عليه السلام إلى عبادة الله وحده، ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات، والفواحش المنكرات، والأفاعيل المستقبحات، فتمادوا في ضلالهم وطغيانهم، واستمروا على فجورهم وكفرانهم، فأحل الله بهم من البأس الذي لا يرد ما لم يكن في خلدكم وحسبانهم، وجعلهم عبرة وعظة للعالمين.

لهذا ذكر الله صلى الله عليه وسلم قصتهم في مواضع عدة في كتابه العزيز حيث قال صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَكُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٢﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطِغُونَ ﴿٣﴾ فَانجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥﴾ [الأعراف: ٨٠-٨٤]، وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكْرُونَ ﴿١﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَأَنْتَ بِالْحَقِّ وَآنَا لَصَادِقُونَ ﴿٣﴾ فَأَسْرَبَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبَعْتَ أَذْوَاقَهُمْ وَكَأَيِّتْنَا مِنْكُمْ أَحَدًا وَآمَضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٤﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوَاءٍ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٥﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ سَتِّبِشْرُونَ ﴿٦﴾ قَالَ لَنْ هُوَآءٍ ضَيِّفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٧﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَكَاتُخِرُونَ ﴿٨﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾]

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة الإستسقاء ، باب: في ريح الصبا والدبور ، رقم (٢١٢٤)، (٢٧/٣)

(٢) قوله عن ريح الصبا: "وتسمى القبول بفتح القاف، لأنها تقابل باب الكعبة، وتقابل قبلة العراق" وعلل سبب تسمية الفلاة مفاوز بقوله: "والمفاوز: واحدة المفاوز، وسميت بذلك على طريق التناؤل لها بالسلامة والفوز، انظر: إسفار الفصيح للهروري (١/٣٦٨)، فتح الباري (٦/٤٣٤).

﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ ﴿ لَعْمَرُكَ إِنْهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ ﴾ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ ﴿ وَإِنَّهَا لَسَبِيلٌ مَقِيمٌ ﴾ [الحجر: ٦١-٧٦].
 وقال ﷺ: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ ﴿ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴾ ﴿ وَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾ ﴿ وَقَدْ رَأَوْدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَتُذْمِرِ ﴾ ﴿ وَقَدْ صَبَّبْهُمْ بِكُرْهِ عَذَابٍ مُسْتَقِرًّا ﴾ ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَتُذْمِرِ ﴾ [القمر: ٣٤-٣٩].

وقد بلغ بهم الفجور والاستهتار أن يراودوه هو نفسه عن ضيوفه - من الملائكة - قد حسبوهم غلماناً صباحاً فهاج سعارهم الشاذ الملوث القدر، وصاروا في عمى وتخبط لا يميزون بين السفه والرشد، كما وصفهم خالقهم بقوله ﷻ ﴿ لَعْمَرُكَ إِنْهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢].

وساوروا لوطاً، يريدون الاعتداء المنكر على ضيوفه، غير محتشمين ولا متحرجين من انتهاك حرمة نبيهم، الذي أنذرهم عاقبة هذا الشذوذ القدر المريض.

قال ابن كثير: في (البداية والنهاية): "ذكر المفسرون وغيرهم أن نبي الله لوطاً عليه السلام جعل يمانع قومه الدخول، ويدافعهم، والباب مغلق، وهم يرومون فتحه وولوجه، وهو يعظهم، وينهاهم من وراء الباب، وذكروا أن جبريل عليه السلام خرج عليهم، فضرب وجوههم خفقةً بطرف جناحه، فطمست أعينهم، حتى قال: إنها غارت بالكلية، ولم يبق لها محل ولا عين ولا أثر، فرجعوا يتحسسون الحيطان، ويتوعدون رسول الرحمن، ويقولون: إذا كان الغد كان لنا وله شأن، فتقدمت الملائكة إلى لوط عليه السلام أمرين له بأن يسري هو وأهله من آخر الليل، ولا يلتفت منكم أحد عند سماع صوت العذاب إذا حل بقومه، إلا امرأتك سيصيبها ما أصابهم؛ لأنها خانت زوجها في الفكر والعقيدة والسلوك الطاهر.

فلما جاء الأوان اقتلعهن جبريل عليه السلام بطرف جناحه من قرارهن، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، قال ﷺ: ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ ﴾ [الحجر: ٧٤]، وقال جل وعلا: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٢-٨٣]، ﴿ سَجِيلٍ ﴾ وهو الشديد الصلب القوى ﴿ مَنْضُودٍ ﴾ أي: يتبع بعضها بعضاً في نزولها عليهم من السماء ﴿ مُسَوِّمَةٌ ﴾ يعني مُعَلِّمَةٌ، مكتوبٌ على كل حجر اسم صاحبه الذي يهبط عليه فيدمغه^(١).

(١) البداية والنهاية: لابن كثير (١/١٦٩).

يقول الشهيد سيد قطب -رحمه الله-: في قوله ﷻ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [النمل: ٥٨]، " لقد أمطروا مطرا مهلكا، مع ما صاحبه من عواصف تزي كان هذا المطر المغرق والماء الدافق ، لتطهير الأرض من ذلك الدنس الذي كانوا فيه والوحل الذي عاشوا وماتوا فيه"^(١).
ثم تابع سيد قطب قائلاً: "ولكننا نلمح في اختيار هلاك قوم لوط بالمطر، وهو الماء المحيي المنبت انه مماثل لاستخدامهم ماء الحياة - ماء النطف - في غير ما جعل له، وهو أن يكون مادة حياة وخصب"^(٢).

هكذا عاقبهم الله بأن أعمى أبصارهم، وقلب الله عليهم قراهم؛ وجعل عاليها سافلها وأهلكهم بالمطر، ورماهم بالحجارة، وذلك لعمى بصيرتهم، وقلبهم للفطرة بإتيان الذكور دون الإناث، وإعراضهم عن الطهارة، فكان جزاؤهم من جنس فعلهم الذي فعلوه، فصار عذابهم وإهلاكهم وعقابهم عبرة وعظة وأية على قدرة الله وعظمته في انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله واتبع هواه وعصى مولاة.

المطلب السادس

عقوبة قوم فرعون وملئه

لقد حفل القرآن الكريم بالآيات التي تتحدث عن عناد فرعون وملئه، وتكذيبهم لرسول الله موسى وأخيه هارون. ولعل من أسباب شيوع الآيات وكثرتها في قصة فرعون وقومه هو أن فرعون زاد عن الأمم السابقة التي كذبت رسولها أنه ادعى الربوبية والإلهوية من دون الله تعالى، رغم ما جاء به موسى من الآيات والمعجزات ، التي تكفي كل واحدة منها في إذعان رقبة أي كافر، ولكنه لما اتصف بالكبر والعناد والإسراف والتجاوز في تفخيم نفسه ووضعها في مصاف القداسة والإلهوية استحق تكرير قصته والتنوع في عرضها في كثير من السور للاتعاض والاعتبار.

ومن الآيات الصريحة الواردة في إهلاك الله تعالى له ولقومه بسبب تكذيبهم برسول الله :

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿[آل عمران ١٠-١١]، وفي مثل هذا المعنى ورد قوله ﷻ: ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢].

ويتأكد هذا المعنى بالقول الصريح في سياق قوله تعالى عن تكذيب فرعون وقومه لموسى وهارون فيقول ﷻ: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون : ٤٨].

(١) في ظلال القرآن: لسيد قطب (٣/١٣١٦).

(٢) في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/٢٦٤٨).

قال ابن عاشور قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ أي: أرسى أمرهم على أن كذبوهما، ثم فرع على تكذيبهم أن كانوا من المهلكين، إذ أهلكهم الله بالغرق، أي: فاننظموا في سلك الأقسام الذين اهلكوا. وفي هذا تعريض بتهديد قريش على تكذيبهم رسولهم؛ الآن في قوله: ﴿مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ إيماء إلي أن الإهلاك سنة الله في الذين يكذبون رسله (١).

فكم من مرة يأخذ الله ﷻ فرعون وقومه بالشدة والبأس فليلجأوا إلى موسى ليدعو الله برفع هذا البأس عنهم، وفي كل مرة يعدونه بالإيمان به، ثم إذا كشف عنهم العذاب والبأس نكثوا في عهودهم، واستمروا على تكذيبهم، واستكبروا وأجرموا، وكذبوا بآيات الله وأعرضوا عنها، فكانوا جديرين بالاستئصال وعدم الإمهال، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ تُسْحَرْنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدمَّ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِنُنْزِلَ عَلَيْكَ مِنْ سَمَاءٍ مَائِدَةٍ تَأْكُلُ مِنْهَا فَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٤﴾ فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمُ فَغَرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٥﴾ [الأعراف: ١٣٢-١٣٦].

ومن الآيات الدالة على عتوهم وتكذيبهم بكل ما جاءهم به موسى من آيات، وسبب ذلك في جريان سنة الله في الهلاك عليهم لقوله ﷻ: ﴿وَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿١٣٦﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أُخِذَ عَنِّيهِمْ مُقْتَدِرِينَ ﴿١٣٧﴾ [القمر: ٤١-٤٢]، والإشارة إلى العزة والافتقار تومئ إلى الشدة في الأخذ، وفيها تعويض بعزة فرعون واقتداره علي البغي والظلم، فقد ضاعت العزة الباطلة، وسقط الافتقار الموهوم، وأخذ الله فرعون وقومه أخذ عزيز حقا مقتدر صدقا، أخذهم أخذا شديدا يناسب ما كانوا عليه من ظلم وبطش.

وهذه سنة الله في كل مكذب برسله وآياته، وظلم لنفسه ولغيره، منغمس في شركه وإفساده، مصدقا لقوله ﷻ: ﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَاذِبٍ ظَالِمٍ ﴿١٣٨﴾ [الأنفال: ٥٤] (٢).

(١) التحرير والتنوير: لابن عاشور (١٨/ ٦٥) بتصرف.

(٢) السنن الإلهية في الأمم والأفراد: مجدي محمد عاشور (ص ٤٦٩-٤٧٠).

أما في الآخرة فعقابهم العذاب الأليم بالحرق في نار جهنم وذلك لقول الله ﷻ: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿١٠١﴾ النَّاسُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿١٠٢﴾﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

المبحث الثاني

عقوبة المعرضين في عصرنا الحالي

إنَّ الحالَ التي وصل إليها المسلمون اليوم يحزن لها قلب كل مؤمن، وتدمع عينه، وتأسى نفسه، فقد تكالب عليهم الأعداء، وساموهم سوء العذاب، وانتهكوا أعراضهم في كثير من الأقطار، وأهانوا كرامتهم وأدلوهم، ومزقت المسلمين التعصبات المذهبية والمناهج الحزبية والقوميات الجاهلية والبدع المحدثه، أضعف المسلمين تناخرهم وتفرفقهم والأهواء الضالة واتباع الشهوات المحرمة، وليس ذلك الضعف والانحطاط والدلة لقلّة عدد المسلمين، فهم أكثر أهل الأديان عدداً، وإنما مُصابُ المسلمين بالتقصير في العمل بدينهم، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ﴾ [الرعد: ١١].

وإنّ الوضع الذي عليه المسلمون اليوم من اجتماع أعدائهم عليهم وإنزال أنواع البلايا والمحن بالمسلمين إنّ تلك الحال وذلك الوضع قد أيقظ الهمم العالية، وأطلق الصيحات المُنذرة والنصائح الصادقة أن يرجعوا إلى دعوتكم الصادقة أرجعوا إلى شريعتم الغراء شريعة رب العالمين.

العقوبات في عصرنا الحالي:

وها هي سنة الله سائرة، شاملة، ثابتة، باقية بقاء الخلق، ومن عدل الله في الإنسانية ألا يخص الأمم بنوع واحد أو صنيعة واحدة من الدمار والسقوط والعقوبات بل جرت سنته تعالى بتتويج العقوبات والعذاب وكثرة ألوانه واختلافها بطرق عديدة.

و الذين فسقوا عن أمر ربهم حديثا فهم موعودون بعقاب الله لهم قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة ٢٤].

وهنا شرط آخر خاص بأمة الإسلام ، فإن تحقق منها ما تخبر عنه الآيات، وقد تحقق هذه الأيام، بل حالنا اليوم أسوأ من ذلك بكثير، إذ لم نكتف بحب الدنيا، فقد بدأنا مؤخرًا، نمارس الفساد والظلم والعصيان، والمجاهرة بالمعصية في وضح النهار، وفي الأماكن العامة، وفي التلغاف، في الصحف، ولكن الرحمن الرحيم، لم ينزل بنا غضبه حتى هذه اللحظة، ولا شك أنه على وشك، أمر الله

سيحقيق بالفاسقين، وأقله شيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وأكثره الهلاك العاجل في الدنيا، ونار جهنم في الآخرة، هذا لمن فسق عن أمر الله ﷻ من أمة الإسلام، أما من ضرب بمظاهر الحياة الدنيا عرض الحائط، وتاجر بما عند ربه، فأمن وصبر وعمل صالحاً، فأولئك لهم البشرى من ربهم في الدنيا والآخرة.

ومن تلك العقوبات: وفيما أحسب أن من هذه العقوبات ما نشاهده من تسلط الكفار واستعلائهم عقوبة للأمة المسلمة على بعدها عن دينها.

• وارتكاب الفواحش يؤدي إلي منع القطر من السماء وتسليط الكفار على رقاب الأمة المسلمة.
قال ابن القيم -رحمه الله- : "وقد جعل الله سبحانه أعمال البر والفاجر مقتضيات لآثارها في هذا العالم اقتضاء لا بد منه، فجعل منع الإحسان والزكاة والصدقة سبباً لمنع الغيث من السماء والقحط والجذب، وجعل ظلم المساكين والبخس في المكايل والموازين وتعدي القوي على الضعيف سبباً لجور الملوك والولادة الذين لا يرحمون إن استرحموا، ولا يعطفون إن استعطفوا، وهم في الحقيقة أعمال الرعايا ظهرت في صور ولاتهم، فإن الله سبحانه بحكمته وعدله يظهر للناس أعمالهم في قوالب وصور تتناسبها، فتارة بقحط وجذب، وتارة بعدو، وتارة بولادة جائرين، وتارة بأمراض عامة، وتارة بهموم والآم وغموم تحضرها نفوسهم، لا ينفكون عنها، وتارة بمنع بركات السماء والأرض عنهم، وتارة بتسليط الشياطين عليهم تؤزهم إلى أسباب العذاب أزاً، لتحقق عليهم الكلمة وليصير كل منهم إلى ما خلق له، والعاقل يسير بصيرته بين الأقطار العالم فيشاهده، وينظر مواقع عدل الله وحكمته"^(١).

ثم إن سنة الله ماضية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، وهذه الأمة تذنّب، فتعاقب بذنوبها عقوبات متنوعة؛ كي تعود إلى رشدها، وتؤوب إلى ربها، فتأخذ حينئذ مكانها اللائق بها، فلا ريب أن الأمة تعيش أحوالاً عصيبة، قد تكون أخرج أيام مرت بها عبر التاريخ؛ فالمصائب متنوعة، والجراحات عميقة، والمؤامرات تحاك تلو المؤامرات.

يضاف إلى ذلك ما تعانيه الأمة من الضعف، والهوان، والفرقة، وتسلط الأعداء، وما هذا الذي يجري في كثير من بلاد المسلمين، إلا سلسلة من المكر الكبار، والكيد العظيم، والقتال الذي لا يزال مستمراً، قال ﷻ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَدَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ...﴾ [البقرة: ١٠٩].

إن أمة الإسلام اليوم تحتاج إلى أن تراجع هذه النصوص الشرعية لتجد السبيل للخروج مما هي فيه من أزمت وفتن يرقق بعضها بعضاً، فقد أحاطت هذا الزمان وأهله فتن كثيرة لا تحصى،

(١) زاد المعاد: ابن القيم الجوزية (٣٦٣/٤).

خصوصاً ذهاب دولة الإسلام، وحكومة الإيمان، وغربة الدين، وفشو البدع والمضلين، وقلة العلم، وكثرة الجهل، وإيثار الخلق على الحق، والعاجلة على الآجلة، وترك الغزو، والقنوع بما في أيدي الناس، والانهماك في أمر المعاش، والإعراض عن المعاد، وكثرة التحاسد، وصارت الدنيا كلها آفات وبلايا، فما من أمة ضيعت أمر الله وحدوده إلا شاع فيها الذعر والفرع والاضطراب، وقل خيرها، وذهبت بركتها، وضاعت أرزاق أهلها، وكثرت فيها الأزمات والقلقل^(١).

ومصدق هذا من كتاب الله قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]. وقوله ﷺ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: [يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكْمَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غَنَاءٌ كَغَنَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ]^(٢).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَشَاهِدِيهِ وَكَاتِبِيهِ وَقَالَ مَا ظَهَرَ فِي قَوْمِ الرِّبَا وَالرِّبَا إِلَّا أَهْلُوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ]^(٣).

إن الذنوب تجلب عقاب الله، وأكبر الذنوب هو الإعراض عن دين الله، والشرك به، وكذا إتيان الفواحش، والظلم، وأكل الربا والقتل، فإن ما تعيشه الأمم اليوم في هذا العالم المتقدم مليء بالذنوب والمخالفات الشرعية، فلا بد علينا أن نعتبر كما أمرنا الله فقال ﷺ: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، والاعتبار: هو القياس فنقيس حالنا بحال الأمم السابقة وننظر هل نحن في خير أم في شر؟ فأكبر الذنوب في العالم.

١- الإعراض عن دين الله ودين المرسلين: قال ﷺ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

(١) انظر: سنن القران في قيام الحضارات وسقوطها: محمد هيشور (٢٢٦/٢٢٧)، انظر: نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية: خالد عبد الواحد (٦٠٠/٦٠١)، انظر: مبشرات النصر والتمكين: سيد حسين العفاني (ص ٥٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم، باب: باب في تداعي الأمم على الإسلام (١٨٤/٤) رقم (٤٢٩٩).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٥٨/٦) رقم (٣٨٠٩).

وإن المتأمل لأوضاع البشرية اليوم عامة، وواقع الأمة الإسلامية خاصة، يدرك أن ما أصابها من ذل وانقسام وفتن وفُرقة وخصام إنما مرده إلى إهمال أمر الله، والتقصير في تحكيم شريعة الله، وإن أعظم ما ابتلي به المسلمون اليوم من تسلط أعدائهم عليهم من كل حذب وصوب، وتداعي الأمم على دينهم وأخلاقهم وأوطانهم، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

والعقوبات الدنيوية قد تكون عقوبات من عند الله تعالى، يعني: قضاءً وقدرًا لا دخل للمخلوق ولا حيلة له فيها، وذلك: كالحق، والجذب، والجفاف، والفقر، والزلازل، والبركان، والفيضان، والطوفان، والخسف، ومثله الكسوف في الشمس والقمر، وكذلك الموت: موت القريب أو الحبيب أو ما أشبه ذلك. فهذه عقوبات إلهية، مثلها مثل الصواعق، مثل الأشياء التي تنزل من السماء، ولا حيلة للخلق فيها بأي حال من الأحوال، فهذه من عند الله تعالى^(١).

٢- انتشار الربا في جميع العالم: وهو من أكبر الظلم، قال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنَّا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]، وجاء في الحديث عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَرَّهْمٌ رِبًا أَشَدُّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ سِتَّةِ وَثَلَاثِينَ زَنِيَةً فِي الْخَطِيئَةِ»^(٢).

فذهابُ بركة المال ومحقُّ عائده ونتاجه ملموسٌ مشاهد، يعترفُ به المرابون ضمناً وتصريحاً. والعالم الإسلامي اليوم يعاني الأزمات الاقتصادية الخانقة لتورطه بتعاطي الربا وإعراضه عن الشرع المطهر واستخفافه بالوعيد الإلهي لأكلة الربا ومدمنيه.

٣- المصائب المنتشرة في العالم:

كثافة المخدرات التي أصبحت من أكبر التجارات العالمية، وكذلك انتشار الأمراض الفتاكة والقاتلة مثل انفلونزا الطيور وجنون البقر وانفلونزا الخنازير، وكذا انتشار ما يسمى بالجريمة المنظمة وغيرها من الذنوب العالمية، فإذن هذه الذنوب الكبار هي بلا شك أوجبت لنا هذا العذاب الأليم المتصل في كثرة الزلازل والفيضانات، وكثرة الأعاصير والرياح التي تبلغ قوتها مائتين كيلومتر في الساعة (٢٠٠ كم/ساعة).

فعلماء الغرب الطبيعيون يقولون "إن هذه الظاهر الكونية لا تعدوا أن تكون حوادث طبيعية ولا علاقة لها بالغيب، فمرة يقولون: سبب هذه الظواهر هو اتساع ثقب الأوزون، ومرة يقولون: ارتفاع

(١) سلسلة دروس للشيخ سلمان العودة (٥/٢٤).

(٢) أخرجه الدراطيني في سننه (٤٠٥/٣) رقم (٢٤٨٨).

درجة حرارة الأرض، ومرة يقولون: تحرك طبقات الأرض وغيرها من الأسباب العلمية، فهذا الكلام فيه حق وباطل.

فالشرع والدين لا يخالف العلم الصحيح، فمثلاً ظاهرة الزلزال تدرس من حيث تحرك طبقات الأرض فنقول سبب الزلزال هو تحرك طبقات الأرض ولكن من خلق هذا السبب، فالجواب هو الله تعالى خالق الأسباب، والذي خلق السبب هو الذي أمر الأرض أن تتزلزل بقدرته وليست الطبيعة، وهذا الاعتقاد هو الذي كان عليه المسلمون وكان عليه النبي ﷺ فقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ». قَالَتْ وَإِذَا تَخَلَّتِ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَخَرَجَ وَدَخَلَ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَتْ عَائِشَةُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ «لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ عَادٍ (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْظَرُنَا)»^(١).

نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

٤- الفواحش التي ملأت الدنيا: وفي ذلك يقول ربنا جل جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ

آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

ومن إشاعة الفاحشة الدعوة للاختلاط ونزع الحجاب وعرض الفساد والفن الرخيص وبيئ السموم والأفكار المستوردة، مما لا يتسع المقام لسرده، وفي الأثر: ((وما أعلن قوم الفاحشة إلا عمتهم الأوجاع والأسقام التي لم تكن في أسلافهم)).

ومن هذا المنطلق فعلى الأمة أن ترجع إلى ربها، وتتوب إلى بارئها، وتتمسك بدينها، وتعمل بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، يرحمها ربها ويرفع ما نزل بها.

وإن أمراض المسلمين قد كثرت وأسباب انحطاطهم قد تعددت ومصائبهم قد توالفت والعقوبات قد عظمت، وقد يزداد الأمر سوءاً على أكثر مما هو عليه، ولكن العاقبة الإسلام^(٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر، (٢٦/٣) رقم (٢١٢٢).

(٢) انظر: مبشرات النصر والتمكين: سيد حسين العفاني (ص ٥٧).

الخاتمة

[النتائج والتوصيات]

الخاتمة

وتشتمل هذه الخاتمة على مجموعة من النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث خلال كتابته لهذا البحث المتواضع، ونبدأ الحديث عن النتائج.

أولا النتائج:

يمكن إبراز النتائج التي توصل إليها الباحث بما يلي:

- ١- الإعراض: هو الصد عن الشيء أو تجاهله أو التولي عنه، وإدارة الظهر وعدم الالتفات إليه والاهتمام به".
- ٢- من تولى عن القرآن وأعرض عنه تلاوةً وتدبراً وعملاً فهو معرض عن كتاب الله تعالى.
- ٣- من يحتكم إلى القوانين الوضعية ويرغب عن أحكام الله الواضحة في القرآن والسنة فهو معرض عن كتاب الله وذكر الله.
- ٤- جاء ذكر الإعراض مصرحاً به في القرآن في واحد وثلاثين موضعاً عبر أربع وستين آية، ولقد تنوعت مشتقات الإعراض التي جاءت للتعبير عنه.
- ٥- مشتقات الإعراض (التولي - الهجر - الصد - الترك) كلها تأخذ نفس معنى الإعراض.
- ٦- إن من أهداف الدعوة إلي الله تقويم الفكر المنحرف ودحض العقائد الزائفة من خلال نشر الوعي الإسلامي في صفوف المسلمين ومحاربة الجهل بينهم. -معرفة الآثار الناجمة عن الإعراض عن ذكر الله وهي: موت القلب، معيشة الضنك، عدم السعادة، والقلق والاكتئاب.
- ٧- أن ذكر الله يشغل اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل لأن العبد لا بد له من الكلام فإن لم يتكلم بذكر الله تكلم بالمحرمات.
- ٨- دعا القرآن إلى الإعراض عن الذين يخوضون في آيات الله، وإلى الإعراض عن اللغو ومجالسه. وذلك حفاظاً على المكانة المرموقة والمستوى الرفيع لشخصية المسلم.
- ٩- يتبين عقوبة المعرضون عن نذر الله بما حل بفرعون وقومه حين كذبوا وكذا ما حل ببني إسرائيل، وهكذا تتوالي نذر الله على عباده الذين خالفوا أمره بأنواع العقوبات.
- ١٠- معرفة المنهج الذي سلكه الرسل في دعوة المعرضين، ليكون ذلك قدوة للدعاة في طريق دعوتهم.
- ١١- اتفاق أولي العزم من الرسل في بعض المناهج المستخدمة في الدعوة إلي الله، مثل الصبر والحوار.
- ١٢- محاربة أعداء الله لدعوة الله ورسله بشتى الوسائل ولا سيما القتل أو الحبس أو النفي، واشتراكهم بذلك.
- ١٣- بيان أشد الكافرين عداوة وإيذاء للرسول ﷺ واستهزاءا بدعوته أبو جهل والوليد بن المغيرة.
- ١٤- جبن بني إسرائيل وحرصهم علي الحياة وفرارهم عند القتال وعدم جرأتهم علي القتال إلا من وراء الحصون.

١٥- تتوع العقوبات التي حلت بالأقوام السابقة ولقد كانت العقوبة مناسبة لكل أمة علي عملها وفعلها وفسادها وذلك لقول الله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

١٦- العقوبات في عصرنا الحالي تظهر من خلال ما يشاهد من تسلط الكفار واستعلائهم، و انتشار الأمراض والأوبئة، ونقص في الأموال والأنفس والثمرات.

١٧- ما من أمة ضيعت أمر الله وحدوده إلا شاع فيها الذعر والفرع والاضطراب، وقل خيرها، وذهبت بركتها، وضاعت أرزاق أهلها .

ثانياً: التوصيات:

يمكن إبراز التوصيات على النحو التالي:

١- أوصي طلبة العلم الشرعي، وخاصة طلبة التفسير وعلوم القرآن أن يتناولوا كل المواضيع الموجودة في القرآن الكريم بالدراسة والبحث.

٢- أن يتناولوا دراسة نظائر الإعراض دراسة مستفيضة لكثرة ورودها في القرآن الكريم؛ ولأنها تحمل وجوهاً متعددة.

٣- أوصي المتخصصين في دراسات العلوم الكونية الرجوع إلي القرآن وتفسيره العلمي ليستفيدوا من الإعجاز العلمي الوارد فيه.

٤- أوصي الباحثين في التفسير الموضوعي باستنباط الجوانب الدعوية من القرآن وخاصة فيما يتعلق بدعوة الرسل لأقوامهم، فإن الرسل قد بشروا وأنذروا وصبروا في دعوتهم مستخدمين أروع مناهج الدعوة التي يحتاجها الدعاة في عصرنا هذا.

٥- علي الأمة الإسلامية وخاصة في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها أن تجدد ثقافتها بربها وتحسن علاقتها معه وذلك بالعودة إلي كتابه والتمسك بهديه وبسنة نبيه ﷺ، حتى تأخذ مكانها اللائق بها من الصدارة والريادة في هذا العالم كما كان أجدادها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

و الصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى

يوم الدين،،،،

بِسْمِ اللَّهِ

الفهارس العامة

- أولاً: فهرس الآيات القرآنية
- ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية
- ثالثاً: فهرس الأعلام
- رابعاً: ثبت المصادر والمراجع
- خامساً: فهرس الموضوعات

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

م	اسم السورة والآية	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة			
١.	حَمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ	٧	٤٨
٢.	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ	١١-١٢	٧٥
٣.	يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ	٤٠	٣٧
٤.	ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	٥٢	٣٨
٥.	وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَى إِنَّ نُؤْمَانَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ	٥٥	٨٣
٦.	وَوَضَّعْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى	٥٧	١٢٠
٧.	فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ جَحِيمٍ مِنَ السَّمَاءِ	٥٩-٦١	١٢٢-٧٩
٨.	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ	٦٣	٨٢
٩.	فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ	٦٦-٧٢	٧٦-١٢٥ ٨٢
١٠.	بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	٨١	٨٢
١١.	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ مِنْ رُوحِ الْقُدُسِ	٨٧	٨٥
١٢.	بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيثًا	٩٠	٨٢
١٣.	وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ	٩٦	٨٣
١٤.	مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ	٩٨	٨٣
١٥.	أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَدَّه فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	١٠٠-١٠٢	٨٣-٨٠

١٢٣	١٠٨	أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَبَدِّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ	١٦
٨٤	١٢٠	وَلَنْ نَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ	١٧
٥٧-٤٨	١٥١	كَمَا أَمْرُسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ	١٨
٨٠	٢١١	سَلِّ نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيْنَهُ وَمَنْ يَدِدْ لِنَعْمَةِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ	١٩
٣٦	٢٠٠	فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ الَّذِي كَذَّبَكُمْ عَنْ آبَائِكُمْ وَأَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا	٢٠
١٥٠	٢٤٦	أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالَوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ائْتِنَا مَلِكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	٢١
١٢٩-١٠٩	٢٥٩-٢٥٧	اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ	٢٢
٩٢	٢٦٣	قَوْلٍ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٍ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يُبْعَثُ أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ	٢٣
٧٦-٦٦	٢٧٣-٢٧٢	لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُفْقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسُكُمْ	٢٤
٧٦-٦١	٢٧٧-٢٧٦	يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيدُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ	٢٥
٥٧	٢٨٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ	٢٦
سورة آل عمران			
١٧١	١١-١٠	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ	٢٧
٨٦	٢١	إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ	٢٨
١٢٨	٥٢	فَلَمَّا أَحْسَسَ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ	٢٩
١٠	٦٣	فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ	٣٠
٨١	٦٩	وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ	٣١
٨٥	٧١	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ	٣٢

٨١	٩٩-٩٨	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ	٣٣
٥٩-٢٩	١٠٤	وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	٣٤
٢٩	١١٠	كُتِبَ عَلَيْكُمُ اتِّخَاذُ الذِّكْرِ فَإِذَا ذُكِّرْتُمْ لَا تَعْلُوا إِنَّمَا الذِّكْرُ لِمَنْ يَتَذَكَّرُ بِهِ لَعَلَّه يَتَّقِي اللَّهََ الْعَظِيمَ الَّذِي لَهُ يُنَزَّلُ الْوَحْيُ الْحَقُّ	٣٥
٦٦	١٢٨	لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ	٣٦
١٣٢	١٥٩	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ	٣٧
٨١	١٨١	لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ	٣٨
٧٠	١٨٦	لَتَبْلُغُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ أَهْلًا مِمَّنْ تَبْغُونَ وَلَسْتَ بِمُؤْمِنٍ إِلَّا لِمَنْ أَلْفَقْتُمْ لَتَأْتِيَنَّكُمْ جَنَّاتُ الْبَقْعَةِ الَّتِي يُوعَدُ الْمُؤْمِنُونَ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ لَا يَدْخُلُونَهَا إِلَّا مَنْ أَدْبَرَ أَعْيُنَهُ وَفِي جَنَّاتِهِمْ جَنَّاتُ الْأَعْقَابِ	٣٩
سورة النساء			
١٥	٣٤	الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ	٤٠
٨١-٨٠	٤٦	مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ	٤١
٨٢-٧١	٥١	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَيِّتِ وَالطَّاعُوتِ	٤٢
١٩	٦١	وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ مَرَّاتٍ مَتَّفِقِينَ صَدُّوا عَنْكَ صُدُوكَ	٤٣
٣	٦٣	أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا	٤٤
١٠	٨٩	وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ	٤٥
٣٧	١٠٣	فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا لِلَّهِ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ	٤٦
٩٠	١٢٨	وَإِنَّ امْرَأَةً حَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا	٤٧
-٧٣-٧٢ ٤٩-٧٥	١٤٥-١٣٨	بَشِّرِ الْمُتَّقِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا جُعِلَ الشَّكْرُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْقِيَامُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ	٤٨
٨٥-٧٩	١٥٥-١٥٠	إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يُؤْمِنُونَ أَنَّهُمْ سَوَاءٌ قَوْمًا بِآيَاتِ اللَّهِ وَمَا يُرْسِلُ بِهِ رَسُولَهُ فَاتَّخِذُوا لَهَا حُجَّةً	٤٩

٣٢	١٦٥	مُرْسَلًا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ	٥٠
٣٩	١٦٧	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا	٥١
٨٥	١٧١	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ الْإِنْفِاقَ	٥٢
سورة المائدة			
٣٣	١٦	يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ مِرْضَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ	٥٣
١٢٤-١٢٣	٢٦-٢١	يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ	٥٤
٨٥	٤١	يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ	٥٥
٣٣	٥٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ	٥٦
٨١	٥٨-٥٧	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا	٥٧
٨١	٦٤	وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدْعَى اللَّهُ مَغْلُوبَةً عَلَتْ أَيْدِيَهُمْ وَعِينُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ	٥٨
٣٢	٦٧	يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ مَرْسَلَتَهُ وَاللَّهُ يَجْضَمُكَ مِنَ النَّاسِ	٥٩
١٢٧	٧٥	مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ	٦٠
٣٠	٧٨	لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ	٦١
٨٤-٨٢	٨٢-٨٠	تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ	٦٢
٣٠	١٠٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ	٦٣
١٢٨-١٢٦	١١٣-١١٠	إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ	٦٤
١٢٧	١١٧-١١٦	وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّكَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ الْهَيْبِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ	٦٥
سورة الأنعام			
١٢٦	٣٤	وَقَدْ كَذَّبْتَ مِرْسَلًا مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرًا وَعَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأُودُوا	٦٦

٨٧	٦٨	وَإِذَا مَرَأَتُ الَّذِينَ يُحُضُّونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ	.٦٧
١٠٣	٧٩-٧٥	وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكَوَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُوقِنِينَ	.٦٨
١٠٢-٨٢	٩١-٩٠	أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آتَنَّهُ	.٦٩
٤٩	١٢٢	أَوْ مِنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ	.٧٠
الأعراف			
١٩	٤٥	الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْتَدِي عَدُوًّا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ	.٧١
-٩٧-٦٩ ١٦١-٩٩	٦٩-٥٩	لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ	.٧٢
١٦٤-١٤١	٧٩-٧٣	وَإِلَىٰ شُعُوبٍ أُخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ	.٧٣
١٦٢	٨٦-٨٥	وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ	.٧٤
-١٢٠ ١٧٢-١٣٣	١٣٣-١٣٢	وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرْنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ	.٧٥
١٢٣-٨٥	١٣٨	وَجَاوَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْتَبُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ	.٧٦
٨٥	١٤٠	قَالَ اغْبِرُّوا إِلَهُاتِكُمْ إِنَّهَا لَهُمْ قُلُوبُهَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ	.٧٧
٨٣	١٤٦	سَاءَ صَرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ	.٧٨
١٢١	١٧١	وَإِذْ نَقَعْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَقِعٌ لَهُمْ	.٧٩
٥٦	١٧٩	وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا	.٨٠
٧٦	١٩٩	﴿ خُذِ الْعَمَلُ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾	.٨١
سورة الأنفال			
٤١	٢	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ ﴾	.٨٢

١٠	١٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَرِحُوا فَمَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ	٨٣
١٠	٢٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَمَرْسُولَهُ وَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَاسْمَعُوا	٨٤
٣٤	٢٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ	٨٥
٨٤-٧٠	٣٠	وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ	٨٦
١٧١	٥٢	كَذَّابٍ لَّ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ	٨٧
سورة التوبة			
١٧٣	٢٥-٢٤	قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا	٨٨
٨٠-٧٩	٣٠-٢٩	فَاتُّلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكَانَ الْآخِرُ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ	٨٩
٦٢-٣٣	٣٤-٣٣	هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ	٩٠
٣١	٦٨-٦٧	الْمُتَافِقُونَ وَالْمُتَفَاتِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ	٩١
٧٣-٣١	٧٧-٧١	وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ	٩٢
٧٤	٩٨-٩٧	الَّذِينَ آمَنُوا وَآخَرًا وَقَفَافًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ	٩٣
١٣٣	١٢٨	لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ	٩٤
سورة يونس			
١٣٥	٢	أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا	٩٥
١٠	٧٢	فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ	٩٦
سورة هود			
٦٠	٥	إِنَّا إِنهٖم يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَنْخِفُونَ مِنْهُ إِذِ ابْنَ يَسْتَعْشِرُونَ بَيْنَهُمْ	٩٧
٩٩-٩٦	٢٨-٢٦	أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآلِيمِ	٩٨

١٠١-٩٧	٣٢	قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ	٩٩.
١٠٦-٩٦	٣٩-٣٨	وَيَصْعُقُ الْفُلُكَ وَكَلَّمَكَ مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ	١٠٠.
١٠٠	٤٢	وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَتَادِي نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ	١٠١.
١٦٤	٦٢	قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا	١٠٢.
١٦٤	٦٤	وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَكَانَ تَمَسُّوهَا سُوءًا	١٠٣.
١٦٣-١٦٢	٩١-٨٩	وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ	١٠٤.
٣٧	١١٤	وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرِيفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ	١٠٥.
سورة يوسف			
١٤٤	٨٤	وَنَوَى عَلَيْهِمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ	١٠٦.
١٤٤	٨٦	قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ	١٠٧.
٥٧	١٠٥	وَكَأَنَّ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ	١٠٨.
١٣١-١٠٢	١٠٨	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ	١٠٩.
سورة الرعد			
٤٦-٤٠	٢٨	الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ	١١٠.
سورة إبراهيم			
٦٢	١٩	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ	١١١.
٥٨	٢٠	وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ	١١٢.
٥١	٣٤-٢٨	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَامِرَ الْبَوَاسِرِ	١١٣.
٤٣	٤٧-٤٢	وَمَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ	١١٤.
سورة الحجر			

١٣٥	٦	وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ	١١٥
١٦٩	٧٦	وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ	١١٦
١٦٩	٨٥	وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ	١١٧
٣٢	٩٤	فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ	١١٨
سورة النحل			
٤٦	٩٧	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتًا طَيِّبَةً	١١٩
١١٩	١٢١	شَاكِرًا لِنِعْمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	١٢٠
١٠٢	١٢٣	ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ	١٢١
١٣١-١٠٢	١٢٥	ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ!	١٢٢
سورة الإسراء			
٩١	٢٦	وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْدُرْ تُبُودًا	١٢٣
٩٢-٩١	٢٨	وَأِمَّا تُغْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْحَمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا	١٢٤
٥٣	٦٧	وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًُا فَلَمَّا نَجَاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ	١٢٥
١٢٠	١٠١	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْتَأْذَنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ	١٢٦
سورة الكهف			
١٣٤	٦	فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا	١٢٧
١٤٨	٢٨	وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ	١٢٨
٥٥-٣٨	٥٧	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاہُ	١٢٩
سورة مريم			
١١٢-١٦	٤٧-٤٢	إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا	١٣٠

١٥١	٦٦-٦٥	قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنُكَلِّمِي وَإِنَّمَا أَنُكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى	١٣١.
١٢٥	٩٨-٩٥	قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ	١٣٢.
٣-٣٨- ٤٣-٤٧	١٢٤	وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَيَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى	١٣٣.
سورة الأنبياء			
٣٦	٧	وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	١٣٤.
٦٤	١٠	لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ	١٣٥.
٣٥	٢٤	أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلُوبًا بِرِهَانٍ لَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي	١٣٦.
٥٦-٣	٣٢	وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ	١٣٧.
١٠٦-٣٦	٥١-٥٠	وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ	١٣٨.
١١٦-١٠٦	٦٩-٦٧	أَفِ لَكُمْ وَلَكُمَا نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ	١٣٩.
٦١	٧٣	وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يُهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ	١٤٠.
٣٦	١٠٥	وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ	١٤١.
٣٢-١٤٣- ١٤٨	١٠٧	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ	١٤٢.
سورة الحج			
٥٢	٦٦-٦٥	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَأَلْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبِحْرِ بِأَمْرِهِ	١٤٣.
سورة المؤمنون			
٦٤	٣-١	قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ	١٤٤.
١٧١	٤٨	فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ	١٤٥.

١٥	٦٧	مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ	١٤٦
٥٧	٧١-٧٠	أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ	١٤٧
سورة النور			
١٠-٣٥	٤٧-٥٦	وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ	١٤٨
٤٣-٦١			
٣٤	٦٣	لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا	١٤٩
سورة الفرقان			
١٥-٤٠	٢٧-٣٠	وَيَوْمَ يَعْصِيُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا	١٥٠
٤٢-٥٤			
سورة الشعراء			
١٢١-١٢٥	١٦-٣٤	فَأْتِيَافِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ	١٥١
١٢٥	٤٢	قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُتَّقِينَ	١٥٢
١٢٥	٤٤-٥١	فَالْقَوْمَ حِبَالَهُمْ وَعَصِيهِمْ وَقَالُوا بَعْرِزَّةٌ فِرْعَوْنِ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ	١٥٣
٤٤	٨٨-٨٩	يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ	١٥٤
١٦٧	١٢٣-١٣٩	كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ	١٥٥
سورة النمل			
١٢١	١٢-١٣	وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ	١٥٦
١٠	٢٨	أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ	١٥٧
١٩	٤٣	وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ	١٥٨
١٧٠	٥٨	وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ	١٥٩
سورة القصص			
١٤٦-١٤٧	٢٣-٢٨	وَلَمَّا مَرَدَ مَاءٌ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْفُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أُمَّرَاتَيْنِ نَذْوَدَانِ	١٦٠

٧٦-٦٥	٥٦-٥٢	الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ	١٦١
سورة العنكبوت			
١٠٦-٩٥	١٤	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ	١٦٢
١٦٣	٣٧	فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ	١٦٣
١٣٢-١٠٢	٤٦	وَمَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْبَاطِلِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ	١٦٤
سورة السجدة			
٥٦	٢١	وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْكَبِيرِ لَعَلَّهُمْ يُرْجَعُونَ	١٦٥
٣٨-٣	٢٢	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ	١٦٦
سورة الأحزاب			
٩٤	٧	وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ	١٦٧
٧٤-١٠	١٥	وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُوا الْآيَاتِ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مُسْتَوْثِقًا	١٦٨
٧٤-٣٩	١٨	فَدَعَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا	١٦٩
٣٢	٣٩	الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا	١٧٠
سورة فاطر			
١٣٤	٨	أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ	١٧١
سورة يس			
١٥٨	٨٠-٧٩	قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ	١٧٢
سورة الصافات			
٢٢	٨٧	وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ	١٧٣
١١٨	١٠٢	فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ	١٧٤

سورة ص			
٣٨-١٤٨	٢-١	ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ	١٧٥
٣٦	٨	أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابَ	١٧٦
٣٧	٣٢	فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحِجَابِ	١٧٧
سورة الزمر			
٥٦	٦	خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَنْزَوَاجٍ	١٧٨
سورة غافر			
١٣٧	٢٨	وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ	١٧٩
١٢٧	٥١	إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ	١٨٠
سورة فصلت			
١٦٦	١٣	فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ	١٨١
١٦٧	١٥	فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً	١٨٢
٣١	٣٥-٣٣	وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ	١٨٣
٤٠	٥١	وَإِذَا أَعْمَتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَبَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ	١٨٤
٥٥	٥٣	سُنِّرَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْإِفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ	١٨٥
سورة الشورى			
٥٣-٣٢	٤٨	فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ	١٨٦
٣٣	٥٣-٥٢	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ	١٨٧
سورة الزخرف			
٣٧	٥	أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَاحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ	١٨٨

٥٢	٩	وَلَكِنَّ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ	١٨٩
٥٢	١٥-١٠	الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ	١٩٠
١٥٧	٣٢-٣١	وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ مَرْجُلٍ مِنَ الْقُرْبَيْنِ عَظِيمٍ	١٩١
٣٨	٣٦	وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ	١٩٢
٣٧	٤٤	وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ	١٩٣
١٩	٥٧	وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونُ	١٩٤
سورة الدخان			
١٣٥-٧١	١٤	ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَجْنُونٌ	١٩٥
سورة الجاثية			
٥٧	١٣	وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ	
سورة الأحقاف			
٦٠	٣	مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى	١٩٦
١٦٨	٢٤	فَلَمَّا رَأَوْهُ كَارِهُنَّ أَتَيْنَهُنَّ فَأَتَيْنَهُنَّ فَتَوَلَّوْنَ وَهَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرٌ نَّارٌ	١٩٧
١٦٨	٢٥	تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ	١٩٨
٩٤	٣٥	فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ	١٩٩
سورة محمد			
٩	٢٢	فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ	٢٠٠
٣٩	٣٢	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ	٢٠١
٣٩	٣٤	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَا تَوَّابُوا وَهُمْ كَافِرُونَ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ	٢٠٢
سورة الفتح			

١٣٤	٢٩	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ مَرْحَمَاءٌ بِهِنَّ	.٢٠٣
سورة الذاريات			
٩١-٥٥	٢١-١٦	أَخَذِينَ مَا آتَاهُمْ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ	.٢٠٤
١٦٦-١٦٠	٤٤	فَعَنَّا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَآخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ	.٢٠٥
١٣٥	٥٢	كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْتُنُفٌ	.٢٠٦
١٠	٥٥-٥٤	فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلَكُومٍ	.٢٠٧
سورة الطور			
١٣٦	٢٦	قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ	.٢٠٨
١٣٦	٢٩	فَذَكَرْنَا أَنْتَ نِعْمَةَ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَكَا مَجْنُونٍ	.٢٠٩
سورة النجم			
٧٦	٢٩	فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا	.٢١٠
١٠٢	٣٧	وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى	.٢١١
سورة القمر			
-٩٦-٥٨ ١٦١	١٦-٩	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَانذِرْ	.٢١٢
١٦٠-١٣٦	٢٦	سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ	.٢١٣
١٦٦	٣١	إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ	.٢١٤
١٧٢-١٦٨	٤٢-٤١	وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ	.٢١٥
سورة الحديد			
٤٠	١٦	الْمَرِيَّانَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ	.٢١٦
٥٦	٢٥	لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ	.٢١٧

سورة المجادلة		
٨٩	١١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسَحَّوْا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ
سورة الحشر		
٤٥	٢١	لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّنْصَدَعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
سورة الممتحنة		
١١١	٤	قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ
سورة الصف		
١٢٦	٦	وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
١٢٧	١٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
سورة الجمعة		
٨٢	٥	مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ
سورة المنافقون		
٣٩	٢	اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
٧٤	٥-٤	وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خَشَبٌ مُّسْتَدَدٌ
٧٤	٨-٧	هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلَكِنْ خِرَافَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
سورة الطلاق		
٣٧	١١-١٠	أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا
سورة التحريم		
٧٣	٩	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
سورة الحاقة		
١٦٨-١٦٦	٧-٥	فَأَمَّا نُمُودٌ فَأَهْلِكُوهَا بِالصَّغِيَةِ

١٣٦-٧١	٤٢-٤١	وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ	.٢٣٠
سورة المعارج			
٩١-٦١	٢٤	وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ	.٢٣١
سورة نوح			
١٠٠-٩٧	٥-١	إِنَّا أَمَرْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	.٢٣٢
٩٩-٩٧	١٢-١٠	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّي إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا	.٢٣٣
سورة الجن			
٣٨	١٧	لَتَنقُصَنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي سَسُأَلْهُ عَذَابًا صَعَدًا	.٢٣٤
سورة المزمل			
١٣٥-١٦	١٠	وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا	.٢٣٥
سورة المدثر			
١٥٦-٢٨	٧-١	يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ	.٢٣٦
١٥٧	٢٥-١١	ذُرِّيٍّ وَمِنْ خَلْقٍ وَحِيدًا	.٢٣٧
٣٨	٥٠-٤٩	فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ	.٢٣٨
سورة القيامة			
٤٠	٢١-٢٠	كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ	.٢٣٩
١٥٥	٣٣-٣١	فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى	.٢٤٠
سورة عبس			
١٤٨	١٠-١	عَبَسَ وَتَوَلَّى	.٢٤١
٥٣	٢٣-١٧	قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ	.٢٤٢
سورة التكوير			

١٣٥	٢٢	وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ	.٢٤٣
سورة الغاشية			
٥٥	١٧	أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ	.٢٤٤
٦٦	٢٢-٢١	فَذَكَرْنَا بِمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ	.٢٤٥
سورة الشمس			
١٦٤	١٥-١١	كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا	.٢٤٦
سورة العلق			
١٥٥-٥٧	١٩-٥	عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ	.٢٤٧
سورة الزلزلة			
٤٩	٥-١	إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزِلَاتِهَا	.٢٤٨
سورة العاديات			
٥٣-٤٠	٨-٦	إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ	.٢٤٩

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

م	الحديث	الراوي	مكان وروده
١.	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده	مسلم	٥٩-٢٩
٢.	ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا له من أمته حواريون	ابن أبي شيبة	٢٩
٣.	إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل	أبي داود	٣٠
٤.	إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه	الترمذي	٣٠
٥.	والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر	أحمد	٣١
٦.	من دل على خيرٍ فله مثل أجر فاعله	مسلم	٣١
٧.	من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه	أحمد	٣١
٨.	لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه	البخاري	٣١
٩.	لا يبقي على ظهر الأرض بيت مدرٍ ولا وبرٍ	أحمد	٣٤
١٠.	كنت أصلي فمر بي النبي ﷺ، فدعاني	البخاري	٣٤
١١.	إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه	أحمد	٤١
١٢.	أنا عند ظن عبدي وأنا معه إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي	البخاري	٤١
١٣.	إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك	مسلم	٤٢
١٤.	ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله	البخاري	٤٤
١٥.	إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم	مسلم	٤٤
١٦.	يا أيها الناس، ما لكم حين نابكم	البخاري	٥٩
١٧.	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله	البخاري	٦٢
١٨.	من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع	البخاري	٦٢
١٩.	(خمس بخمس) قالوا يا رسول الله: وما خمس بخمس	الطبراني	٦٣
٢٠.	إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً	البخاري	٦٤
٢١.	بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً	البخاري	٦٤
٢٢.	حَشِيَّتْ سَوْدَةٌ أَنْ يُطْلَقَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَتْ	الترمذي	٩٠
٢٣.	كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاءَ يَنْظُرُ	البخاري	١٢٣
٢٤.	ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء	البخاري	١٣٤

١٣٠	مسلم	أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر، ونبي التوبة	.٢٥
١٥٧	البخاري	أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكانه رق له	.٢٦
١٦٨	مسلم	نُصِرْتُ بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور	.٢٧
١٧٥	أبو داود	يُوشِكُ الأُمَّمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكْلَةُ	.٢٨
١٧٥	أحمد	قَالَ لَعَنَ اللهُ أَكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَشَاهِدِيهِ وَكَاتِبَهُ	.٢٩
١٧٦	الدارقطني	دَرَّهْمٌ رَبًّا أَشَدُّ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ سِنَّةٍ وَثَلَاثِينَ زِينَةً	.٣٠
١٧٧	مسلم	اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ	.٣١
٧٣	البخاري	قال المؤمن الذي يقرأ ويعمل به كالأترجة	.٣٢
٧٥	البخاري	أربع من كن فيه كان منافقا خالصا	.٣٣
٧٥	مسلم	مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين	.٣٤
٧٨	البخاري	لما كان يوم حنين آثر رسول الله ناسا من أشرف العرب في القسمة	.٣٥
٧٨	البخاري	قدم عيينة ابن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس	.٣٦
٨٧	البخاري	أنه غزا مع رسول الله قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ	.٣٧
د	أبو داود	لا يشكر الله من لا يشكر الناس	.٣٨

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

م	العَلَم	مكان ترجمته
.١	الراغب الأصفهاني	٣
.٢	ابن فارس	٤
.٣	الليث	٢٢
.٤	أبو العالية	٩
.٥	أبو جهل	١٥٦
.٦	الوليد بن المغيرة	١٥٦
.٧	ابن عطية	١١٣

رابعاً: ثبتت المصادر والمراجع

١. الأعلام : لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة العاشرة ١٩٩٢م.
٢. أحكام القرآن أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر -الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٤٠٥ -تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .
٣. أحكام النشوز في الشريعة الإسلامية/ياسين الجماسي _بحث غير منشور_ مقدم لنيل درجة الماجستير في الفقه المقارن من كلية الشريعة الجامعة الإسلامية بغزة-١٩٩٩م
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/محمد الأمين الشنقيطي:ضبطه وصححه وخرج آياته: الشيخ نحمد عبد العزيز الخالدي - منشورات:محمد علي بيضون- لنشر كتب السنة والجماعة - دار الكتب العلمية- - بيروت - لبنان- ط الأولى-١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٥. الأساس في التفسير /سعيد حوى_دار السلام _بيروت _لبنان_ط الأولى_١٤٠٥ هـ .
٦. أولو العزم من الرسل/ محمد عبد الله السمان، ط الثانية٢/١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٧. أيسر التفاسير/ أسعد حومد ،موقع التفاسير <http://www.altafsir.com>
٨. أيسر التفاسير/أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٩. بدائع الصنائع: ابن عابدين لناشر دار الكتاب العربي، سنة النشر ١٩٨٢م- بيروت.
١٠. البداية والنهاية /لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(ت ٧٧٤) هـ .
١١. تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الزبيدي: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عند ابو نزار .
١٢. تفسير التحرير والتنوير / محمد الطاهر ابن عاشور: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس
١٣. تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) / أبو السعود محمد بن محمد العمادي: الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت .
١٤. التفسير الكبير المسمى " البحر المحيط " / لأبي عبد الله ،محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بأبي حيان الأندلسي - وبهامشه النهر الماد وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط ،- دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط الثانية- ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

١٥. تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) / عبد الرحمن بن محمد ابن مخلوف الثعالبي : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
١٦. تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) / الإمام البيضاوي - تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٦م.
١٧. تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل) / علاء الدين علي ابن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن- ومعه تفسير البغوي المسمى "معالم التنزيل للحسين بن مسعود الفراء البغوي- دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ط الأولى - ١٤١٥م - ١٩٥٥م.
١٨. تفسير الشعراوي -خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم /: أخبار اليوم - قطاع الثقافة.
١٩. تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب / فخر الدين الرازي: دار الكتب العلمية - بيروت- ط الأولى- ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
٢٠. تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل) / محمد جمال الدين القاسمي - تعليق وتخرىج الآيات والأحاديث: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء الكتب العربية .
٢١. تفسير النيسابوري، موقع التفاسير <http://www.altafsir.com>
٢٢. تفسير النسفي/ لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي
٢٣. تفسير المراغي/للأستاذ أحمد مصطفى المراغي _ دار الفكر _ بيروت_ ط الثالثة _ ١٣٩٤ هـ
٢٤. تفسير القرآن العظيم / الحافظ ابن كثير - للمحقق : سامي بن محمد سلامة الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع ط : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م الشاملة ٢.
٢٥. تفسير الجلالين/ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي - وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - الناشر : دار الحديث - القاهرة - ط الأولى .
٢٦. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج / د. وهبة الزحيلي: دار الفكر - دمشق - ط الأولى- ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
٢٧. تفسير القرآن الكريم /للدكتور عبد الله شحادة- دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع.
٢٨. الدرر في تناسب السور/ جلال الدين السيوطي - دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى- ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٩. تهذيب اللغة / أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهرى - تحقيق: محمد خفاجي -
محمود تناسق العقدة: الدار المصرية والمؤسسة المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة - ١٩٦٤م.
٣٠. تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تحقيق
عبد الرحمن بن معلاً اللويحق: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط الأولى - ٢٠٠٠م.
٣١. تفسير جامع البيان في تفسير القرآن / ابن جرير الطبري : دار الكتب العلمية - بيروت -
لبنان - ط الثالثة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٢. تفسير الجامع لأحكام القرآن / تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
- تقديم: هاني الحاج، حققه وخرج أحاديثه: عماد زكي البارودي - خيرى سعيد: المكتبة التوفيقية.
٣٣. الجامع الصحيح المختصر - صحيح البخاري - امحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي
- الناشر: دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ط الثالثة ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ - تحقيق: د. مصطفى
ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق .
٣٤. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم / للإمام زين الدين عبد الرحمن
بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي - دار المنار - القاهرة - ط الأولى - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٣٥. خصائص الدعوة الإسلامية مصادرها - غاياتها - شمولها / د. محمد أمين بني عامر، ط
الأولى / ٢٠٠٠.
٣٦. خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمانة / د. فضل حسن عباس - ط الأولى - ١٤١٠هـ -
١٩٩٠م - دار البشير للتوزيع والنشر.
٣٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون / شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن
إبراهيم المعروف بالسمن الحلبى - تحقيق: أحمد محمد الخراط: دار القلم - دمشق - ط الأولى -
١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٣٨. دليل السائلين / أنس إسماعيل أبو داود - ط الأولى - ١٤١٦هـ - ٢٠٠٤م - مطبعة أنوار
دجلة - بغداد. الدر المنثور / جلال الدين السيوطي: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣م.
٣٩. الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام / لأبي عبد الرحمن السهيلي - مكتبة ابن تيمية
_ القاهرة - ١٤١٠هـ
٤٠. روضة الناظر ونزهة خاطر (الجزء من جنس العمل): سيد حسين العفاني، مكتبة معاذ بن
جبل، ط السابعة، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

٤١. تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / شهاب الدين محمود الأوسي:
دار إحياء التراث العرب.

٤٢. زاد المسير في علم التفسير / عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - الناشر: المكتب
الإسلامي - بيروت - ط الثالثة ، ١٤٠٤ هـ .

٤٣. زاد المعاد في هدي خير العبادا محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله - الناشر :
مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت ط الرابعة عشر ، ١٤٠٧ - ١٩٨٦
-تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط ي

٤٤. سنن أبي داود / سليمان بن أشعث السجستاني - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: دار
الفكر.

٤٥. سنن البيهقي الكبرى / أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي - تحقيق: محمد
عبد القادر عطا - مكتبة دار الباز - مكة - ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م.

٤٦. سنن الترمذي (الجامع الصحيح) / أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق: أحمد
محمد شاکر وآخرون: دار إحياء التراث العربي - بيروت. الأحاديث مذيبة بأحكام الألباني عليها .

٤٧. سنن النسائي الكتاب: سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ١ لأبي عبد الرحمن
أحمد بن شعيب النسائي المحقق : مكتب تحقيق التراث الناشر : دار المعرفة ببيروت ط: الخامسة
١٤٢٠ هـ .

٤٨. سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها/ محمد هيشور، ط
الأولي/١٤١٧هـ/١٩٩٦م/المعهد العالمي للفكر الإسلامي- القاهرة.

٤٩. السنن الإلهية في الأمم والأفراد/ مجدي محمد عاشور، ط الثانية/١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، دار
السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

٥٠. سير أعلام النبلاء / أبو عبد الله الذهبي - تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوس:
مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٩ - ١٤١٣ هـ.

٥١. صحيح مسلم / الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار
إحياء التراث - بيروت .

٥٢. صحيح مسلم بشرح النووي / أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي: دار إحياء التراث
العربي - بيروت - ط ٢ - ١٣٩٢ هـ.

٥٣. صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط الأولى - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٥٤. ضغوط الحياة أسبابها، الوقاية من أثارها، أساليب التعايش معها/ عبد العزيز بن عبد الله الحسيني، دار اشبيلية للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية - ط الأولى/١٤٢١هـ.
٥٥. العين/ لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م
٥٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر : دار المعرفة - بيروت .
٥٧. تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/ محمد بن علي الشوكاني
٥٨. فقه الأدعية والأذكار/ لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ١٨، دار عفان للنشر والتوزيع - الخبر السعودية - ط الأولى/ ١٤٣١هـ.
٥٩. في ظلال القرآن / سيد قطب: دار الشروق - بيروت ، القاهرة - ط ٣٣ - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٦٠. الفوائد: ابن القيم الجوزية، دار أحياء الكتب العربية.
٦١. فقه الدعوة: بسام العموش - ط الأولى - دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن ٢٠٠٥ - ١٤٢٥ هـ في رحاب التفسير/ عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث.
٦٢. القصص القرآني: د. صلاح الخالدي، دار القلم، ط الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
٦٣. قصص القرآن الكريم: د. فضل حسن عباس، دار النفائس - الأردن.
٦٤. القاموس المحيط / محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - دار الفكر.
٦٥. كتاب ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن/د. مصلح سيد بيومي، ط الثانية، ١٩٧٩م، ١٣٧٩ هـ - المكتبة التوفيقية.
٦٦. الكبائر/ للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله بن محمد الذهبي - ط الأولى - ١٧٤ هـ - ١٩٨٧م - دار الصابوني للنشر والتوزيع.
٦٧. كتاب الكليات / لأبي البقاء الكفومي - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري - دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٦٨. لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري "ابن منظور" الناشر : دار صادر - بيروت ط الأولى عدد الأجزاء : ١٥ موافق للشاملة الثانية
٦٩. مبشرات النصر والتمكين/ سيد حسين العفاني، ص٥٧، ط الأولى/١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م- مكتبة معاذ بن جبل.
٧٠. مفردات ألفاظ القرآن / الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم - دار النشر / دار القلم . دمشق .
٧١. تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي - تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد : دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٩٩٣م.
٧٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/ أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي - لناشر : المكتبة العلمية - بيروت .
٧٣. مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر الرازي - الناشر : مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - الطبعة طبعة جديدة ، ١٤١٥ - ١٩٩٥ تحقيق : محمود خاطر.
٧٤. مسند أحمد بن حنبل / الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون - الناشر : مؤسسة الرسالة ط: الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .
٧٥. معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي / أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ] - حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع - ط: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
٧٦. مع الأنبياء وجهادهم من خلال سورة الأنبياء/ محمود عبد الحميد الأحمد، ط الأولى/٢٠٠٣م- دار الفكر - دمشق.
٧٧. معجم مقاييس اللغة / أبو الحسن ابن فارس - تحقيق: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر - بيروت - ط : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٧٨. مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة/ لابن القيم الجوزية، مكتبة الرياض الحديثة.
٧٩. الموسوعة الفقهية/ ط الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ - حقوق الطبع محفوظة لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت.
٨٠. المدخل إلي علم الدعوة / محمد أبا الفتح البيانوني - ط أولى - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٩١م.

٨١. مع الله /محمد الغزالي_ ط الثالثة_ طبعة مخيم_ ١٩٦٥م.
٨٢. مجلة الجامعة الإسلامية_ سلسلة الدراسات الشرعية _المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، حزيران ١٤٢٤هـ، يونيو ٢٠٠٤م.
٨٣. الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب/ سعود بن عبد الله الحزيمي، دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.
٨٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / برهان الدين البقاعي - خرج آياته وأحاديثه: عبد الرازق المهدي: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الثانية - ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
٨٥. نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية/ خالد عبد الواحد، دار الكتاب للطباعة والنشر (٦٠١/٦٠٠).
٨٦. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن "تفسير الواحدي".
٨٧. الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز/ الإمام الشيخ أبي عبد الله الحسين بن محمد الدمغاني تقديم وتحقيق:عربي عبد الحميد علي منشورات: محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان. - ط الأولى- ٢٠٠٣م_ ١٤٢٤هـ.
٨٨. الأخلاق الإسلامية-أساسها/ عبد الرحمن حنبكة الميداني/دار القلم- دمشق للطباعة والنشر.
٨٩. العبادة في الإسلام أسسها وفلسفتها ومفهوماتها وحكمها وذكر الله فيها/ للشيخ عبد الرحمان حنبكة الميداني، ص ٧٨، مؤسسة الرعان للطباعة والنشر-بيروت-لبنان- ط الأولى-١٤١٨هـ.
٩٠. القلب ووظائفه في الكتاب والسنة/ سلمان بن زيد بن سليمان اليماني ٢٦٢-دار ابن القيم للنشر والتوزيع- الدمام- السعودية-ط الأولى/١٤١٤هـ.
٩١. الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب/ لابن القيم، مكتبة الرشد- الرياض- السعودية- ط الأولى/١٤٢٢هـ.
٩٢. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي/ للإمام شمس الدين بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي/١٤٠٣هـ.
٩٣. الاكتئاب المرض والعلاج/ د. لطف الشرييني، منشأة المعارف- الإسكندرية.
٩٤. القلق وكيف نتخلص منه/ د. زهير أحمد السباعي، د. شيخ إدريس عبد الرحيم، دار القلم- دمشق- ط الثالثة/١٤٢٠هـ.

٩٥. الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها/أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب المصري_القاهرة_دار الكتاب اللبناني_بيروت.
٩٦. مقال بعنوان/الإعراض عن الآيات الثانية_عبدالله المالكي_مقال منشور علي شبكة الانترنت.
٩٧. السيرة النبوية/لأبي محمد عبد الملك بن هشام_(ت٢١٣ هـ)_دارا لفجر للتراث_ط الثانية_١٤٢٥ هـ_٢٠٠٤م.
٩٨. النكت والعيون/الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .
٩٩. البحر المديد/الإدريسي، دار الكتب العلمية. بيروت ط الثانية / ٢٠٠٢ م. ١٤٢٣ هـ
١٠٠. لباب النقول في أسباب النزول/ لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعي_(٩١١ هـ)-دار إحياء العلوم_بيروت.
١٠١. الوسائل المفيدة للحياة السعيدة/ لابن سعدي، مركز ابن صالح الثقافي - السعودية/١٤٠٧ هـ.
١٠٢. النهاية في غريب الحديث والأثر/ الإمام مجدي الدين أبي السعدات المبارك بن محمد جزري ابن الأثير- بيت الأفكار الدولية.الأخلاق في الإسلام/د . كايد قرعوش ، وآخرون_ط الرابعة - دار المناهج للنشر-عمان- ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٤م

فهرست الموضوعات

الصفحة	الموضوع
ت	الإهداء.
د	شكر وتقدير.
ث	المقدمة.
الفصل التمهيدي: مفهوم الإعراض و نظائره بين المعنى اللغوي والمنظور القرآني	
٤-٣	أولاً : الإعراض لغة و اصطلاحاً.
١١	ثانياً: نظائر الإعراض في السياق القرآني.
الفصل الأول: المعرضون والمعرض عنهم في القرآن الكريم	
٢٨	المبحث الأول: المعرضون في ضوء القرآن
٢٨	المطلب الأول: المعرضون عن دعوة الله.
٣٦	المطلب الثاني: المعرضون عن ذكر الله.
٤٦	المطلب الثالث: المعرضون عن شكر نعم الله.
٥٠	المطلب الرابع: المعرضون عن آيات الله.
٥٤	المطلب الخامس: المعرضون عن نذر الله.
٥٧	المطلب السادس: المعرضون عن دفع الزكاة .
٦٠	المطلب السابع: المعرضون عن اللغو.
٦٤	المبحث الثاني: المعرض عنهم في ضوء القرآن الكريم
٦٤	المطلب الأول: المشركون.
٦٨	المطلب الثاني: المنافقون.
٧٢	المطلب الثالث: الجاهلون.
٧٥	المطلب الرابع: اليهود.
٨٣	المطلب الخامس:الذين يخوضون في آيات الله.

٨٥	المطلب السادس: الزوجة الناشز.
٨٩	المطلب السابع: الفقراء من ذوى القربى.
الفصل الثاني: منهج أولي العزم من الرسل في دعوة المعرضين	
٩٣	المبحث الأول: منهج نوح عليه السلام في دعوة المعرضين.
١٠٠	المبحث الثاني: منهج إبراهيم عليه السلام في دعوة المعرضين.
١١٧	المبحث الثالث: منهج موسى عليه السلام في دعوة المعرضين.
١٢٤	المبحث الرابع: منهج عيسى عليه السلام في دعوة المعرضين.
١٢٨	المبحث الخامس: منهج محمد عليه السلام في دعوة المعرضين.
الفصل الثالث: التولي في ضوء القرآن الكريم	
١٣٩	المبحث الأول: تولى الرسل.
١٣٩	المطلب الأول: تولى نبي الله صالح عن قومه
١٤٠	المطلب الثاني: تولى نبي الله يعقوب عن أبنائه.
١٤٢	المطلب الثالث: تولى نبي الله موسى إلى الظل.
١٤٣	المطلب الرابع: تولى محمد عن ابن أم مكتوم.
١٤٦	المبحث الثاني: تولى الأقبام والمفسدين عن رسلهم
١٤٦	المطلب الأول: تولى الأقبام.
١٥٢-١٤٧	المطلب الثاني: تولى المفسدين
الفصل الرابع: عقوبات المعرضين عن دعوة الله في الدنيا	
١٥٥	المبحث الأول: العقوبات الدنيوية للمعرضين.
١٥٥	المطلب الأول: عقوبة قوم نوح عليه السلام.
١٥٦	المطلب الثاني: عقوبة قوم شعيب
١٥٩	المطلب الثالث: عقوبة قوم صالح عليه السلام.
١٦٢	المطلب الرابع: عقوبة قوم هود.
١٦٤	المطلب الخامس: عقوبة قوم لوط عليه السلام.

١٦٦	المطلب السادس: عقوبة قوم فرعون وملئه.
١٦٨	المبحث الثاني: عقوبة المعرضين في عصرنا الحالي.
١٧٥	الخاتمة
١٧٥	النتائج
١٧٦	التوصيات
١٧٧	الفهارس العامة
١٩٣-١٧٨	فهرس الآيات القرآنية
١٩٥-١٩٤	فهرس الأحاديث
١٩٦	فهرس الأعلام المترجم لهم
٢٠٤-١٩٧	فهرست المصادر والمراجع
٢٠٥	فهرست الموضوعات
٢٠٨	ملخص الرسالة
٢٠٨	الملخص باللغة العربية
٢٠٩	الملخص باللغة الانجليزية

ملخص البحث

الإعراض ونظائره في ضوء القرآن الكريم

أولاً: الملخص باللغة العربية

والحديث فيه علي محاور خمسة:

الأول: تعريف الإعراض لغة واصطلاحاً، وبيان نظائر الإعراض في السياق القرآني.

الثاني: المعرضون والمعرض عنهم في القرآن الكريم: وقد تضمن الحديث عن المعرضون وهم:

المعرضون عن دعوة الله، المعرضون عن ذكر الله. المعرضون عن شكره نعم الله، المعرضون عن آيات الله، المعرضون عن نذر الله، المعرضون عن دفع الزكاة، المعرضون عن اللغو. والمعرض عنهم وهم:

المشركون، المنافقون، الجاهلون، اليهود، الذين يخوضون في آيات الله، الزوجة الناشز، الفقراء من ذوى القربى.

الثالث: ذكر منهج أولى العزم من الرسل في دعوة المعرضين.

الرابع: الحديث عن التولي في ضوء القرآن الكريم، ويشمل تولي الرسل، وتولي الأقوام والمفسدين عن رسلهم.

الخامس: ذكر عقوبات المعرضين والمتولين عن دعوة الله في الدنيا ، كعقوبة قوم نوح عليه السلام، وقوم شعيب وقوم صالح، وقوم هود ، وقوم لوط، قوم فرعون وملئه، وعقوبة المعرضين في عصرنا الحالي.

ثانياً: الملخص باللغة الانجليزية

Abstract

Symptoms and isotopes in the light of the Quran

And talk on the five axes:

First: the definition of reluctance language and convention, and the statement of derivatives symptoms in Quranic context, the definition of language and idiomatically row, and the statement of its derivatives in the context of the Qur'anic

II: vulnerable and show them in the Koran: It included talk about the vulnerable are:

Exposed on the invitation of God, are exposed to mention of God.
Exposed to thank God's grace, are exposed on the Quranic verses, are exposed on the ayatollahs cosmic, exposed on the signs of God, are exposed for the payment of Zakat, are exposed on the blahs.

And show them they are:

Polytheists, hypocrites, fools, the Jews, who are engaged in the verses of God, disobedient wife, the poor of kin

III: M initial method in the determination of the Apostles to invite risk.

IV: talk about the row, in the light of the Quran, including assumption of the Apostles, and the assumption tribes and spoilers on the Messengers.

V: vulnerable and said sanctions on the persons entrusted with God's call in this world and the Hereafter, as a penalty the people of Noah, and the nation of the debtor, and the people of Salih, and people returned, and the people of Loot, and Pharaoh and his chiefs, and the death risk in the present age